الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العـــــالي والبحـــث العلمـــــي
جــــامعة زيـــــــــان عــــاشــور بالجلفــــــــة
كلية الآدب واللغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

مطبوعة دروس خاصة بمقياس :

النص الأدبي وتحليل الخطاب

تخصص: أدب حديث ومعاصر سنة ثانية ماستر

السداسي: الثالث

إعداد الدكتورة: ليلى غضبان

السنة الجامعية:2022 /2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المادة: النص الأدبي وتحليل الخطاب	السداسي: الثالث	المعامل:02	الرصيد:04

المحاضرة الأولى : مفهوم تحليل الخطاب. 5

المحاضرة الثانية: قوانين تحليل الخطاب 13

المحاضرة الثالثة: مستويات تحليل الخطاب 29

المحاضرة الرابعة: بين المنهج والنص 65

المحاضرة الخامسة: بين النص والخطاب 70

المحاضرة السادسة: مداخل مساءلة النص 77

المحاضرة السابعة: نظرية أنواع النصوص وأصناف الخطاب 83

المحاضرة الثامنة: استراتيجيات الخطاب في المستويات اللغوية: الصرفي، المعجمي، المستوى التركيبي 92

المحاضرة التاسعة: السياق : مفهومه ـ أنواعه ـ عناصره وخصائصه 105

المحاضرة العاشرة: مفهوم الاستراتيجيات في الخطاب 113

المحاضرة الحادية عشرة: العوامل المؤثرة في اختيار استراتيجية الخطاب: المقاصد، السلطة 119

المحاضرة الثانية عشرة: معايير تصنيف استراتيجيات الخطاب، العلاقة بين طرفي الخطاب، شكل الخطاب، هدف الخطاب..... 139

المحاضرة الثالثة عشرة: مفهوم الكفاءة التداولية 147

المحاضرة الرابعة عشرة: مبدأ التأويل المحلي 167

المحاضرة الخامسة عشرة: المعرفية الخلفية،ـ الأطر،ـ المدونات،ـ السيناريوهات..... 171

مقدمة:

هذه المطبوعة تجمع محاضرات مقياس النص الأدبي وتحليل الخطاب، لطلبة السنة الثانية ماستر أدب حديث ومعاصر.

المحاضرة الأولى : مفهوم تحليل الخطاب.

المحاضرة الأولى : مفهوم تحليل الخطاب.

يقال: "مفاتيح العلوم مصطلحاتها"، بمعنى أن المصطلح يوضع أو يسك لكي يحمل مفهوما محددا في حقل علمي معين ليساعد في التعامل مع قضايا هذا العلم ومضامينه على نحو يتسم بالوضوح والدقة، ولذا فإن لكل علم مصطلحاته الخاصة به. وحين نقف على مصطلح الخطاب نجد أن هذا المصطلح لا ينتمي إلى حقل علمي محدد، بل هو مصطلح عابر للحقول المعرفية، كما أنه مثل معظم المصطلحات الحديثة عابر للغات والثقافات، مما يجعل أمر تعيين المفاهيم التي يحملها في الثقافات المستقبلة أمرا غير سهل.

إن الاشتغال بمصطلح الخطاب وتحليل الخطاب يقع في سياق ظاهرة الاستهلاك التي تمارسها الثقافات المستقبلة التي تقع تحت تأثير الآخر المتفوق، وتلجأ في الوقت نفسه إلى العودة إلى البحث في تراثها أو مخزونها الثقافي لإيجاد مقابل أو مواز لما وفد عليها، وهو ما نجده في الدراسات التي تعنى بالخطاب، فهي من جانب تحتفي بالمصطلح الوفد وتعمد في الوقت نفسه إلى معاينة ما يشبهه أو يقابله لديها لتصل إلى شكل من أشكال التوازن الذي يرمي إلى ترك انطباع بعدم الاستلاب للغريب.

وسأشير فيما يلي إلى هاتين الصورتين قبل النظر في ظاهرة الانشغال بالخطاب في الدراسات الحديثة.

مصطلح الخطاب في الثقافة العربية:

والخطاب في الدراسات العربية بمفاهيمه الحديثة مصطلح وافد من الثقافة الغربية، ويحمل فيها دلالات متعددة بتعدد الحقول التي يدخل فيها، وهو يتداول بوصفه مقابلا عربيا للمصطلح الغربي Discourse الذي تشكل في سياقات ثقافية مباينة لتلك السائدة في الثقافة والمجتمع العربي، ولعل هذا ما يجعل المرء يتساءل عن إمكانية تحميل هذا المصطلح مفاهيم اجتماعية كتلك التي يحملها في سياقاته الأولى. وهذا الأمر مرتبط بكون المصطلح الغربي قد انبثق وتشكل في سياق اجتماعي له سمات مباينة للثقافة المستقبلة، ولو كان الأمر يتعلق بمسألة علمية لكان ذلك مقبولا. (المادة المتعلقة بهذا الجانب تتكرر في كل الدراسات التي عالجت موضوع الحطاب).

يرتبط مصطلح الخطاب في دلالاته الأولى بالمحادثة أو بالحديث الحواري، ولعل استحضار الآية القرآنية الكريمة:" وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما" تبين في بنيتها اللغوية عن حديث حواري مكون من " خطاب" ورد عليه. وهذه الدلالة لم تكن الوحيدة، فقد ورد الخطاب في مواطن أخرى من القرآن الكريم بدلالات أخرى، فقد وقف الفقهاء والمفسرون عند الآية الكريمة "وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَاب"، وقدموا تفسيرات متعددة دار معظمها على عناصر لغوية وفقهية، فقد ذهب بعضهم إلى الوقوف على الدلالة المتعلقة بالبنية اللغوية التي تحدد المعنى حين أشير إلى أن فصل الخطاب هو الكلام الواضح البين الذي لا يلتبس على السامع أو القارئ، كما يتعلق بمكان الفصل والوصل في الخطاب، فلا يقرأ مثلا الكلام مقطوعا عن المعنى في قوله تعالى "ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى".

وفي السياق الفقهي ذهب أكثر الفقهاء، "في فصل الخطاب، أنه فصل الحكم والقضاء. وقال الضحاك بن مزاحم: فصل الخطاب العلم بالقضاء. وروي عن شريح والحسن البصري، أنهما قالا: فصل الخطاب الشهود والأيمان، ذهب إلى أنه يجب بهما الحكم وتنفصل الأشياء". (الصولي، أدب الكتاب، الموسوعة الشعرية).

وقد دارت معظم دلالات الخطاب في المعاجم العربية على هذه الدلالات كما نجد مثلا في لسان العرب:" الخطاب والـمُخاطَبَة: مُراجَعَة الكَلامِ، وقد خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخطابا وهُما يَتخاطَبانِ.... قال بعض المفسرين في قوله تعالى: وفَصْلَ الخطاب هو أَن يَحْكُم بالبَيِّنة أَو اليَمِين؛ وقيل: معناه أَن يَفْصِلَ بينَ الحَقِّ والبَاطِل، ويُمَيِّزَ بيْن الحُكْمِ وضِدِّه وقيلَ فصلُ الحطاب أَمّا بَعْدُ؛ وداودُ، عليه السلام، أَوَّلُ من قال: أَمَّا بَعْدُ؛ وقيل: فَصلُ الخطاب الفِقْهُ في القَضَاءِ. (انظر عرضا لهذا الجانب في: مها العتوم: تحليل الخطاب في النقد الغربي الحديث، 5 – 10).

ويرى التهانوي (ت ق12هـ) في" كشافه " أن الخطاب: "توجيه الكلام نحو الغيرِ للإفهام، ثمّ نُقل إلى الكلام الموجَّه نحو الغير للإفهام. وقد يعبّر عنه بما يقع به التخاطب. قال في الأحكام: الخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه". (كشاف، مادة الخطاب).

وفي هذا السياق قدم مختار الفجاري دراسة بعنوان: " تأصيل الخطاب في الثقافة العربية " مقررا أن " أهم منطلق لتأصيل مصطلح الخطاب Discourse داخل الثقافة العربية هو تحديد مختلف معاني الكلمات المؤلفة من هذه المادة – الأصل خطب . ولبيان ذلك تكون المعاجم العربية وكتب اللغة والفكر والأدب القديمة هي المرشحة لذلك...". واعتمادا على هذه المصادر قدم قراءة لحضور المصطلح ودلالاته في الثقافة العربية في مقابل المفاهيم التي يحمله المصطلح الأوروبي. وقد حدد المعاني التي يحملها الخطاب قي الشأن والغرض، وفي الدلالة على السلطة، وفي المحاورة. وهذه الدلالات تلتقي بالدلالات التي يحملها المصطلح الحديث، وبخاصة في السياق الفلسفي كما هي الحال في بعض طروحات فوكو (انظر الفجاري:1993، 100-101).

المصطلح في الثقافة الغربية:

أما الأصل اللغوي للخطاب Discourse في اللغات الأوروبية فيعاد إلى الأصل اللاتيني Discursus (Discurrer) الذي يحمل دلالة التحرك ذهابا وإيابا وهو المعنى الذي يستعمله الفلاسفة للتعبير عن تبادل الأفكار. كما أن كلمة الخطاب تعبر عن الجدل والعقل أو النظام. (بغورة: 2000، 90). وقد ورد عند هابرماس لدلالة على التواصل اللغوي المبني على الحجج أو التعليل. وتقدم المعاجم اللغوية الأوروبية ومعاجم المصطلحات العلمية مادة تشمل حقولا متعددة يدخل فيها الخطاب، كما هي الحال في معجم A Dictionary of Stylistics الذي يعرض لمعاني المصطلح لغويا قبل أن يقف على مفاهيمه في الحقول الفلسفية واللسانية والاجتماعية مقدما طيفا واسعا من التصورات النظرية المختلفة.

لقد "أصبح مصطلح الخطاب متداولاً وشائعاً في مجموعة من الحقول: النظرية النقدية وعلم النفس واللسانيات والفلسفة وعلم النفس الاجتماعي وعدد من الحقول الأخرى إلى حد انه ترك

مبهما مرارا، كما لو كان استعماله معرفة مألوفة وبسيطة. وقد استعمل الخطاب بصورة واسعة في تحليل النصوص الأدبية والنصوص غير الأدبية موظفا دوما في الإشارة إلى خبرات نظرية معينة بطرق غامضة وأحيانا مشوشة. وربما كانت لمصطلح الخطاب أعرض سلسلة من الدلالات الممكنة من أي مصطلح آخر في النظرية الأدبية والثقافية. ومع ذلك كان دائما هو المصطلح الأقل تعريفا عند استعماله في النصوص النظرية. (سارة ميلز: الخطاب، nizwa.com).

ولعل التأكيد على عدم تحديد المصطلح وانفتاح مفاهيمه على احتمالات غير محدودة قد جعل من الممكن استعمال مصطلح الخطاب أمرا غير خاضع إلا لرؤية الباحث وللحقل الذي يعمل فيه، إنه مصطلح مائي يأخذ شكل ولون الإناء الذي يوضع فيه، وهذا ما جعلنا نقف على موجة من الدراسات المعنونة بالخطاب أو بتحليل الخطاب دون سند معرفي أو منهجي، وهو ما جعل كل شيء خطابا.

وهنا أود أقف عند أكثر منظري الخطاب شهرة وتأثيرا وهو ميشيل فوكو الذي الذي خصص للخطاب كتابين من كتبه، وهما: أركولوجيا المعرفة 1969، ونظام الخطاب 1971، وقدم فيهما تصوره للخطاب، وهو تصور يفارق بصورة واضحة المفهوم عند سابقيه، ومن خلال الاستعراض التاريخي لمفهوم الخطاب في الثقافة الغربية يتبين:

1- " ارتباط الخطاب بالفلسفة والمنطق من حيث كونه "عملية عقلية منظمة تنظيما منطقيا أو عملية مركبة من سلسلة من العمليات العقلية الجزئية أو تعبير عن الفكر بواسطة سلسلة من الألفاظ والقضايا التي يرتبط بعضها ببعض".

2- أن الخطاب أصبح توجها في الدراسات الألسنية... تعبر عنه أعمال بنفيست ومدرسة تحليل الخطاب الفرنسية.

3- أن ميشيل فوكو الذي اعتمد على هذه الخلفية الفكرية وخاصة على أعمال ليفي شترواس وبنفيست قد اختلف مفهومه للخطاب عن سابقيه. (انظر بغورة،2000، 93 ومصادره).

لقد قدم فوكو تعريفا جديدا للخطاب لا يستند إلى أسس ألسنية أو منطقية، بل يتشكل من مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية فهو ليس وحدة بلاغية او صورية.... بل عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي نستطيع تحديد شروط وجودها (فوكو: حفريات المعرفة 1968،، 78 وانظر النص وتعليق عليه بغورة 2000، 95).

ومن المهم التوقف عند مصطلحين استعملهما فوكو في إطار نظريته في الخطاب وهما الأركولوجيا والجينالوجيا، وموضوع الاركولوجيا عنده "ليس اللغة وإنما الأرشيف أي الوجود المتراكم للخطابات، فالأركولوجيا كما يقول ليست جيولوجيا أي تحليل للطبقات الأرضية، ولا جينا لوجيا أي وصف للبدايات والتواريخ وإنما هي تحليل للخطابات في صيغة أرشيف" (بغورة 2000، 114).

وهذا ما يقود إلى مصطلح محوري آخر لديه وهو تحليل الخطاب الذي يستند إلى نظام الخطاب عنده، إذ إنه يمثل مفهوما يتعلق بالمعرفة والقوة، والآثار التي يتركها في سيافاته، ولذا فإن:

".. **منهج تحليل الخطاب عند فوكو، لايحلل نظام اللغة أو المضامين أو الدلالات، كما لايهتم بصدق الخطابات أو معقوليتها، وإنما ينصب التحليل على المنطوقات كأحداث وعلى قوانين وجودها، وعلى ما يجعلها ممكنة أو غير ممكنة"** (بغورة: منهج في تحليل الخطاب، مجلة إبداع، القاهرة، ابريل ـ مايو 2000م ص 109).

وتورد سارة ميلز نماذج من تحليل فوكو للخطاب ترتكز على أسس المعرفة والسلطة، وهي نماذج تتعلق بالخطاب في سياقات اجتماعية، و توضح في الوقت نفسه أن فوكو لم يكن معنيا بالخطاب الأدبي إذ يذهب إلى **"أن كلمة أدب في العصر الحديث وفي ثقافتنا أيضا تعني انفراد لغة معينة بأسلوب غير مألوف كي تبدوأدبي ...الأدب هو الصراع مع فقه اللغة... إنه يقود اللغة من النحو إلى قوة الكلام المجردة، وهناك تصطدم بالوجود الجامح والمتغطرس للكلمات"**. (فوكو، 1970: 299 – 300 عن سارة ميلز).

على الرغم من أن نظرية الخطاب قد تكونت تحت تأثير الانتقادات الموجهة لثلاثة تيارات أو تقاليد فكرية ألا وهي البنيوية والتأويلية والماركسية... وأن أكبر أهداف تحليل الخطاب الكشف عن القوانين ذات نشأة التاريخية التي تضع بنية أو تؤطر إنتاج المعاني في سياق اجتماعي محدد (محمد الصقار 101،2005)، وعلى الرغم من أن تحليل الخطاب "يختلف عن التحليل الألسني أو التحليل المنطقي" (بغورة، إبداع 2000، 107) – فإن كثيرا من الدراسات تقوم على دراسة الأدب وعلى تحليل ذي توجه ألسني أو بنيوي، بمعنى أن الأسس التي وضعها فوكو مثلا لم تعد حاضرة في ما يسمى تحليل الخطاب.

إن استقراء الدراسات الحديثة المتعلقة بالخطاب يضع المرء أمام كم ضخم من مادة غير متجانسة في أطروحاتها وحقولها ومناهجها ومفاهيمها، فمصطلح الخطاب وتحليل الخطاب يحضر بصورة واسعة في عناوين الكتب والأبحاث دون أن يكون له في كثير من الأحيان ارتباط بالموضوع المطروح، فنحن نقرأ: الخطاب اللساني، والخطاب الديني، والخطاب الروائي، والخطاب السلفي، والخطاب الشعري، والخطاب السياسي، والخطاب الجنسي، والخطاب النسوي، والخطاب النقدي، ولا شك أن هذه كلها يمكن أن تكون خطابات، ولكن المسألة تكمن في أن المادة التي تضمها أو تقدمها أكثر هذه الدراسات لا تنهض على استعمال علمي منهجي للخطاب ومفاهيمه، فهي تستعمله على نحو لا يخضع لمعايير نظرية أو إجرائية معينة، مما يعني أن مصطلح الخطاب بدأ يحل محل كلمة لغة أو مقال أو نص. وتتعمق هذه الحال حين يعلق بها تحليل الخطاب، إذ نجد سلسلة طويلة من الدراسات التي تعنون بتحليل الخطاب، وهي في واقع الأمر ليست سوى قراءات تقليدية لنصوص لا علاقة لها بالخطاب أو بالمفاهيم التي يحملها.

ويقود تأمل هذه الدراسات إلى تبين نمطين متكررين، هما:

- الترجمات أو القراءات التي تعالج هذا المصطلح في إطار الثقافة الغربية، وهي تتمثل في ترجمة النصوص النظرية الغربية أو عرضها في صورة شروح أو اقتباسات مطولة توضع في سياقات نظرية مستقلة حينا، أو في مقدمات لدراسات تحمل في عناوينها الخطاب أو تحليل

الخطاب. وبعض هذه الترجمات أو القراءات تمتاز بالدقة والعمق مثل أعمال الزواوي بغورة الذي وجه اهتماما خاصا لنظرية ميشيل فوكو في الخطاب.

- الدراسات العربية التي تحمل في عناوينها مفردة أو مصطلح الخطاب، سواء أتعلق الأمر بالخطاب بوصفه مصطلحا يحمل مفهوما أو مفاهيم يجب أن تبنى عليه أو عليها هذه الدراسات أم لا. وفي هذا الإطار نجد عشرات الكتب ومئات من الأبحاث التي تستعمل أو تستملح المصطلح دون أن يكون له صلة بموضوع الدراسة.

إن ما يجب ذكره هنا أن المصدر الأصلي للخطاب يحمل هذه الصورة غير المستقرة للمصطلح ومفاهيمه، وذلك لأنه أخذ صورة الواجهة للدراسات المختلفة في حقول علمية مختلفة التي صبغته بصبغتها، فقد ذهب هوارث إلى القول: " رغم أن مفهوم الخطاب نشأ في مجالي اللغويات والسيموطيقيا إلا أنه قفز للعديد من فروع ومجالات العلو الإنسانية، إذ يستخدم تحليل الخطاب في الانثروبولوجيا والتاريخ وعلم الاجتماع والتحليل النفسي ودراسات ما بعد الكولونيالية والعلوم السياسية وتحليل السياسات العامة، مما جعل مفهوم الخطاب يشغل مكانا محوريا تتزايد أهميته في العلوم الاجتماعية والإنسانية المعاصرة. على أن الكم الغزير من الدراسات... لم يؤد إلى صبغ المفهوم بلون ثابت واضح يميزه عن غيره من المفاهيم، بل على العكس من ذلك تماما فقد جعلت تلك الدراسات مفهوم الخطاب كالحرباء يتلون بلون الخلفية التي يقف أمامها، إذ فرض كل حقل معرفي عند استخدامه للمفهوم مسلماته ومقولاته وإشكالاته عليه، بحيث صار المفهوم يتسم بالنسبية والاختلاف الشديدين. فبينما يضيق البعض مفهوم الخطاب ليقتصر على مجرد أساليب الكلام والمحادثة يوسعه البعض الآخر ليجعله مرادفا للنظام الاجتماعي برمته حيث يصير كل شيء خطابا". (هوارث 2000، 1-3، عن محمد الصفار 2005، 100).

فإذا كان هذا الأمر قد حدث في إطار الثقافة المنتجة للمصطلح فليس غريبا أن نجد صداه غير المنضبط في الثقافة العربية المتلقية له على نحو غيرنسقي أو منهجي. وهو ما مكن من زج الخطاب في كل الموضوعات بغض النظر عن علاقتها أو عدمها به.

لقد أنتج الاشتغال بهذا المصطلح ومفاهيمه الرغبة لدى الباحثين العرب للبحث عن مقابل عربي له في تراثنا، ولذا فقد ذهبت بعض الدراسات العربية إلى البحث عن جذور هذا المصطلح في الثقافة العربية، وحاولت تقديم عرض لدلالاته اللغوية والاصطلاحية في المعاجم وكتب التراث على اختلاف حقولها، على نحو يظهر اقتفاء لما وجدوه في الثقافة الغربية. ومن ذلك عمل مختار الفجاري: "تأصيل الخطاب في الثقافة العربية 1993" الذي عمد فيه إلى استقراء مادة خطب في القرآن الكريم وفي المعاجم العربية، وكتب التراث. لكن الأمر الذي يستوقف المرء هو أن دراسة عربية واحدة لم توضع في الخطاب منبثقة من التراث العربي ومكتفية به قبل شيوع المصطلح الوافد، بل إن كل الدراسات التي اطلعت عليها قد وضعت بتأثير من الاشتغال بالخطاب في الثقافة الغربية، مما يعني أن هذه الدراسات جاءت صدى لمقابلها الغربي، لكن في صور متباينة من الأصداء التي يقود بعضها إلى سوء فهم قد يولد نظرية أو نظريات جديدة،

وهذا أمر محمود إن حدث.وثمة ملاحظة أخرى في هذا السياق وهي أن المادة المتعلقة بهذا الموضوع في معظم الدراسات العربية مادة مكررة، إذ يمكن للمرء أن يقرأ عشرات الدراسات والأبحاث دون أن يجد شيئا جديدا، فهي تعيد المادة نفسها والأسماء نفسها على نحو يتسم في كثير من الأحيان بالغموض وغياب المعنى، لأن المادة المنقولة تقع في سياق ثقافي مختلف تماما، ولأن الترجمة المهتمة أساسا بالتنظير لا تسعف في كثير من الأحيان على تشكيل تصورات واضحة عن الأفكار المطروحة في هذا السياق الذي غلب الجانب الفلسفي وبخاصة حين يتعلق الأمر بما قدمه ميشيل فوكو. ويمكن أن يكون كتاب محمد عزام " تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية" نموذجا للكتب التي تحمل عنوان تحليل الخطاب، ولكنها تناقش المناهج الحداثية المختلفة كلها دون توقف عند الحديث عن معنى تحليل الخطاب، فهو يعرض ما قدمه كمال أبو ديب في "جدلية الخفاء والتجلي"، وهو تحليل بنيوي إلى جانب عمل الطاهر لبيب في "سوسولوجيا الغزل العذري"، وعمل محمد بنيس في ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب". وهذا عمل يعني ألا علاقة له بتحليل الخطاب بالمفهوم الاصطلاحي، وإنما استعمل كلمة خطاب استعمالا عاما. ومثل هذا الأمر يمكن مناقشته في "تحليل الخطاب الروائي" عند سعيد يقطين. ولعل معاينة المزيد من الدراسات العربية تظهر على نحو عميق أن استعمال المصطلح أو منحه المفهوم الذي يريده الباحث تم دون ضوابط منهجية أو معرفية.

المصادر

- إبراهيم، عبد الله: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، الدار البيضاء – بيروت 1999.

- بغورة، الزواوي: مفهوم الخطاب في فلسفه ميشيل فوكو، القاهرة، 2000.

- بغورة، الزواوي: منهج في تحليل الخطاب، مجلة إبداع، القاهرة، ابريل ـ مايو 2000م ص 109).

- التهانوي، محمد علي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح. رفيق العجم وعلي دحروج، بيروت 1996.

- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، الدار البيضاء- بيروت 1997

- الصولي، أبو بكر: أدب الكتاب، الموسوعة الشعرية، الإصدار الثالث. العتوم، مها: تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، دراسة تحليلية في النظرية والمنهج، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2004.

- الفجاري، مختار: تأصيل الخطاب في الثقافة العربية 1993، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 100-101.

- فوكو، ميشيل: حفريات المعرفة، تر. سالم يفوت، الدار البيضاء، 1986.

- محمد الصفار: تحليل الخطاب وإشكالية نقل المفاهيم، النهضة، مج6، ع4 ص99-110.

- محمد عزَّام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، دراسة في نقد النقد

- محمد علي الكردي: الخطاب واللغة عند ميشيل فوكو، فصول، مج11، ع!، 1992.

- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، 1968.

- ميلز سارة: الخطاب، تر. غريب اسكندر، مجلة نزوى، الموقع الالكتروني **http://www.nizwa.com/articles.**

- Katie Wales: A Dictionary of Stylistics, London , 1989.

هذه المحاضرة نقلت عن: الدكتور زياد الزعبي المحاضرة الثالثة: مصطلح الخطاب وتجلياته في الدراسات الحديثة، جامعة اليرموك، الأربعاء 16 محرم 1435هـ- الموافق 20 تشرين الثاني 2013م.

المحاضرة الثانية: قوانين تحليل الخطاب

المحاضرة الثانية: قوانين تحليل الخطاب

يبدو أن الحضارات نوعان: حضارة الكلمة مثل معظم الحضارات الشرقية باستثناء الحضارة اليابانية، وحضارة الطبيعة وهي الحضارة الغربية الحديثة باستثناء المرحلة الأخيرة بعد ظهور علم اللسانيات الحديث. في حضارة الكلمة، تكون الكلمة هي العنصر المتوسط بين الإنسان والطبيعة، فلا يفهم العالم إلا من خلال الكلمة ولا يضع له قواعد للسلوك إلا باستنباطها من الكلمة، وهي أيضًا العنصر المتوسط بين الله والعالم، فالله يتكلم، بل إنه يخلق العالم بالكلمة «كن فيكون»، الله هو الكلمة كما هو الحال في إنجيل يوحنا وعند فيلون؛ لذلك نشأت علوم التأويل لفهم الخطاب الإلهي الذي يصل الله بالعالم والخطاب الإنساني الذي يصل الإنسان بالله وبالعالم.

وفي حضارة الكلمة يمكن التمييز بين حضارة الكلمة عن طريق الفعل دون وَعْيٍ نظري بعلوم التأويل مثل حضارات الهند والصين التي تغيب فيها علوم التأويل، والتفكير الجديد على النص القديم، تكفي لذلك التجربة الروحية التأملية في الهند، فالحقيقة في الداخل وليست في الخارج أو التجربة الأخلاقية الاجتماعية في الصين، فالحقيقة في الأخلاق الاجتماعية وتربية الفرد في الأسرة والمجتمع والدولة كمواطن صالح، لا يقرأ أحدٌ الماضي لتجديده بل يضيف إليه لتجاوزه.

فأقوال كونفوشيوس تجاوز لكتاب التغيرات في حضارة الصين القديمة، والفيدا والفيدانتا متجاوران دون أن يكون أحدهما تأويلًا للآخر في الهند، والزند أفستا يضع الحقيقة ذاتها دون تأويل لها في فارس، ويضم إلى ذلك حضارات ما بين النهرَيْن في العراق، فملحمة جلجامش لا تجديد فيها، وقوانين حمورابي لا تأويل فيها، وكذلك يُضاف إلى ذلك «كتاب الموتى» في حضارة مصر القديمة، كتاب مقدس لا تخريجات فيه ولا شروح.

وحضارة الكلمة عن طريق الفهم والتفسير والتأويل كمقدمة للفعل مما يتطلب وعيًا نظريًّا لغويًّا ومنطقيًّا هو ما أضافته حضارات الكتب المقدسة في الشرق، اليهودية والمسيحية والإسلام، ففي اليهودية كل كتاب لاحق يخرج من الكتاب السابق شارحًا له، فالمدراش شرح للتوراة، والتلمود شرح للمشنا، وانتشرت مدارس التنزيل والتأويل، الحلقا والهاجادا، ونشأت طبقة الكهنة والأحبار ومناهج الاستدلال والفتاوى، وأصبح التراثُ اليهودي حلقاتٍ يخرج بعضها من البعض الآخر، نواته التوراة كحلقة أولى. والمسيحية نفسها قراءة روحية أخلاقية إنسانية لليهودية المادية القانونية الإلهية؛ لذلك نشأت علوم التأويل منذ عصر آباء الكنيسة عند أوريجين في «الديا تصيرون» وأوغسطين في «الفقيه المسيحي» وتم تقنينها في نظرية المعاني الأربعة في العصر الوسيط، ثم جاء الإسلام قارئًا للمسيحية واليهودية ودين إبراهيم ودين العرب قبل الإسلام مستخرجًا الجديد من القديم وواضعًا أسس الاجتهاد والتجديد والإصلاح، وواضعًا علوم التأويل قبل الغرب الحديث.

وقد حدث وعْيٌ نظري بتحليل الخطاب عند اليونان بعيدًا عن حضارة الكلمة والبعد الديني بالتأمل في اللغة والبرهان وصياغة ذلك في المنطق بأبحاثه الثمانية: المقولات والعبارة والقياس والبرهان كمنطقٍ لليقين، والجدل والسفسطة والخطابة والشعر كمنطقٍ للظن؛ فالخطاب ألفاظ وعبارات وأقيسة، له دلالات ومعانٍ، وله مقاييس صدقه في اتساق النتائج مع المقدمات، فإن

غاب هذا النمط المثالي من الخطاب في منطق اليقين لم يبقَ إلا خطاب منطق الظن إما الدفاع عن النفس ودحض الخصم كما هو الحال في الجدل، أو التمويه بقَلْب الحق باطلًا والباطل حقًّا كما هو الحال في السفسطة، أو التأثير في النفس عن طريق الخطابة، أو التخييل عن طريق الشعر.

وقد كان هذا الوعي النظري بالخطاب أساس تحليل الخطاب في العصور الحديثة بعد أن تجاوز الإشكال الديني الشرقي، الكلمة كواسطة بين الله والعالم، وبين الله والإنسان، وبين الإنسان والعالم إلى الكلمة في ذاتها بمنطقها الداخلي وكعالم مستقل وليست مجرد واسطة بين عوالم؛ فاللغة منزل الوجود كما يقول هيدجر، والله كلمة، والعالم إشارة وعلامة ودليل، في البَدْء كانت الكلمة.

وقد كان ذلك أول مكسبٍ للعصور الحديثة عندما تحول تحليل الخطاب من المستوى الأدبي إلى المستوى الإنساني، فالله لا يتكلم إلا لإنسانٍ ولا يعبّر عن قصده إلا بلغة الإنسان، ولا يفهم هذا القصد إلا بعقل الإنسان، وتجربته وفهمه وتأويله، فكل خطاب من الله Discours der Dieu هو خطاب عن الله Discours sur Dieu، وأصبح علم التأويل أو الهرمنطيقيا علمًا إنسانيًّا وليس علمًا مقدسًا بفضل شليرماخر، فالكلام يتكوَّن في وعي الإنسان، وهو الذي يحدِّد مقاصده؛ لذلك بدأ النقد التاريخي للكتب المقدسة في العصور الحديثة ليكشف عن الوضع الإنساني للنص المقدس لغة وقصدًا وبيئة، فالنبي والحواري والكاتب والراوي والمدوّن والسامع والشارح والمُؤوّل كلهم أبناء عصورهم، فما تصوره القدماء أنه من وحي الله أعيد اكتشافه على أنه من وضع الإنسان، وقد أدَّى ذلك إلى تغيُّر مفهوم الوحي والنبوة؛ فالمعنى من الله واللفظ والعبارة والصياغة والأفعال من النبي أو الكاتب، ولا يقع الخطأ في المعنى الروحي إنما يقع فقط في التدوين. الروح لا تخطئ ولكن الجسد ضعيف، وبدأ التحوُّل من الموضوعية إلى المثالية، ومن الموضوع إلى الذات، وانتهى النقاد إلى أن العقيدة لم تخرج من النص بل أن النص خرج من العقيدة. آمَنَ الناس أولًا ثم دونوا إيمانهم بعد ذلك في نصوصٍ اعتبرت مصدر الإيمان ومنشأه، وتحول النص إلى مجموعة من الوحدات لها أشكال أدبية مثل قصة أو أسطورة أو أمر أو نهي أو موعظة إلى آخر ما هو معروف في مدرسة الأشكال الأدبية.[٢]

وقد استأنفت العلوم الإنسانية موضوع الخطاب حتى أصبح موضوعها الأثير بعيدًا عن الدين والفلسفة، وأصبح غاية في ذاتها بصرف النظر عن العوالم الأخرى التي تكشف عنها اللغة، علم المعاني أو عالم الأشياء، وتحول إلى مناهج تحليلية مضبوطة، منهج تحليل المضمون في العلوم الاجتماعية لتحليل الخطاب الديني أو الخطاب السياسي، النبوات أو الزعامات، منهج التحليل اللغوي النفسي كما هو الحال في علم اللسانيات النفسي Psycho-linguistics من أجل معرفة دلالة الألفاظ على نفسيَّة قائلها، ومنهج التحليل اللغوي الاجتماعي من أجل معرفة الدلالات العرفية وآليات الاستعمال الاجتماعي للغة كما هو الحال في علم اللسانيات الاجتماعي Social linguistics، ومنهج التحليل اللغوي الخالص كما هو الحال في علم اللسانيات العام General linguistics من حيث علوم الأصوات والقراءات والتراكيب.

والسؤال الآن: هل تظهر الخصوصيات الحضارية في تحليل الخطاب أم أن هناك منطقًا واحدًا لتحليل الخطاب في كل الحضارات، خاصة حضارات الكلمة؟ وهل يمكن العثور على منطقٍ واحد لتحليل الخطاب تُقاس عليه كل حضارات الكلمة أم أن هذا المنطق بالضرورة إنما يعبّر عن حضارةٍ خاصة؛ وبالتالي تصبح مقياسًا لجميع الحضارات؟ فالعام هو في حقيقته خاص، ولا يمكن استقراء منطق الخطاب في كل الحضارات من أجل الوصول إلى منطق عام واحد إلا افتراضًا.

ومع ذلك هناك بعض القوانين العامة في تحليل الخطاب من حيث هو خطاب بصرف النظر عن انتمائه الحضاري مثل التحوُّل من الخطاب الشفاهي إلى الخطاب المدون؛ فعادة ما ينقل الخطاب شفاهةً كما هو الحال في النص المقدس والنص الشعبي قبل التدوين، كما توجد بعض المؤلفات القديمة أمالي من الأساتذة على الطلاب مثل «المغني» للقاضي عبد الجبار بل ومعظم مؤلفات أرسطو وهيجل، كما أن النصوص المقدسة مثل العهد القديم والعهد الجديد كانت روايات شفاهية، ظلَّت التوراة خمسةَ قرون حتى دُوِّنت في بابل والبعض منها بعد ذلك في المشناه، وظلَّت الأناجيل روايات شفاهية بين نصف قرن في الأناجيل المتقابلة أو أكثر من قرنٍ في الإنجيل الرابع، والنص القرآني وحده هو الذي دُوِّن منذ لحظة الإعلان عنه، ولم يمر بمرحلةٍ شفاهية كما مر الحديث أكثر من قرنين.

ومع ذلك هناك أبعاد واحدة في كل خطاب بصرف النظر عن أنواعه وانتمائه الحضاري، هناك مستوى اللغة، حقيقةً أو مجازًا، كلامًا أو إشارة، ألفاظًا أو علامات، وهناك مستوى المعاني سواء كانت مستقلة عن الألفاظ أم مرتبطة بها، وسواء كانت مطلقة أو نسبية، اصطلاحية أو عرفية، وهناك مستوى الأشياء التي تحيل إليها اللغة، العالم خارج الكلام، والواقع خارج الألفاظ والذي يمكن أن يكون معيار الصدق الخطاب، سواء كان هذا العالم الخارجي عالم الأشياء أو عالم الأفعال.

ويظل سؤال آخر قائمًا: هل هناك إمكانية للعودة إلى الأشياء ذاتها دون توسط اللغة والقول، حتى لو كان فصل الخطاب؟ ألم تستطع حضارة اليابان القديمة التعامُل مع الطبيعة مباشرة بالرسم وتنسيق الزهور دون المرور بالكلام، فالرسم كلام، والورود والأزهار لغة وعبارات؟ أليست الحروف الصينية رسومًا والحروف الهيروغليفية صورًا؟ أليس الرقص والغناء وما يُسمَّى بلغة الجسد محاولةً للتعبير بالحركة والصوت دون المرور بلغة الكلام؟ أليس الصمت لغةً وقد يكون أكثر دلالة من الكلام كما فعلت مريم ثلاثة أيام لا تكلِّم الناس إلا رمزًا، وما في بطنها كان لغة وإشارة دون خطاب؟

هل يظهر علم اللسانيات الحديث ويوسع مفهوم الخطاب ولا يجعله فقط قاصرًا على الكلام؛ فاللغة نسق إشاري، مجموعة من العلامات الدالة. فاللغة أوسع من الكلام، والكلام أحد وسائل اللغة، هناك لغة الطبيعة ولغة الطير ولغة النمل، تلك التي فهمها سليمان. وما من شيء إلا ويسبح بلغة، ولكن الإنسان لا يفهمها، إنه تعود على لغةٍ واحدة، لغة الكلام؛ ومن ثم يصبح

السؤال: ما اللغة؟ لغة الكلام أم لغة الطبيعة؟ وهما المعنيان اللذان يشير إليهما لفظ «آية» التي تعني النص المدوَّن والظاهرة الطبيعية في آنٍ واحد.

وتفرق الدراسات اللسانية المعاصرة حول تحليل الخطاب في وصف لغة الكلام الشفاهي في الحوار لمعرفة تركيب الجمل واستعمال المفردات وكأنها دروس في قواعد الكلام دون رؤية فلسفية للخطاب؛ أنواعه وأبعاده ومناهج تحليله، والحديث عن جزئيات في التكرار والنبرة وتغير الأصوات ونظام الكلمات.[٣] وتحلل دراسة أخرى الصور اللغوية ووظائفها ودور السياق في التفسير، ومضمون الخطاب، موضوعاته وتصوراته، وبناء الخطاب وعرض مضمونه، وبناء الخبر، وطبيعة المرجعية في الخطاب، والاتساق في فهم الخطاب،[٤] وتركز دراسة ثالثة على وصف الخطاب الشفاهي، وتركيب العبارات، وتبادل البنيات، وبواعثها واتساقها ونبراتها،[٥] وتبين دراسة رابعة نظرية الخطاب الفعل وقواعد الخطاب، وأتنوجرافيا الكلام وتحليل الخطاب الشفاهي والنبرة وكيفية تحصيل الخطاب وتعلم صياغته وتطبيق ذلك على الخطاب الأدبي،[٦] وتكشف دراسة خاصة عن الصلة بين اللغة والأيديولوجية والقوة، وعن البيئة الاجتماعية والثقافية للخطاب وعن أهمية تحليل النص في البحوث الاجتماعية، وعن الوعي اللغوي النقدي،[٧] وكثير منها يكرِّر بعضه بعضًا حتى أصبح تحليل الخطاب حرفةً في أيدي اللغويين المحترفين.

(٢) أنواع الخطاب

وبالرغم من وجود بنيةٍ واحدة للخطاب إلا أنه على أنواعٍ متعددة يمكن إجمالها في أنواع ابتداءً من الأكثر إلى الأقل تعقيدًا، والأعمق إلى الأقل عمقًا، والأشمل إلى الأقل شمولًا على النحو الآتي:

- (١) «الخطاب الديني»، سواء كان مقدسًا أو دنيويًّا، إلهيًّا أم إنسانيًّا، وحيًا أم إلهامًا، نقلًا أم عقلًا، وهو أكثر الخطابات عمومية؛ لأنه سلطوي أمري تسليمي إذعاني، يطالب بالإيمان بالغيب وبالعقائد ويعتمد على التصوير الفني وإثارة الخيال، والحياة المستقبلية، وما بها من وعود وخلاص من آلام البشر. قد يكون خطابًا عقائديًّا كما هو الحال في علم الكلام، أو باطنيًّا كما هو الحال في التصوف، أو تشريعًا كما هو الحال في الفقه وأصوله، يقدسه الناس حتى ليصبح بديلًا عن المقدس ذاته، له أصول وفروع، وله قلب وأطراف، وبه حق وباطل، فرقة ناجية وفرقة هالكة، يعتمد على سلطة النص أكثر من اعتماده على سلطة العقل، يعتبر نفسه حكمًا ومقياسًا لأنواع الخطابات الأخرى، يتوحد به الحكام بحيث يصبح الخطاب الديني والخطاب السياسي خطابًا واحدًا، تكثر المذابح والحروب ويتم تكفير المخالفين باسمه، يدل على مرحلة تاريخية قديمة قاربت على الانتهاء؛ لأنه أقدم أنواع الخطاب، يؤدي أحيانًا إلى الغرور والتعالي والتعصب ولا يقبل الحوار؛ لأنه خطاب أخلاقي يعتمد على سلطة القائل وإرادته، لا يحتاج إلى مقاييس للصدق إلا من صدق القائل.
- (٢) «الخطاب الفلسفي»، وهو تطوير للخطاب الديني ووارث له، ينزع منه الجانب العقائدي القطعي النقلي السلطوي ويحيله إلى خطابٍ عقلي برهاني، يقبل الحوار، والرأي

والرأي الآخر، ويحتوي على مقاييس صدقه، الاتساق، وتطابق النتائج مع المقدمات إذا كان استنباطيًّا، ومع الواقع إذا كان استقرائيًّا، ومع التجربة الإنسانية إذا كان خطابًا من العلوم الإنسانية. وهو قادر على التعميم والتجريد والصياغات النظرية للقوانين. إنساني النزعة، متفتح على الحضارات الأخرى، يخاطب جمهور العقلاء بصرف النظر عن انتماءاتهم الدينية والعرقية والسياسية، يعاديه الخطاب الديني؛ لأنه يعتبره منافسًا له على المعرفة والسلطة، واستشهد أصحابه مثل سقراط والجعد بن درهم والحلاج والسهروردي المقتول وجيوردا نوبرونو وسيد قطب، تقدمت البشرية من خلاله، أحيانًا لا يفهمه إلا الخاصة وأحيانًا تفهمه العامة إذا كان بسيطًا واضحًا بعيدًا عن المصطلحات الفلسفية. مثالي الطابع، يعتمد على التنزيه، أخلاقي النزعة يدعو إلى المُثُل الفاضلة، تزدهر به الحضارات وتعرفه مثل الحضارة اليونانية والحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية الحديثة.

- (٣) «الخطاب الأخلاقي»، وهو قراءة للخطاب الديني والخطاب الفلسفي إلى الحد الأدنى الذي يتفق عليه الناس جميعًا وهو الفضائل والتمييز بينها وبين الرذائل، يختزل العقائد والنظريات إلى مجرد سلوك فاضل، ومعاملة حسنة؛ فقد أتى الرسول لإتمام مكارم الأخلاق. لذلك نشأت مدرسة دينية فلسفية تجعل الأخلاق جوهر الدين مثل مسكويه والراغب الأصفهاني والصوفية، والبروتستانتية الليبرالية عند هارناك، والكاثوليكية التجديدية عند لوازي، واليهودية الإصلاحية عند اسبينوزا ومندلسون. فالتقوى في القلب، والعمل الصالح جوهر الإيمان، قد تختلف الناس حول العقائد الدينية والنظريات الفلسفية ولكنها تتفق حول القيم والفضائل وقواعد الأخلاق، ولا تتطلَّب الأخلاق بالضرورة الإيمان بالدين أو بممارسة التأمل الفلسفي، بل قد يمارسها من لا يطيق الشعائر ولا العقائد من الصفوة ومن لا يعقل التعقيد والبعد عن البساطة والوضوح كما يفعل الجمهور، العقائد والفلسفات تفرق الفضائل والأخلاق تجمع. العقائد والفلسفات الحد الأعلى الَّذي قد لا يصل إليه أحد على وجه اليقين، والقيم والفضائل الحد الأدنى الَّذي يصل إليه كل الناس يقينًا.

- (٤) «الخطاب القانوني»، وهو اختزال للخطاب الديني والفلسفي والأخلاقي، إلى مجموعة من الأوامر والنواهي؛ فالدين شريعة، والفلسفة مواعظ، والنظر عمل؛ لذلك ازدهر منطق القانون داخل الخطابَيْن الديني والفلسفي مثل القياس في الشريعة الإسلامية والحلقا في اليهودية والقانون الكنسي في المسيحية، بل توحَّدت الشريعة مع الدين وأصبحت أهم من العقائد والفلسفات النظرية مثل الشريعة اليهودية والشريعة الإسلامية، والخطاب القانوني خطاب عام للناس جميعًا يضع قواعد للسلوك وعقوبات في حالة خرق القانون، يعتمد على العقاب أكثر مما يعتمد على الجزاء، وقد يصل العقاب إلى حد الموت، وعادة ما تحدث المفارقات بين القاعدة والتطبيق، بين صورية القانون وماديته، بين الشدة واللين، بين حسن النية وسوئها، بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة، وقد نشأت المدارس السلفية والأرثوذكسية للتأكيد على هذا الجانب في الخطاب الديني، ووضعت في الشريعة الإسلامية العزيمة والرخصة طبقًا للقدرة، والتعزيز تقديرًا للعقوبة.

- (٥) «الخطاب التاريخي»، وهو الخطاب البديل عن التوجيه والإرشاد المباشرَيْن إلى الاتعاظ بحوادث التاريخ ومساره واستعادة نماذج بطولاته ومفاخره؛ فالحاضر حله في الماضي، والمدينة الفاضلة كانت في عصر النبوة والخلافة وستعود بعد الموت في الحياة الأخرى، والحاضر دعاء وابتهال لانفراج الأزمة وتخفيف الكرب، وقد يكون الخطاب التاريخي وضعيًّا مهمته الإخبار؛ فالخبر أحد مصادر المعرفة، في هذه الحالة يتم التحقُّق من صدق الروايات أولًا كما بيَّن ابن خلدون في أول «المقدمة»؛ لذلك وضع علماء الحديث علمًا بأكمله من أجل التحقق من صدق الرواية عن طريق اتصال السند، النقد الخارجي، أكثر من تحليل المتن، النقد الداخلي،[٨] وهو ما سماه المحدثون نقد المصادر ونقد النص.[٩]

- (٦) «الخطاب الاجتماعي السياسي»، وهو الخطاب الَّذي يتحول من الخطاب الديني بعد اختزاله عدة مرات إلى الخطاب الإنساني الذي يبدأ بالمجتمع ويصدر عنه خاصة خطاب الزعماء السياسيين والقادة والرؤساء والوزراء ورجال الأعمال بل والخطاب في الحياة اليومية من بسطاء الناس؛ فاللغة اتصال، والاتصال بين الذوات، والذوات أعضاء في مجتمع وفي نظام سياسي، الغرض منه الترابط الاجتماعي، والصراع أحد مظاهره، أو التأثير في الناس وتوجيههم كما هو الحال في الخطاب الأيديولوجي، يكشف الخطاب عن صراع الأهواء والمصالح والإرادات والقوى الاجتماعية والتنظيمات السياسية في حراك اجتماعي بالرغم مما قد يبدو على المجتمع من فترات سكون وحركة تاريخية تدفع بالمجتمع إلى الأمام أو تجذبه إلى الخلف في مسار تاريخي يحكمه قانون التاريخ.

- (٧) «الخطاب الأدبي الفني»، وهو الخطاب النقدي الَّذي يقوم بتحليل الأعمال الأدبية والفنية لبيان جمالياتها، صورها وأساليبها، وقدرتها على التأثير في الملتقِّي وإثارة خياله، ومقدار ما فيها من إبداعٍ من جانب الأديب والفنان. وهو خطاب يجمع بين الذاتية والموضوعية، بين رؤية الأديب والفنان وبين الواقع الَّذي يصورانه ويعبران عنه، وقد تكمن الحقيقة في الجمال أي على المستوى الوجداني الانفعالي وليس على مستوى التجريد العقلي كما هو الحال في الخطاب المنطقي الرياضي أو الطبيعي المادي كما هو الحال في الخطاب العلمي، صاغه النقاد العرب مثل عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني وأعاد صياغته علماء النقد والجمال المحدثون خاصة مدرسة فرانكفورت. العمل الأدبي أو الفني نفسه إبداع، وتحليله نقديًّا يدخل في إطار الخطاب النقدي الجمالي.

- (٨) «الخطاب الإعلامي المعلوماتي»، وهو الخطاب الَّذي يهدف إلى الإخبار بالحوادث ليس بهدف العلم وحده بل أيضًا للتأثير على السامعين وتوجيههم في اتجاه خاص بكيفية تقديم الخبر والإعلام به وصياغته، فلا يوجد خبر إلا من وسائل الإعلان عنه، كما لا يوجد مضمون بلا صورة، وهو الخطاب السائد والشائع والذي تحول في هذا العصر إلى الخطاب الرئيسي؛ لأنه الطريق إلى القوة في السياسة والاقتصاد، وأشهر مثل على ذلك هو الإعلانات في وسائل الاتصال السمعية والبصرية، وقد تطور الإعلام نفسه حتى أصبح علمًا مستقلًّا هو المعلوماتية،

وتحول من علم إنساني تقليدي إلى تكنولوجيا حديثة تهدف إلى تنظيم المعلومات والاستفادة منها في كيفية صنع القرار.

- (٩) «الخطاب العلمي المنطقي»، وهو أشد أنواع الخطاب صرامة ودقة، يعتمد على تحليل القضايا العلمية والرياضية المنطقية، وهي نفس القضايا وإن كانت موضوعاتها أحيانًا تبدو متباينة، موضوعات صورية خالصة في المنطق والرياضة، وأخرى طبيعية مادية في العلوم الطبيعية؛ فالرياضة هي القاسم المشترك الجامع بينهما كما هو الحال في المنطق الرياضي وفي الطبيعة الرياضية، ويحاول تجاوز اشتباه اللغة العادية ووضع لغة رمزية جديدة أحادية المعنى، كما يحاول الوصول إلى أكبر درجة من الدقة والموضوعية والتخلص من كل الجوانب الذاتية والشخصية، وسائل التحقق من صدقه جزء منه حتى يمكن الوصول إلى قوانين عامة يتم من خلالها السيطرة على الطبيعة والتحكم في الذهن البشري عن طريق معرفة قوانين الفكر، وهو الخطاب الذي يزهو به الغرب الحديث ويعتبره من أهم إنجازاته بالرغم من مساهمة الحضارات القديمة فيه وبلوغه الذروة في الخطاب العلمي المنطقي العربي قبل أن يتحول إلى الخطاب العلمي المنطقي الغربي الحديث.

ويبدو أن أنواع الخطاب في الأدبيات المعاصرة قد تم استبعادها لحساب عمومية الخطاب وإخضاعه لمنطقٍ لغويٍّ ومنهج تحليلي واحد، وفي العمومية تختفي الخصوصية؛ فقد اتجهت المدارس اللغوية المعاصرة نحو الشكل دون المضمون؛ وبالتالي لم تُعنَ إلا بالألفاظ والتراكيب، والمضمون يعني أي مضمون، المضمون من حيث هو مضمون دون تخصيصه بديني أو فلسفي أو أخلاقي أو قانوني أو تاريخي أو اجتماعي سياسي أو أدبي فني أو إعلامي معلوماتي أو علمي منطقي؛ فالخطاب أصوات ونبرات أكثر منه معانٍ ودلالات، وتترك الدراسات اللغوية المعاصرة أنواع الخطاب إلى ميادينها خارج علم اللسانيات العام، فالخطاب الديني جزء من الفكر الديني، والخطاب الفلسفي أحد موضوعات الفلسفة، والخطاب الأخلاقي موضوع من موضوعات الأخلاق، والخطاب القانوني جزء من منطق القانون، والخطاب التاريخي يدخل في فلسفة التاريخ، والخطاب الاجتماعي السياسي جزء من العلوم الاجتماعية والسياسية، والخطاب الأدبي الفني جزء من علوم النقد، والخطاب الإعلامي المعلوماتي الموضوع الرئيسي لعلوم الاتصال، والخطاب العلمي المنطقي جزء من فلسفة العلوم، فأنواع الخطاب في اللسانيات المعاصرة تدخل في علومها الخاصة، وليس في علم اللسانيات نظرًا لسيادة النزعة الشكلية فيه، من الواضح أن علم اللسانيات قد استقلَّ بنفسه عن باقي العلوم الإنسانية، وأصبح الخطاب فيه خطابًا لغويًّا خالصًا بصرف النظر عن مضمونه وموضوعه وقَصْده وباعثه.[١٠]

(٣) أبعاد الخطاب

- (١) عالم اللغة، الألفاظ المستقلة عن المعاني أو المرتبطة بها.
- (٢) عالم المعاني، المعاني المستقلة عن الألفاظ.
- (٣) عالم الأشياء، العالم الخارجي المستقل عن الألفاظ والمعاني.
- (٤) عالم الأفعال، الأوامر والنواهي.

وأبعاد الخطاب هي مستوياته أو مكوناته أو عوالمه وهي أربعة:

- (١) عالم اللغة، الألفاظ المستقلة عن المعاني أو المرتبطة بها، وهو ما يعادل مباحث الألفاظ في علوم اللغة، تقسيم الجمل إلى اسم وفعل وحرف، والاسم إلى نكرة أو معرفة، مذكر أو مؤنث، مفرد أو مركب، والفعل إلى زمان وصيغة، والزمان إلى ماضٍ وحاضر ومستقبل، والصيغة إلى متكلم ومخاطب وغائب إلى آخر ما هو معروف في علم النحو والصرف العربي القديم وفي اللسانيات المعاصرة التي استقر فيها التحليل الصوري للغة في علم الأصوات وعلم التراكيب،[١١] كما وضح عند أرسطو في مبحث المقولات وعند علماء تحليل اللغة المعاصرين وزدم Wisdom وفتجنشتين Wittgenstein ومور Moore وكواين Quine وفي التفكيكية المعاصرة Deconstructionism عند دريد Derrida تحت هيدجر، فاللغة أصوات أو وحدات كتابية انتقالًا من الشفاه إلى التدوين، ومهمة التفكيك القضاء على قوة العقل Logomachos بحيث يتم اكتشاف أنه وراء عالم اللغة لا يوجد عوالم أخرى، لا معاني ولا أشياء ولا أفعال. «الكتابة في نقطة الصفر» كما يقول كارل بارت.[١٢]

وإيجابيات هذا المستوى هو تجاوز لغة الدين ولغة الميتافيزيقا من أجل إخضاع اللغة باعتبارها لغةً إلى منطق محكم للألفاظ خاصة في مجتمع يغلب عليه الخطاب الإنشائي، وكثرة استعمال المترادفات وأشكال السجع العقلي؛ لذلك يغلب على هذه الدراسات المعاصرة الطابع التطبيقي العملي التعليمي الشفاهي بالرغم من صوريتها وعدم وضوح الغاية أو القصد، وخلوها من الإيماء والإيحاء والمجاز والبعد الجمالي التأثيري في اللغة،[١٣] وسلبياته الوقوع في الصورية الخالصة وكأن عالم اللغة لا شأن له بباقي مستويات الخطاب، المعنى والأشياء والأفعال، وهو المستوى الَّذي ركزت عليه بعض الدراسات اللغوية المعاصرة في تحليل الخطاب والتي يغلب عليها التحليل الكمي.

وقد ترتبط الألفاظ بالمعاني دون أن تستقبل المعاني عنها كما هو الحال في علوم البلاغة، البيان والبديع في علوم اللغة العربية القديمة، وفي مباحث الألفاظ عند الأصوليين مثل: الحقيقة والمجاز لإظهار بعد الصورة والخيال، الظاهرة والمؤول لاكتشاف أعمال النفس في فَهْمها للخطاب، المحكم والمتشابه لاكتشاف ضرورة الجهد الإنساني المتغير عبر الزمان لإيجاد دلالاتٍ متغيرة للخطاب بالإضافة إلى ثوابته، والمجمل والمبين لإخراج المسكوت عنه بالإضافة إلى المنطوق به، كما ظهر هذا البُعْد أيضًا في علوم القرآن في التساؤل عن إعجازه وكما هو معروفٌ في «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني واضعًا نظرية «التخييل». كما ظهرت مشكلة النقل والعقل في علم أصول الدين والتفسير بالمعقول والتفسير بالمأثور، والخلاف بين أهل الرأي وأهل الأثر، وبين البصريين والبغداديين في القياس اللغوي، وبين جمهور الأصوليين وأهل الظاهر حول القياس الشرعي لتدخل العقل في فهم الخطاب، وهو ما حاوله أرسطو أيضًا في مبحث العبارة وتحليل الألفاظ المترادفة والمشتركة والمتواطئة، وأوغسطين في «الفقيه المسيحي»، وهوسرل في «منطق القضايا» في «المنطق الصوري والمنطق الترنسنتالي»، وفي علوم اللغة المعاصرة مثل علم الإشارات Semiotics وعلم

الدلالات Semantics وهي أساس علوم التأويل،[١٤] وإيجابيات هذا المستوى لتحليل الخطاب هو التوازن بين اللفظ والمعنى وإن كانت سلبياته في الوقوع في هذه الثنائيات المثالية القائمة على التمايز بين المعنى واللفظ مثل التمايز بين الله والعالم، وبين النفس والبدن؛ لذلك ركزت بعض الدراسات المعاصرة في التحليل للخطاب على الصور اللغوية ووظائفها ودور السياق والاتساق في التفسير.[١٥]

- (٢) عالم المعاني المستقل عن الألفاظ: وهو أقرب إلى معاني العقل عند الفلاسفة، الإشراقات والإلهامات والنبوات، أو معاني النفس عند الصوفية، البرقات والهوامع واللوامع والتي لا يمكن صياغتها في لفظ أو عبارة إلا لغة الرمز والإشارة والمصطلحات التي لا يفهمها إلا أهلها، والصمت لغة قد تكون أبلغ من الكلام، وهو أقرب إلى عالم المثل عند أفلاطون، والمعاني في النفس عند أوغسطين، والأفكار الفطرية عند ديكارت وصور الحساسية ومعقولات الذهن ومثل العقل عند كانط، عالم الأفكار القبلية، وعالم الأنماط الأولية Archetypes عند يونج، والماهيات المستقلة عند هوسرل، وكما توجد النفس بلا بدن كذلك يوجد المعنى بلا لفظ كما يقارب الغزالي بين العلاقتين. ولا يمكن إدراك هذه المعاني إلا بالحدس أو الاستبطان إدراكًا ذاتيًّا؛ لذلك ارتبط هذا العالم بالسيرة الذاتية واليوميات والتأملات وبأحاديث النفس وبالمناجاة والنزعة الرومانسية التي وضحت في علوم التأويل عند ريتشيل وشليرماخر وعند بعض الفرق الصوفية مثل «المرتعشون» Quaker، ومذهب السكينة Quietism وتفسير الأحلام.[١٦] ويمتاز هذا المستوى لتحليل الخطاب بأنه يركز على المعنى ورؤية الماهيات وحديث النفس وتجاوز الوسيلة إلى الغاية وعيبه الإيغال في النزعة الباطنية الصوفية، والتراسل الروحي بين الذوات دون حاجةٍ إلى أدوات اتصال مثل اللغة، واستبدال الرؤية بالصوت المسموع.

- (٣) عالم الأشياء، العالم الخارجي المستقل عن الألفاظ والمعاني؛ وهو عالم التحقُّق من صدق القضايا التي تصدر أحكامًا على الواقع حتى تصبح أحكامًا علمية؛ لذلك ركز العلم على مبدأ التحقق Verification أو الصدق Veracity. الأشياء ليست لغة بل توجد في العالم الخارجي الذي يميل إلى اللغة، من المفهوم إلى الماصدق، وقد اعتبر هيدجر اللغة منزل الوجود، كما تبنت الوضعية الاجتماعية عند دوركهايم وليفي بريل هذه النزعة الشيئية واعتبرت الظواهر الاجتماعية أشياء، وتتم رؤية الأشياء في العالم الخارجي رؤية مباشرة عند برجسون، بالتعاطف معها، والتكيف مع العالم، والتوجه مع حركتها والتوقُّف مع مسارها، كما يمكن إدراكها بحركة الجسم نموها عند ميرلوبونتي، بالسباحة في بحر الأشياء وبالغوص في محيط العالم، وقد جعل هوسرل شعاره العودة إلى الأشياء ذاتها دون توسط اللغة أو حتى المعاني عودة للبراءة الأصلية في العالم وفي النفس، كما دعا روسو من قبل إلى «العودة إلى الطبيعة»، وقد ميزت الوضعية المنطقية بين القضايا التحليلية والقضايا التركيبية لهذا السبب؛ فمقياس الصدق في الأولى تطابق النتائج مع المقدمات، وفي الثانية تطابق الأحكام مع الواقع. الأولى يقين الرياضيات والثانية يقين العلوم الطبيعية التجريبية، وهو ما ركزت عليه أيضًا بعض الدراسات المعاصرة في تحليل الخطاب بالحديث عن فحوى الخطاب ونتيجة الخطاب والخبر ومرجعية

الخطاب والاتساق في تفسير الخطاب، ولم يَغِبْ هذا البعد الَّذي اشتهر به التراث الغربي الحديث عن التراث الإسلامي القديم عند الصوفية وتمييزهم بين علم اليقين؛ مستوى المعاني، وحق اليقين؛ مستوى التصديق، وعين اليقين؛ مستوى الرؤية. كما ميز الأصوليون بين أنواع الخبر الذي يمكن التحقق من صدقه من ناحية، وكل الصيغ الإنشائية من تمنٍّ وتعجب واستفهام واستنكار وتعجُّب من ناحيةٍ أخرى. الأولى تعبِّر عن عالم الأشياء في مقابل عالم التمني. والآية في القرآن تعني العبارة والظاهرة الطبيعية في آنٍ واحدٍ من أجل إظهار مبدأ التحقُّق، تحقق الآية كلغة في الآية كطبيعة، كما تم استخراج الألفاظ الأعجمية في القرآن لبيان صلة اللغة بالواقع التاريخي في شبه الجزيرة العربية، وتم تحليل ألفاظ الرواية في الحديث للتمييز بين مستويات خمسة من صدق الخبر، السماع المباشر في «سمعت»، وغير المباشر في «قال»، وإبراز مضمون القول في «أمر» أو «نهى»، وتعيين المأمورين في «أمرنا» أو «نهانا»، ووصف الواقع الفعلي أثناء النبوة «كنا نفعل». كما ارتبط النص القرآني بالواقع المكاني في «أسباب النزول» وبالواقع الزماني في «الناسخ والمنسوخ» مما يدل على صدق الوحي، إجابة على سؤال أو استجابة لتطور. ويقاس القياس الأصولي على التحقق من وجود علة الأصل في الفرع عن طريق التجربة والمشاهدة. وقد أصبح من المشهور وضع العلماء العرب قواعد المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية قبل العلم الغربي الحديث،[١٧] ويمتاز هذا البعد في تحليل الخطاب بإيجاد مرجعيةٍ له خارج اللغة؛ فاللغة وسيلة وليست غاية، وصدق الحكم في تحقيقه، ويعيبه أحيانًا ضيق الأحكام، وطابع التصديق الحرفي، وإسقاط الإنسان الَّذي يقوم بعملية التحقُّق، وغلبة الطابع النفعي البرجماتي من أجل السيطرة على الطبيعة.

- (٤) عالم الأفعال، الأوامر والنواهي؛ وهو البعد الإنساني للخطاب الذي يبين أن الخطاب ليس مجرد صياغة لغوية، البعد الأول، وليس التعبير عن معانٍ، البعد الثاني، وليس التحقق من صدقه في الواقع، البعد الثالث، بل هو اقتضاء فعل كما يقول الأصوليون، نداء لسلوك، توجه نحو الممارسة، ودافع للحركة والتغير الاجتماعي؛ فالله تكلم، وكلامه فعل «كن فيكون». وقد خصص الأصوليون ضمن مباحث اللغة مبحثين للإشارة إلى عالم الأفعال هما الخاص والعام للتمييز بين الأمر الفردي والأمر الجماعي، والأمر والنهي للتمييز بين اقتضاء الفعل واقتضاء الترك، وقسموا أحكام التكليف وهي صيغ الأفعال إلى خمسة: الفرض أو الواجب ومقابله المحرم بين قطبي الفعل والترك الضروريين، الإيجاب والسلب الحتميين، والمندوب والمكروه أيضًا بين قطبي الفعل والترك ولكن على الاختيار دون إجبار، وأخيرًا المباح أو الحلال أو العفو أو البراءة الأصلية، وهو الفعل الطبيعي على الفعل أو الترك دون ما حاجة إلى تكليف إيجابي أو سلبي، كما أوَّل الصوفية النصوص تأويلًا عمليًّا وحولوها إلى رياضات ومجاهدات روحية صعودًا إلى مصدرها الأول لمعاينته بينما أنزل الفقهاء فيها استنباطًا أحكام التكليف في صراع مشهود بين التنزيل والتأويل، بين الفقهاء والصوفية.

وقد انتبه أخيرًا التراث الغربي إلى منطق الأفعال Deonticiogic، وظهرت نظرية الخطاب- الفعل عن أوستن J. Austin، وكذلك خطاب البروتوكولات Protocol Speech أو خطاب

التنفيذ Performance speech، وصاغ بيرس Ch. S. Pierce منطق السلوك Pragmatics اللغة فيه دعوى إلى الفعل، كما تناول عديد من الفلاسفة المعاصرين نفس القضية، فمصير النص وغايته الفعل عند ريكير، والمعرفة عند هابرماس فعل اتصال، والفعل أداة اتصال الله بالعالم عن طريق الكلام أو المعجزة، فالفعل عند بلوندل ظهور الفضل الإلهي في الإنسان ودليل على وجود الله، والفعل عن لافل هو سر الوجود، وكان ماركس من قبل قد جعل مهمة الفكر تغيير العالم وليس فقط فهمه متنقلًا من العقل Logos إلى الفعل Praxis.[١٨] وقد أبرزت بعض الدراسات المعاصرة هذا البعد السلوكي للخطاب فاللغة أيديولوجية وقوة، والخطاب يهدف في النهاية إلى التغير الاجتماعي والثقافي؛ لذلك كان تحليل الخطاب جزءًا من الوعي النقدي للفرد ومرآة للصراع الاجتماعي. ويمتاز هذا البعد السلوكي للخطاب بأنه إنساني فعال يهدف إلى التكوير والتغيير ويقضي على الخطاب النظري المجرد المغلق على ذاته، ويميز بين الوسيلة والغاية، ولكنه أحيانًا يوحي بالقهر والإلزام، والأمر الخارجي، فيضيع السلوك الطبيعي بين الأمر والمأمور، وصيغة الأمر في اللغة العربية ثقيلة على النفس، وكثيرًا ما تصطدم بالشعور بالحرية.

(٤) مناهج تحليل الخطاب

لا توجد مناهج محددة لتحليل الخطاب؛ فالمنهج يتطلب التركيب وترتيب الخطوات وهو ما يتنافى مع التحليل؛ لذلك غلب على الدراسات المعاصرة في تحليل الخطاب التحليلات الجزئية المتناهية في الصغر والتي يصعب ضمها في مناهج كلية يمكن تطبيقها؛ لذلك غلب عليها الطابع النظري أكثر من الطابع العلمي، والوصف والسرد دون التعقيد والتوجيه، والدراسات الميدانية الإحصائية التجريبية دون بناء نظري أو نتيجة عملية. هي أقرب إلى الدراسات المهنية الحرفية التي ينتقل أعلامها عن بعضهم البعض فيؤسسون أدبيات خاصة يتناقلونها فيما بينهم في دوائر مغلقة تعرف باسم اللسانيات التطبيقية، تقوم على تحليل لغة التداول والخطاب الشفاهي، والخطاب في الحياة اليومية والحوار والمشافهة وأحيانًا حديث النفس وليس النصوص العالمة الدينية أو الفلسفية أو الأدبية أو التاريخية إلى آخر ما هو معروف من أنواع الخطاب. وتحليل لغة التداول هو عود إلى الكلام الشفاهي قبل التدوين، عود إلى البدائية، كما أن التفكيكية تحول الكلام إلى وحدات كتابية، وكلاهما خروج عن بؤرة الخطاب باعتباره قصدًا وغاية وحركة وباعثًا وصراعًا. تغيب الغاية من التحليل والقصد منه وكأن اللغة مجرد أشكال وتراكيب، صياغات فارغة، فقرات وأصوات، علامات ورموز، قلب وعدل للعبارات في الحوار بلا مضمون وقصد. كل ذلك على المستوى الأول في تحليل الخطاب أي اللغة المستقلة عن المعاني والأشياء والأفعال، كما ارتبط تحليل الخطاب في الدراسات المعاصرة بتعلم الكلام وتحصيله وباضطرابات الكلام أي بعلم النفس المرضي. أصبح التحليل شكلًا بلا مضمون فكري أو نفسي أو أساس اجتماعي؛ لذلك يغيب الخطاب الفكري أو المقال الفلسفي لإثبات التحليل والتركيب وكأن التحليل غاية في ذاته وليس وسيلة للكشف عن مضمون فكري أو نفسي أو اجتماعي. غاب الفكر باعتباره قصدًا، والقصد باعتباره إحالة متبادلة إلى العالم ومعه، كما أدى التجريد

والتعميم واللغات المقارنة إلى القضاء على خصوصية اللغات وتعبير كل منها عن بنية ثقافية وتراكم تاريخي طويل، وطبيعة الفروع اللغوية، خاصة السامية والآرية وسيادة اللغات الآرية خاصة الإنجليزية وتعميم نتائجها على باقي اللغات، كما أن مادة التحليل مستمدة معظمها من نصوص شفاهية أو مدونة غير دالة لا معنى لها تصل إلى حد اللغو وإزاحة النصوص الدالة مثل النصوص الدينية التي تهدف إلى توجيه الأفعال وتقنين قواعد السلوك.

ومع ذلك يمكن التمييز بين أربعة مناهج في تحليل الخطاب:

- (١) تحليل الألفاظ؛ وينصب هذا المنهج أساسًا على البعد الأول للخطاب، ويهدف إلى ضبط استخدام الألفاظ والتراكيب، وربما استبدالها ووضع رموز بدلًا منها دفعًا للاشتباه وسوء استخدام الألفاظ، وقد استعمل المناطقة هذا المنهج ابتداءً من مبحثي المقولات والعبارة لأرسطو في الوضعية المنطقية المعاصرة. كما استعمله المناطقة الرياضيون في المنطق الرمزي.
- (٢) تحليل اللغة؛ وهو نفس المنهج ولكن على المستوى الثاني والثالث من أبعاد الخطاب، المعاني والأشياء، وهو المنهج الغالب في تحليل النصوص الفلسفية، يبدأ من المنهج الأول ويوسع مجاله، ولا يتوقف عنده بل ينتقل من اللفظ إلى المعنى، ومن المعنى إلى الشيء، ويقوم على التمييز بين الإنشاء كما هو الحال في القضايا الأدبية والخبر كما هو الحال في القضايا العلمية، بين التحليل والتركيب، الأول في القضايا الرياضية والثاني في القضايا العلمية.
- (٣) تحليل الأحلام بالذهاب إلى ما وراء الألفاظ والصور والخيالات لمعرفة دلالاتها النفسية الواعية واللاواعية؛ ويقوم بذلك صاحب الحلم نفسه أو المحلل النفسي، ومثال ذلك تحليل السيرة الذاتية وأحاديث النفس (المونولوج)، وهو منهج يكشف البعد النفسي الغائب في منهج تحليل الألفاظ ومنهج تحليل اللغة؛ فاللغة ليست مجرد تراكيب وبنيات بل هي مؤشرات على مقاصد ودلالات أعمق، المسكوت عنه هو أساس المنطوق.
- (٤) منهج تحليل المضمون؛ وهو المنهج الأشمل والأعم الَّذي يضم المناهج الثلاثة السابقة؛ تحليل الألفاظ، وتحليل المعاني وتحليل الأشياء من أجل تحليل الأفعال ووصف علاقة الإنسان بالكون، العالم الإنساني أو العالم الطبيعي، فالكلام اسم وفعل وحرف أي أشياء وأفعال وعلاقات، يحيل بالضرورة إلى العالم الخارجي ويكشف عن الأبعاد الأربعة للخطاب، والاسم نكرة أو معرفة، النكرة يتكرر بلا هوية خاصة والمعرفة مفرد لا يتكرر، علم بارز. وهو بسيط أو مركب يشير إلى شيء واحد أو إلى شيئين مضافين، وهو مفرد أو جمع، مثنى أو مذكر أو تكسير، والمفرد لا يجمع مثل الله، ويضاف إلى ضمائر الملكية في حالة الملكية أو يظل جوهرًا فرادًا في العالم لا يمتلكه أحد مثل الله والأرض والسماء والجبال والأنهار والمحيطات والرياح وكل مظاهر الطبيعة التي يعيش الناس فيها ولا يمتلكونها. وضمائر الملكية لها دلالات خاصة إذا كانت للمتكلم أو للمخاطب أو الغائب، للفرد أو الجمع؛ فالمال فلا يضاف إلى ضمير المتكلم إلا مرة واحدة وبصيغة السلب «هلك عني سلطانيه» في حين أنه يضاف جمعًا إلى ضمير الغائب عشرات المرات «أموالهم» مما يدل على أن الأموال للملاك الغائبين، وقد يرفع الاسم أو ينصب أو يجر حسب وضعه فاعلًا أو مفعولًا أو مجرورًا، والفاعل أقوى من المفعول،

والمفعول أضعف من الفاعل، والفعل له زمان، ماضٍ وحاضر ومستقبل لسرد التاريخ أو وضع الحقائق أو التحذير من العاقبة، ويضاف أيضًا إلى الضمائر، المتكلم والمخاطب والغائب، المفرد أو الجمع وأكثرها الغائب تلبية لمجموع البشر، كما أن للتكرار دلالته على أهمية الموضوع؛ فالاسم الذي لا يتكرر ليس محورًا في الفكر مثل لفظ «زهد» الذي ذكر واحدة سلبًا وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ، واسم الفاعل أقوى من اسم الفعل لأنه يدل على الفاعلية، والمصدر الصريح أقوى من المصدر المؤول، والاسم مثل «توحيد» أقوى من «واحد»؛ لأنه يدل على فعل التوحيد، والحرف له دلالته على العلاقة مثل لفظ «المال» الذي يتكون من حرف صلة «ما» وحرف الجر «ل». فالمال ليس جوهرًا بل علاقة أي وظيفة اجتماعية مما ينفي شكل الملكية المباشرة، كما أن للسياق معناه الَّذي تنتج تحته معاني الألفاظ، وهو ما يسمى فحوى الخطاب، المعنى المباشر له أو لحن الخطاب، ما يستفاد من إيحاءاته وإيماءاته وإشاراته. والجملة الاسمية تبدأ بالجواهر، والفعلية بالأفعال للدلالة على العالم الموضوعي ثم العالم الذاتي. وتكشف صيغ الكلام عن الجملة الشرطية للدلالة على توقف الفعل على فعل آخر، الاعتماد المتبادل، والجملة الرئيسية والجملة الفرعية؛ لأن الكلام له قلب وأطراف. والصيغ الإنشائية كلها، الاستفهام والتمني والتعجب تدل على الجانب الذاتي في الكلام في حين تدل الصيغة الخبرية على الجانب الموضوعي فيه. والتقديم والتأخير لهما دلالتهما في أهمية المقدم، اسمًا أو فعلًا أو حرفًا.

إن الهدف من منهج تحليل المضمون هو أخذ كل الدلالات اللغوية والمعنوية والواقعية والفعلية للخطاب طبقًا لأبعاده الأربعة، ووضع النص في سياقه الاجتماعي وفي آلياته الاتصالية، ومعرفة النص بأكبر قدر من الموضوعية والشمول من أجل العثور على بنية الفكر وهي نفسها بنية الموضوع، وهو نوع جديد من التطابق كضمان للموضوعية، بين الفكر والواقع، بين المعرفة والوجود.

الهدف إذن من تحليل الخطاب هو ضبط اللغة من أجل إحكام معاني الألفاظ دون الوقوع في الإنشاء، ومعرفة المعاني الواضحة ضد مخاطر الاشتباه، ورصد البواعث والمقاصد في الخطاب لمعرفة مساره وتوجهاته؛ ومن ثم يمكن المساهمة في إحكام الخطاب العربي المعاصر ودفع الاتهامات بأن العرب ظاهرة صوتية، وأن حضارتهم نصية، وأن عقليتهم عقلية تأويلية، وأنهم لا يحسنون الكلام وبضاعتهم الكلام. وعلى أفضل تقدير سيظلون شعراء لا علماء.

[١] -جامعة فيلادلفيا، المؤتمر العلمي الثالث، ١٢ آذار (مارس (١٩٩٧، »تحليل الخطاب العربي»، ص١٧–٣٨ .

[٢] -انظر دراستنا: مدرسة الأشكال الأدبية في دراسات فلسفية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧ .

[٣] -John Myhill: Topological Discourse Analysis. Quantitative Approaches to the study of Linguistic function, Blackwell, USA 1992.

[٤] -Gillian Brown. George Yule: Discourse Analysis, Cambridge University Press, USA 1983.

[٥] -Malcolm Coulthard, Martin Montogomry, ed: Studies in Discourse Analysis. Routeledge & Kegan Paul, London 1981.

[٦] -Malcolm Coulthard: An Introduction to Discourse Analysis, Longman, London 1981.

[٧] -Norman Fariclougih: Critical Discourse Analysis, the critical Study of language, longman, London 1995.

[٨] -انظر دراستنا: «من نقد السند إلى نقد المتن»، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الخامس، القاهرة ١٩٩٦ .

[٩] -وأيضًا Langlois & Seignobos: Introduction, aux etudes historiques. :

[١٠] -تكاد تخلو الدراسات الخمسة السابقة الرائدة في علم تحليل الخطاب من فصل واحد عن أنواع الخطاب أو أقسامه، بالرغم من أن فوكو مؤسس البنيوية التي خرجت منها اللسانيات المعاصرة عند دي سوسير De Saussure وجاكبسون Jakoposon قد كتب «الخطاب الفلسفي Le Disours Philosophique «وأسس «حفريات المعرفة» كلها على تحليل وحدات الخطاب المعرفي:

Faucault: Le Discours Philosophique, Paris, Gallimard.

Faucault: L' archelologie du Savoir, Paris, Gallimard.

[١١] -وقد وضح ذلك في المبادئ اللغوية في مقدمة «المستصفى» للغزالي .

[١٢] -Jacques Derridda: La Grammtologie, Ed. De Seuil, Paris.

R. Baruth: L'Ecrnititure au point Zero.

[١٣] -وهو مستوى بحث هادي النعمان: الظواهر اللغوية الحديثة في الخطاب الإعلامي العربي، المنشور في هذا المجلد .

[١٤] -John Myhill: Topological Discourse Analysis. Quantitative Approaches to the study of Lingusitic function.

Malcolm Coulthard, Martin Montogomry. ed: Studies in Discourse Analysis.

[١٥] -Saint Augrstin: Le Magistere Chretien.

Husserl: Logique Formelle et Logique Transeendentale.

[١٦] -انظر بحث عصام نجيب: الأسس النفسية للخطاب.

Gillian Brown. George Yule: Discourse Analysis.

[١٧] -انظر دراسات:

- صالح السنوسي: أزمة المصداقية في الخطاب السياسي العربي.
- د. أسمهان عقلان: دور الأحداث التاريخية في صياغة الخطاب السياسي.
- نور الدين الأسد: مفارقة الخطاب للمرجع.
- محمد خرماش: مفهوم المرجعية وإشكالية التأويل في تحليل الخطاب .

[١٨] -• P. Ricoeur: De Texte A l'eaction.

• P. Habermass: The orny of communicative action.

• M. Blondel: L' Action. (2 vols).

• L. Avelle: L' Acte.

المحاضرة نقلت من الموقع:https://www.hindawi.org/books/79720596/1.1/

المحاضرة الثالثة: مستويات تحليل الخطاب

المحاضرة الثالثة: مستويات تحليل الخطاب

1/التحليل البنيوي للخطاب الشعري ــ د.فاتح علاق

لقد جاءت البنيوية كمنهج نقدي لتركز على الأدب من حيث هو لغة خاصة، بنية تترابط عناصرها بحيث لا يمكن استبدال كلمة بأخرى أو حذف عنصر أو اختزال النص دون أن يختل. فالنص شبكة من العلاقات الداخلية الخفية التي تربط جملة الوحدات البنائية .واللغة الأدبية لغة بنيوية تختلف عن اللغة الفلسفية والدينية والعلمية التي يمكن استبدالها أو اختزالها لأنها لغة اصطلاحية تؤدي معاني محددة. ويتمثل النقد البنيوي كمنهج لغوي في اكتشاف البنى أولا وتحليلها ثانياً بالتدرج من البنية السطحية من خلال المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية إلى البنية الدلالية العميقة. فالبنية ليست مجرد شكل المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية إلى البنية الدلالية العميقة. فالبنية ليست مجرد شكل وإنما مضمون أيضاً، هي جوهر اللغة الشعرية (1). ومن ثم فهي ليست جاهزة أو محددة وإنما تكتشف، ذلك أن كل بنية مرتبطة بكل بنية في النصوص تتلون بها وتلونها .ولا يمكن معرفة دلالتها إلا بعلاقتها المتعددة بغيرها من البنيات. فهي تتميز بالكلية والتحول والتحكم الذاتي (2). ومن ثم فالنص بنية متلاحمة العناصر، بنية كبيرة تحتوي على بنى متفاوتة من حيث الطول، فهناك وحدات صغرى كالبنية الصوتية والصرفية، وهناك وحدات أكبر كالبنية التركيبية ووحدات كبرى مثل البنية السردية أو الوصفية أو الحوارية. والمنهج البنيوي ليس منهجاً متعالياً على النص كالمنهج الاجتماعي أو النفسي وإنما هو منهج محايث للنص، يتشكل مع عملية الاكتشاف والتحليل وليس منهجاً جاهزاً يطبق على جميع النصوص بالتساوي(3). فما يصلح لنص ليس بالضرورة أن ينطبق على نص آخر، وما يلائم النص السردي قد لا يلائم النص الشعري. والمنهج البنيوي ليس منهجاً شكلياً يتوقف عند المستوى السطحي للنص بل يتخلل كل البنى ليصل إلى البنية العميقة له. ذلك أن البنية كما أشرنا سابقاً ليست مجرد شكل بل مضمون أيضاً.
على أن البنيوية وإن انطلقت من جهود لغوية أساساً لدوسوسير والشكلانيين الروس وحلقة براغ وغيرها فإنها أخذت أشكالاً مختلفة(4 .(فالبنيوية بنيويات، فالبنيوية الشكلانية غير البنيوية التكوينية، والبنيوية الفرنسية غير البنيوية الأمريكية، وبنيوية بارت غير بنيوية جينات أو تودوروف وإن كان ثمة جذور مشتركة. ثم إن النقد البنيوي يختلف من دارس إلى آخر بحسب النصوص التي يدرسونها والمدارس التي ينضوون تحتها.

وكما اختلف النقد البنيوي في الغرب كذلك اختلف لدى الدراسين العرب من حيث المنظور والطريقة والإجراءات. ومن أهم هذه الدراسات (الخفاء والتجلي) لكمال أبي ديب و(حركية الإبداع) لخالدة سعيدة، و(معرفة النص) ليمنى العيد، و(الخطيئة والتكفير) لعبد الله الغذامي، و(الشعرية العربي الحديثة) لشربل داغر، و(بنية الخطاب الشعري) لعبد المالك مرتاض وغيرها. ولكل دارس من هؤلاء الدارسين طريقته في تحليل الخطاب الشعري وإن كانت تتفق في بعض المنطلقات النظرية والأدوات الإجرائية. فهي من حيث اهتمامها بالبنية تميز بين اللغة

والكلام، وتستند إلى مفهوم النسق والسياق والتزامن، وعلاقات الغياب والحضور كما تهتم بهيمنة عناصر على أخرى في تحديد البنية.
ولعل أهم الدراسات البنيوية في تحليل الخطاب الشعري (الرؤى المقنعة) و(جدلية الخفاء والتجلي) لكمال أبي ديب. أما تحليله للشعر الجاهلي في كتابه الأول فيستند إلى جملة من المعطيات يذكرها في مقدمته هي:

1ـ التحليل البنيوي للأسطورة لليفي شتراوس

2ـ التحليل التشكيلي للحكاية عند بروب.

3ـ معطيات التحليل اللغوي والدراسات اللسانية والسيميائية والبنيوية الفرنسية.

4ـ معطيات أساسية في الفكر الماركسي في معرفة العلاقة بين بنية العمل الأدبي والبنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية

5ـ تحليل عملية التأليف الشفهي في الشعر السردي عند ملمان باري وألبرت لورد(5).

ويهدف الباحث من عمله هذا إلى بلورة منهج جديد يأخذ من هذه المعطيات السابقة ويطور صيغة أولية للمنهج بدأت مع دراسته لعبد القاهر الجرجاني وتطورت مع اطلاعه على الدراسات اللغوية الحديثة والنقد الجديد(6). على أن هذا الزعم لا يستقيم له، ذلك أن تحليله للشعر الجاهلي يقترب من التحليل الغربي(7 (أولاً، ولأنه لم يطلع على كتب سبقته في هذا المجال باعترافه هو ثانياً. ثم إن عدم إطلاعه وتوصله إلى آراء سبق إليها غيره لا يستقيم مع زعمه أنه يؤسس منهجاً بنيوياً عربياً أصيلاً وجديداً)8.

ويميز أبو ديب في حديثه عن بنية القصيدة الجاهلية بين بنية قصائد وحيدة الأبعاد تطغى عليها الذاتية مثل شعر الهجاء والحب وبعض قصائد الخمر والمرثية، وبين بنية القصائد المتعددة الأبعاد(9) التي تقوم على تجربة عميقة وثرية. وهو يحلل في هذا الكتاب قصائد كثيرة لشعراء جاهليين أمثال امرئ القيس وزهير وطرفة وعنترة ولبيد. وهو بعد أن يحلل هذه النصوص الشعرية المتعددة يصل إلى أن الحديث عن بنية ثابتة للقصيدة الجاهلية ((عبث يفتقر إلى أدنى شروط العلمية والمعرفة الشعرية))(10)، ذلك أن لكل قصيدة بنية تختلف عن غيرها .وهو في بحثه هذا يقف عند البنية ومكوناتها وعلاقاتها بعضها ببعض وعلاقتها بالرؤيا(11). على أنه في تحليله لهذه النصوص الشعرية يركز على الثنائية دون غيرها، وعلى الثنائية الضدية أكثر من غيرها.

))وبالرغم من أن محور الثنائية أساسي في المنهج البنيوي إلا أنه ليس وصفة جاهزة تصلح لاكتشاف الخواص المميزة لكل نص شعري... والاقتصار على المستوى الثنائي المباشر مصادرة قد تمنع الباحث من الاستجابة الحرة الواعية للنص واكتشاف نظامه الخاص))(12).

ونقف في هذه الدراسة عند نموذج معين هو تحليله لمعلقة لبيد بن ربيعة لمعرفة نجاعة الأدوات الإجرائية والمستويات التي وقف عندها في تحليل الخطاب الشعري. يبدأ أبو ديب باكتناه وحدة الأطلال ثم يخصص جزءاً للعناصر المهمة بنيوياً وعلاقاتها بعضها ببعض. وهو يستند في

تحليله للقصيدة إلى التحليل البنيوي للأسطورة لليفي شتراوس، ويتحدث عن البنية الأسطورية للقصيدة(13).

يبدأ الباحث تحليله بالإشارة إلى نمو القصيدة بنيوياً من خلال تدرجها من وصف الديار إلى صورة النساء الراحلات مع القبيلة، ثم توتر العلاقة بين الشاعر وبين حبيبته والتي تؤدي إلى الرحلة ووصف الناقة ليعود الشاعر إلى إصراره على قطع علاقته مع حبيبته. ويتطور هذا إلى الاعتزاز بالنفس ونظام القيم الذي يؤمن به ثم يتطور إلى الاعتزاز بالقبيلة. وهو يقف في تحليله للقصيدة عند الثنائيات فيشير إلى أن القصيدة تنمو عبر الثنائيات الضدية واللفظية. ويضع قائمة لهذه الثنائيات التي تقوم على التضاد والمزاوجة مثل: محلها فمقامها، حلالها وحرامها، ظباؤها ونعامها، نؤيها وثمامها، سومها وسهامها، إرضاعها وفطامها... إلخ . ويرى أبو ديب أن هذه الثنائية تمثل رؤيا الشاعر للوجود باعتباره مكوناً من ثنائيات ضدية ومفارقات ـ وهو هنا يهمل الثنائيات الأخرى التي تطغى على النص، والتي تشكل رؤيا الشاعر ـ فالشاعر يرى أن كل الذوات تقريباً تمتلك طبيعة ضدية إذ إنها سلبية وإيجابية في الوقت نفسه. فالقبيلة ذات إيجابية من حيث إنها توحد بين الفرد والجماعة لكنها تحمل ملمحاً سلبياً يتمثل في ذكر لئامها الذين يميلون إلى أعدائها. والبقرة التي تعطي الحياة تدمر الحياة من أجل أن تنقذ حياة صغيرها. والناقة ذات طبيعة ثنائية: فهي تعين الشاعر على نسيان أحزانه من خلال السفر، ولكنها من جهة أخرى تبعد الأحبة(14).

ويقدم الباحث مخططاً للقصيدة تبين لنا تطورها، فهي تبدأ بالجفاف والمجاعة والموت فتضطر القبيلة على هجرة الديار بحثاً عن الخصب وتصل إلى الأرض الخصبة ولكن بعد معاناة وعذاب وخوف، وتبقى مع ذلك مهددة بالمجاعة والموت والجفاف(15).
وفي هذا التحليل إهمال للمستوى الصوتي والصرفي والنحوي وتركيز على الدلالة .فأين دور الإيقاع والصورة الشعرية في بناء القصيدة؟ فهو يركز على العلاقات بين مكونات القصيدة وعلاقتها بالرؤيا دون اهتمام بالبنية من حيث هي تعبير جمالي مخصوص يكشف عن خصوصية في الرؤيا. ومن ثم ندرك أن تحليل القصيدة يشكو من نقص كثير، وأنه لا يضيء النص بقدر ما يضيعه. فهو يفككه ليصل إلى بنيته العميقة في علاقتها بالواقع الخارجي علماً أن القصيدة فن لا يتحدد بالخارج بل بمنطق داخلي يندرج ضمن سياق اجتماعي وثقافي.

ومثلما ركز في)الرؤى المقنعة) على الثنائية في تحليله للخطاب الشعري كذلك الأمر في كتابه)جدلية الخفاء والتجلي). كما نلاحظ هذا الربط بين البنية اللغوية والرؤيا، بين الفن والحياة. فهو يذكر أن هدف كتابه يتمثل في ((اكتناه جدلية الخفاء والتجلي وأسرار البنية العميقة وتحولاتها طموحاً إلى فهم عدد محدد من النصوص أو الظواهر في الشعر والوجود، بل إلى أبعد من ذلك بكثير: إلى تغيير الفكر العربي في معاينته للثقافة والإنسان والشعر، إلى نقله من فكر تطغى عليه الجزئية والسطحية والشخصانية إلى فكر يترعرع في مناخ الرؤية المعقدة، المتقصية الموضوعية والشمولية والجذرية في آن واحد...))(16). فأبو ديب لا يقف عند البنية اللغوية ذاتها ولكن يتجاوزها إلى البنية العميقة، إلى علاقة اللغة بالوجود. فبنية القصيدة ((تجسيد لبنية

الرؤيا الوجودية، بنية الثقافة والبنى الطبقية والبنى الاقتصاـ سية، والبنى الفكر ـ نفسية في الثقافة))(17). على أن أبا ديب لا يتجاوز العلاقة بين الثنائيات في القصائد التي حللها لأبي نواس وأبي تمام وأدونيس وغيرهم. فهو يركز على ثنائية الحياة والموت في أبيات تميم ابن مقبل، وثنائية القيد والإطلاق، الحركة والسكون في أبيات أبي محجن، وثنائية الانغلاق والانتشار في مقطوعة عمر بن أبي ربيعة وغيرهم. ونأخذ هنا مثالاً تحليله لقصيدة أبي تمام التي مطلعها:

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر * * * وغدا الثرى في حليه يتكسر

يبدأ الباحث بالإشارة إلى صورة التحول التي تتنامى ((من خلال سلسلة من الثنائيات الضدية أهمها: الزمن الماضي/ الزمن الحاضر، الانقطاع /الاستمرارية، الأرض/ السماء، التربة/ الزارع. وتخترق هذه الثنائيات جميعاً ثنائية ضدية جوهرية في رؤيا القصيدة هي الطبيعة (الربيع)/ الإنسان)المعتصم)))(18). وهو يقسم القصيدة إلى حركتين: الحركة الأولى وهي رؤية التحول الجوهري في الزمن عبر ثنائية الأرض/ السماء، الشتاء/ الربيع، المطر /الصحو، الثرى/ السحاب.
وتبدأ الحركة الثانية بثنائية الله /الوجود، فالله هو الذي حول الجفاف إلى خضرة. وثنائية المعتصم/ الرعية))فخلق الربيع هو خلق الإمام وقدرة الربيع على تحويل الطبيعة هي قدرة الإمام إضاءة الوجود وتحويل البلاد إلى زمن خصب))(19).
إن بنية القصيدة حصيلة حركتين: ((الأولى هي حركة التكامل والتناغم التي تؤسس بين سلاسل الثنائيات الضدية عبر القصيدة، والثنائية هي حركة التكامل والتناغم بين علاقتي التشابه والتضاد وسلسلة التشابهات والتضادات الجوهرية بين ذات الربيع الزمن الطبيعي الذي يتخلله من جهة، والمعتصم والزمن التاريخي من جهة أخرى))(20).
ويتناول الباحث الحقول الدلالية في الحركتين فيرى أن الأولى تتكون من أفعال التحول والتغير والتشابك والتداخل والثانية تتألف من أفعال الثبات والديمومة(21).

ويظهر هذا من خلال طغيان الجملة الاسمية في القصيدة والفعل المضارع بدلالته على الحاضر والثابت. ويربط دلالة القصيدة من خلال علاقات التشابه والتضاد بالعناصر اللغوية: الاستعارة والطباق والجناس وغيرها. على أنه يهمل تحليل الصورة، كما يهمل إيقاع القصيدة. وتحليله لهذه القصيدة لا يكاد يختلف عن تحليله لقصيدة لبيد بن ربيعة. فهو يهتم بالعناصر المكونة للقصيدة والحقل الدلالي الذي تنتمي إليه ويبحث في العلاقات القائمة بينها ليصل إلى البنية العميقة أو الدلالة.

أما خالدة سعيد فقد اختارت بعض النصوص الشعرية مثل (الغريب) لإبراهيم ناجي و(النهر والموت) للسياب وبعض النصوص لأدونيس وأنسي الحاج وغيرهم. وقد جمعت بين البنيوية الشكلية والدلالية لاقتناعها أن البنوية الشكلية تركز على الشكل دون المضمون(22). وهي لم تقف عند البنى الصوتية والإيقاعية وإن وقفت عند البنية الإفرادية. على أنها وإن وقفت عند

البنى التركيبية في قصيدة ناجي من أساليب النداء والاستفهام والتوكيد والنفي فهي لم تركز إلا على البنى المحورية في نص السياب. ولقد حددت الخطوات التالية في تحليل قصيدة ناجي:

ـ صيغ العبارات ودورها في توليد الدلالة أو المعنى.

ـ المفردات التي تتكون منها القصيدة

ـ الموضوعات التي تطغى على القصيدة

ـ استخراج الصور وتحليلها

ـ الوضعية الجوهرية للشاعر

ـ ملامح العلاقة مع المكان والجماعة(23)

وقد تناولت في دراسة الصيغ صيغة الخطاب التي تدور بين الشاعر (المتكلم (والحبيب (المخاطب)، أما ضمير الغائب فيرد وروداً خاطفاً يمثل جماعة مبهمة، الناس. وهو يكشف عن رؤية رومانسية تستبعد الجماعة. وتتناول أيضاً صيغ التراكيب من نداء واستفهام وتعجب ونفي وإنتاجها للمعنى. فالقصيدة ((تبدأ بالنداء والاستفهام وتوكيد الغربة وتنتهي بالنداء ونفي الصلة بالناس تتوسطها صورة التناقض المستغرب الذي يسكن أحشاء الشاعر))(24).

أما النقطة الثانية فتسعى إلى تحديد الحقل الدلالي لمكونات النص لمعرفة الموضوع الغالب عليه. فهناك كلمات الانفصال مثل: ياتاركي، غربة، ظنون. وكلمات الاتصال مثل لقاء، مجلسنا، وكلمات الوطن مثل وطن وسكن. وتصل إلى أن موضوع الاتصال والانفصال هو الغالب على النص إذ يتكرر ذكرهما ثلاث عشرة مرة. أما بالنسبة إلى الزمن فيكشف لنا تشاؤم الشاعر الذي يعود إلى الماضي لعدم قدرته على تجاوز جو الإحباط والخيبة. وتحدد بعد ذلك وضعية الشاعر من خلال ثنائيات القصيدة غربة/ وطن، انفصال/ اتصال، جرح/ رحمة، نار/ ابتراد، شقاء/ سعادة... وتصل إلى أن ثنائيات انفصال/ اتصال تشكل إطار القصيدة.

وتشير إلى بعض الصور مثل: ((إن غدا هوة لناظرها)) وفيه تجسيم للغد، و((فيها الظنون ترتعد)) وفيها تشخيص... وتصل إلى أن الشاعر لجأ إلى تجسيد وتشخيص المجردات ليكشف عن حدة الألم الذي يشعر به.

ولا شك أن هذا التحليل قد ربط الشكل بالمضمون في المستوى الصرفي والتركيبي لكنه أهمل المستوى الصوتي والإيقاعي، إضافة إلى أن دراسة الصورة جاءت مختصرة لم تفكك العلاقات اللغوية وتكشف عن الدلالات الفنية البعيدة مع إهمال بعض الصور التي تغني معنى النص وتشكل إطاره. هذا مع تركيز الباحثة على الدلالة أكثر من البنية وأشكالها المختلفة.

وإذا كانت الباحثة قد وضعت لنفسها خطة عمل في تحليل قصيدة ناجي فإنها لم تفعل في دراسة قصيدة (النهر والموت) للسياب. على أننا نستطيع معرفة ذلك بتتبع مراحل هذا التحليل. فقد بدأت دراستها بالوقوف عند هندسة القصيدة لمعرفة المفردات المكونة للقصيدة ووجدت أن الطابع الغالب على المفردات طابع الماء، فهناك42 إشارة إلى الماء تتوزع عبر حقلي الطبيعة والماء، وإضافة إلى وروده منفصلاً عنهما. وهي تستعين بالإحصاء لوضع جدول يبين طغيان

نسبة الماء في القصيدة. كما تشير إلى أن القصيدة تقوم على صيغة الخطاب الموجه إلى بويب، أي أنها مسرح بين النهر والشاعر.

وهي تقسم النص من خلال العلاقات المكونة له إلى حركات أربع:

ـ الحركة الأولى: وهي حركة تواتر بين المنغلق والمنفتح، وإيقاع الأبيات فيها إيقاع تحول وولادة.

ـ الحركة الثانية: وهي تنمو من خلال دوائر أربع تمثل تطور الحضورين الإنساني والكوني وتداخلهما.

ـ الحركة الثالثة: وفيها تتوالى التعابير المتعلقة بالرجولة والوعي والواقع.

ـ الحركة الرابعة: وفيها يندفع الشارع إلى أبعاد إنسانية نحو الأفق الميتافيزيقي(25).

وتنتقل الباحثة بعد هندسة القصيدة إلى حيوية النص:

وهي تحدد حيوية النص من خلال العلاقات الموجودة بين محاوره ومستوياته وصوره.

ـ أ ـ دينامية البنية: وتحددها بالعلاقات التي تربط بين محاور القصيدة ومستوياتها.

وهناك محوران أساسيان في القصيدة هما محور الإنسان ومحور النهر. وتتحرك القصيدة في مستويين: مستوى الحلم والأسطورة، والمستوى الاجتماعي والواقعي. وترى الباحثة شبكة من العلاقات بين المحورين والمستويين منها:

ـ علاقة تواز بين محوري النهر والإنسان وتضع لذلك جدولاً.

ـ علاقة تداخل بين المحورين وتقسمها إلى مراحل سبع.

ـ وجود نظام للبدائل وتضع جدولاً لبيان العلاقات بين البدائل الموجودة في النص.

ـ ب ـ الصورة:

وتتناول الصور الأساسية في الحركتين الأولى والثانية دون الثالثة والرابعة، لأن الحركة فيهما تميل إلى المباشرة. أما في الحركة الأولى فتقف عند الصورة البلاغية في تشبيهه النهر بأجراس البرج، وهي صورة توحد بين الهويتين وتبين ذلك من خلال جدول. وتكشف صور الحركة الثانية من خلال علاقة التناظر والتنافر:

ـ أ ـ التناظر المكاني عبر خط النهر

القمر في السماء / القمر في النهر

العصافير على الشجر / والحصى التي تشبه العصافير في قرارة النهر

ـ ب ـ التعارض في قوله إن القمر (يزرع الظلال) فهنا علاقة مفارقة، ذلك أن الزرع فعل ملموس بعكس الظلال، و(يملأ السلال بالماء) مفارقة ثانية.

بنية الصورة: وتتميز ببنية واحدة ثلاثية الحركة: تفاعل ـ انبثاق ـ فعل اختراق وتمثل الطبيعة أو الكون حيز الاختراق في الحركتين الأولى والثانية، فالإنسان يتبطن النهر. وتورد جدولاً لبيان ذلك.

وتنتهي الباحثة إلى خلاصة مفادها أن جمال القصيدة لا تكمن في جزء من أجزائها أو بعض صورها وإنما في علاقة بعضها ببعضها الآخر، ذلك أن القصيدة عالم متكامل من العلاقات التي تشكل بنية دينامية تقوم على جدلية الحياة والموت في نموها التصاعدي(26).

على أن هذه الدراسة لم تستطع الوقوف على المستويات المختلفة في التحليل ذلك أنها تهمل البنية الصوتية والإيقاعية وعلاقتها بدلالة النص. كما أنها تركز على الدلالة أكثر من البنية كما أشار إلى ذلك محمد عزام(27).

أما يمنى العيد فقد حاولت في كتابها (معرفة النص (أن تتعرض لبنية النص في إطار البنية الثقافية والاجتماعية. وكتابها بهذا يندرج فيما يسمى بالبنيوية التكوينية. وهي تصرح بذلك فتقول: ((إني اخترت العمل على النص انطلاقاً من تيار البنيوية التكوينية في خطوطها العريضة، واستناداً إلى الفكر الماركسي في مفهومه للعلاقة بين البنية التحتية والبنية الفوقية التي يتميز عليها الأدب، لا لينعزل بل ليستقل))(28). فالنص بالنسبة إليها ليس معزولاً عن المرجع الخارجي وإن كان ينهض به إلى مستوى فني مستقل عنه(29). ونتناول هنا تحليلها لقصيدة سعدي يوسف (تحت جدارية فائق حسن).

وهي تبدأ كتابها بجملة من الأسئلة عن المنهج الواقعي والمنهج البنيوي منتهية إلى ضرورة ربط المنهج البنيوي بالواقع. وقد وقفت عند التكرار والتمفصل لحركة القصيدة وذلك من خلال تكرار الفعل (تطير) الذي يشكل تكراره فاصلة زمنية في حركة نمو القصيدة.

تطير الحمامات في ساحة الطيران... البنادق تتبعها

تطير الحمامات في ساحة الطيران... وعينا المقاول تتجهان إلى الأذرع المستفزة

تطير الحمامات في ساحة الطيران... تريد جداراً لها ليس تبلغ منه البنادق....

وهي تحاول أن تقف عند معاني الفعل (تطير) من خلال علاقاته اللغوية في سياقاته المختلفة وقد حددت بنية

القصيدة في حركتين أساسيتين هما(30):

ـ 1 ـ حركة طيران الحمامات وهي أصلية.

ـ 2 ـ حركة البنادق وهي دخيلة.

وتقوم بين الحركتين صدامية تحدد بنية القصيدة ونموها. وتحاول الباحثة أن تحلل عالم الحركتين من خلال مكونات كليهما والعلاقات التي تربط بينها مستعينة بالرسوم البيانية مع ربط ذلك بالواقع الاجتماعي. فالصراع الموجود في القصيدة إنما يقول الصراع الموجود في المجتمع بين العناصر البانية والعناصر الهدامة(31).

على أن هذه الدراسة تهمل بعض المستويات مثل المستوى الصوتي في الخطاب الشعري والذي كان يمكن إغناء التحليل به وبخاصة الجانب الموسيقي في القصيدة. ذلك أن العلاقات اللغوية لا تنفصل عن الإيقاع العام للنص. كما أنها لم تتجاوز الفعل تطير إلى غيره من البنى الصرفية الموجودة التي تشكل رؤية الشاعر. كما أنها أهملت البنى التركيبية للنص ولغة النص والصور الموجودة فيه. ومن ثم فالمنهج البنيوي هنا اقتصر على الجانب الدلالي وأهمل البنية اللغوية،

وركز على الدلالة الاجتماعية بالتحديد دون غيرها من الدلالات، مما يوحي أن الباحثة لم تتجاوز حدود الدراسة الاجتماعية السابقة.

وخلاصة لما سبق يتبدى لنا أن هذه الدراسات لم تستطع أن تطبق المنهج البنيوي على كل المستويات إذ ركز بعضها على الثنائية الضدية دون المستوى الصوتي والإيقاعي، كما ركز بعضها الآخر على الدلالة الفنية دون البنية الصوتية والإيقاعية. على حين اهتمت بعض الدراسات بالدلالة الاجتماعية مهملة البنية الصوتية والإيقاعية والصور الفنية. وهذا يدل على أن الدارسين ركزوا على الجانب البارز في النص الشعري دون الجوانب الأخرى ولهذا ظل التحليل ناقصاً. ذلك أن التحليل البنيوي يتناول النص من حيث إنه كل متكامل وبنى مرتبط بعضها ببعض لأن البنية علاقة. والتركيز على جانب دون آخر لا يفضي إلى الرؤيا الكلية للنص.

الهوامش:

1ـ نظرية الأدب في القرن العشرين: ك.م. نيوتن ـ ترجمة عيسى العاكوب ـ عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية 1988 (ص 143).

2ـ البنيوية: جان بياجيه ـ تر: عارف منيمنة وبشير أوبري ـ منشورات عويدات بيروت، باريس (ط4 ـ 1985) (ص8

3ـ نظرية الأدب في القرن العشرين: ك.م. نيوتن (ص 143).

4ـ المرجع السابق (ص7).

5ـ الرؤى المقنعة: كمال أبو ديب ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986 (ص 6)

6ـ المصدر نفسه (ص8.

7ـ المرايا المحدبة: عبد العزيز حمودة ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت، إبريل 1998 (ص29)

8ـ فصول مج7/ ع1/ 2 أكتوبر 1968/ مارس 1987 ـ الرؤى المقنعة ـ عرض حسن البنا عز الدين (ص 277).

9ـ الرؤى المقنعة: كمال أبو ديب (ص 48).

10ـ المصدر نفسه (ص 549).

11ـ المصدر نفسه (ص 11).

12ـ نظرية البنائية في النقد الأدبي: صلاح فضل ـ دار الآفاق الجديدة، بيروت)ط3 ـ 1985) ص(9).

13ـ الرؤى المقنعة: كمال أبو ديب (ص 51).

14ـ الرؤى المقنعة: كمال أبو ديب (من ص 90 إلى 92).

15ـ المصدر نفسه (ص 95 ـ 96).

16ـ جدلية الخفاء والتجلي: كمال أبو ديب ـ دار العلم للملايين، بيروت (ط3 ـ 1984) ص)8.

17ـ المصدر السابق (ص9).

18ـ المصدر السابق(ص 232).

19ـ المصدر السابق (244).

20ـ المصدر السابق (ص 249).

21ـ المصدر السابق (ص 250).

22ـ تحليل الخطاب الأدبي: محمد عزام ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق 2003 (ص 103).

23ـ حركية الإبداع: خالدة سعيد ـ دار العودة، بيروت (ط2 ـ 1982) (ص 46).

24ـ المصدر السابق (ص 48).

25ـ حركية الإبداع: خالدة سعيد (ص 154 إلى 162).

26ـ حركية الإبداع: خالدة سعيد (ص 188، 189).

27ـ تحليل الخطاب الأدبي: محمد عزام (ص 103).

28ـ في معرفة النص، يمنى العيد ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت (ط3ـ 1985) (ص 12).

29ـ المصدر نفسه (ص 12).

30– المصدر نفسه (ص 145).
31– المصدر السابق (ص 168).
هذه المحاضرة نقلت عن الموقع: https://maamri-ilm2010.yoo7.com/t158-topic

2/ التحليل السيميائي للخطاب:

التحليل السيميائي للخطاب السردي في رواية "الربيع العاصف" لنجيب الكيلاني ــ د.بلقاسم دفه- الجزائر

مقدمة:

يعد النص السردي من بين النصوص التي اهتم بها الباحثون في مجال علم السيميائيات : "Sèmiologie"ويحاول علم السرد "narratologie" من حيث هو فرع من علم النص "Textologie"إلى ضبط منهجه وجعل الظاهرة الأدبية تتسم بالعلمية، وذلك بإبعادها عن التأويل غير المعلل(2).(1).

ولعل أبرز تحديد لعلم السرد ـ فيما أرى ـ هو مفهوم "ميك بال Miek Bal "حيث اعتبر علم السرد علم السردية"narrativitè" ، أو هو العلم الذي يقبل صياغة النصوص السردية في بنيتها السردية(3). وذهب "ميك بال" إلى أن النص السردي يمكن أن يلاحظ من خلاله ثلاثة أنواع.

1- النص السردي."Texte narratif"
2- الحكاية."Rècit"
3- القصة."Histoire"

والسردية بعدها نصاً بحسب مفهوم "ميك بال" هي الأسلوب أو الطريقة التي بها تفكك شفرات النص، وينتهي إلى أن السردية محددة بالعلاقات الرابطة بين النص السردي والقصة والحكاية(4).

وقد أدى الاهتمام بهذه الموضوعات والسيميائيات بخاصة إلى الاستعاضة عن فكرة "الوظيفة " "La fonction"بالملفوظ السردي والاعتراف بوجود وحدات سردية تتصل أحياناً بالجدول الإدراجي، وتتصل أحياناً أخرى بالجدول التعاقبي "Diachronique" فتنشئ العلاقات التي تربط بين الملفوظات السردية في علاقتها المختلفة(5).

وكان من نتائج السيميائيات بحسب الوجهة التعاقبية أن جنحت إلى تحليل القصة، واعتبرتها بنية سردية، أي شبكة من العلاقات الكبرى، وهي التي تشكل البنية السطحية "Structure de superficielle" للنص.

ويقوم المنهج الذي يقترحه التحليل السيميائي للخطاب السردي على اعتماد نماذج لغوية تحكم البنية السطحية والعميقة للمسار السردي.

إن النماذج التي سنتناولها بالدراسة تعد خطابات مشعة، أي: تستفز المتلقي، ومن ثمة فهي ذات طبيعة أدبية.

وسأدرس رواية "الربيع العاصف" معتمداً على ما قدمته علوم اللسان كعلم السيميائيات والسرديات وعلم الأصوات التمفصلي "La phonètique articulaire" لأندري مارتني "Andrè martiet".

والنظرية التمفصلية تنظر إلى أي خطاب مهما كان نوعه أو جنسه على أنه نص يقبل التشكيل في تمفصلين كبيرين، أصطلح على الأول بالتمفصل الأول"Première articulation" ، واصطلح على الثاني بالتمفصل الثاني.(6)"Deuxième articulation"

يدرك بالتحديد اللساني في التشكل الأول الوحدات الدالة"mocômes" ، وهي وحدات صوتية تقبل التجزؤ إلى أقل منها. ويدرك في التشكل الثاني الوحدات الصوتية المميزة، وائتلافها يعطي التمفصل الثاني."Double articulation"

نعتمد على هذه الأفكار كلها، حيث نسعى إلى استثمار المفيد منها في تحليل هذا النص السردي بالتركيز على تمفصلاته النصية، وأوجهها السيميائية ذات الطابع الأدبي، وذلك بالوقوف على الوحدات السيميائية، أي: العلامات الدالة التي استمدت في بناء النظام السردي وكانت مشحونة بشحنات دلالية.

وفي هذا السياق نشير إلى أن الإجراءات السردية للخطاب السردي الإبداعي تنسجم مع المنطق السردي وروائع الابتكار، وعن طريقها يصل الدارس إلى رصد ملامح الخطاب السردي.

ولهذا من الممكن التعامل مع الإشارات والرموز في هذا النص السردي بتقسيمه إلى عدة تمفصلات، وتعد هذه بمثابة حقول دلالية، ولكل تمفصل وحدات سيميائية "Unités Sèmiotiques" نجسدها في الوحدات الآتية:

1- التمفصل الأول: الوحدات السيميائية الدالة على الحزن والمعاناة.
2- التمفصل الثاني: الوحدات السيميائية الدالة على الفتن والصراع.
3- التمفصل الثالث: الوحدات السيميائية الدالة على الشرف والبراءة.
4- التمفصل الرابع: الوحدات السيميائية الدالة على انفراج الأزمة.

نتبين من خلال هذه الوحدات أن النظام السردي في قصة "الربيع العاصف" هو تفاعل منطقي لسير الأحداث، إذ تتحرك الشخصيات معبرة عن معان وأفكار وأيديولوجيات، حرص السارد على الكشف عنها وإبرازها، واستطاع رصدها وتفسيرها، وهي تعكس سلوكات اجتماعية متناقضة؛ تمثل القرية والمدينة، بل التأخر والمدنية، أو الجمود والروح الجديدة.

وما دامت القصة تحيل إلى وقائع لها حضورها في المجتمع المصري الحديث نحاول في دراستها أن نفيد في هذا الجانب من النظرية السيميائية التواصلية لرومان جاكبسون .R" "Jakobson، إذ هي طرح لساني يعتمد على وظائف ست، أهمها: الرسالة التي يشترط فيها أن تكون مسندة إلى سياق "Contexte"، وسنن"Code" ، وواصلة ."Contact" والمهم هنا الوظيفة المرجعية "La fonction rèfèrentielle"والسياق.(7)

الوظيفة المرجعية "La fonction rèfèrentielle" لرواية "الربيع العاصف":

أبرز السارد الأمكنة التي نسجت فيها وقائع القصة وأحداثها، فهي تنطلق من مدينة القاهرة، ومن حي "السيدة زينب" (مقر الشخصية المحورية منال عبد المجيد (مروراً بقرية "سنباط" و"كفر حسين"، ووصولاً إلى قرية "شرشابة".

وقرية "شرشابة" هي مركز الحدث، "وهي لا تبعد عن طنطا... أكثر من عشرين كيلو متراً"(8). وقد تم تعيين الحكيمة منال في "مستشفى الوحدة المجمعة لهذه القرية التي تدلف إليها لأول مرة في حياتها، لتقوم بعملها كحكيمة في هذه المؤسسة الجديدة"(9).

وقد اختار السارد قرية "شرشابة"، ويحمل المقطع الأول منها دلالة "شر". وقد اجتمعت فيه فعلاً كل المتناقضات من شر وخير، وحب وكره... فأضحت مقراً للصراعات، فعصفت بها الفتن من كل جانب، فأضحت خراباً، وحتى يد القدر انتقمت من أهالي القرية، فأصابت الآفات شجيرات القطن الخضراء فجأة، ولم تجد معها مقاومة.

أما الزمن فهو تصوير لفترة من حياة قرية "شرشابة"، وقد أحسن السارد اختياره، "وهو حين تمد المدينة يدها إلى القرية، ممثلة في الوحدة المجتمعة، وهي فترة مليئة بالصراع بين قديم ألفته القرية فاكتسب صفة القانون الثابت الواجب، وبين جديد مسلح بعوامل البقاء، فتحرر من كل ما هو رديء وجامد من الموروثات"(10).

ولعل اعتماد النظرية السيميائية الوظيفية المرجعية والانتباهية، والانعكاسية التي حددها جاكبسون(11)Jakobson ، وكذا المعجمية من شأنه أن يبرز الكوامن المتوارية خلف العلامات، إذ القصة صدرت عن سارد يحسن توظيف التقنيات السردية؛ فهو يتحرك بالمسرود ضمن نهج واقعي؛ لا شأن فيه لمنطق المفاجأة أو المصادفة في النظام السردي.

الآليات الدينامية للقصة:

يرتكز بناء الحبكة السردية في رواية "الربيع العاصف" على نظرة عميقة، تعتمد التسلسل المنطقي للأحداث عبر الزمن، وعلى طبيعة منطق العلاقات بين الشخصيات، إذ تتعاقب الأحداث على مسرح الحياة، وتتطور المواقف وتنمو شيئاً فشيئاً حتى يبلغ بها السارد درجة عالية من التوتر والصراع، ثم يعود بها في حركة إياب إلى الأخذ بموقف سابق لبلورته، والسير به قدماً في معترك الأحداث السردية من النص، أو الشروع في بناء موقف سردي آخر، له علاقة رصينة بالموقف العام للوقائع المسرودة.

والقصة في عمومها تنبني على شخصية محورية، وهي شخصية :الحكيمة منال عبد المجيد، إذ تم تعيينها في قرية "شرشابة" ـ "وهي قرية مصرية في محافظة الغربية" ـ(12) بعد أن

"خرجت حكيمة في مدرسة الحكيمات بالقصر العيني"(13) بالقاهرة، وعملت بالوحدة المجتمعة لهذه القرية فترة من الزمن، وافتتن بجمالها بعض أعيان القرية، وود كل منهم أن يظفر بها زوجة، لكنها امتنعت. وحولت بعد أن هدأت العاصفة التي هزت القرية "إلى مستشفى أم المصريين بالجيزة"(14).

وكان بحق أن تعد شخصية منال الشخصية المحورية في النظام السردي، أما باقي الشخصيات التي وردت في القصة، نحو: الباشكاتب عبد المعطي، والمعلم حامد المليجي، والحاج علي شيخ البلد، والطبيب رمزي إبراهيم... فقد قامت بوظائف ثانوية، وأسهمت بدورها في خدمة الشخصية المحورية "منال"، ومن نمو الأحداث وتطويرها وإبرازها حتى أصبحت القصة مترابطة ترابطاً محكماً.

فالسارد قد اختار طبيباً وحكيمة في الوحدة المجمعة، وبعض أعيان القرية، ليصور لنا من خلالهم هذا الصراع المشحون بالغضب والدماء؛ فالباشكاتب عبد المعطي والمعلم حامد والحاج علي، في جانب من الصراع، والدكتور رمزي والحكيمة منال في الجانب الآخر(15).

واستهلت القصة بالتحاق الحكيمة "منال" بمستشفى الوحدة المجمعة بقرية "شرشابة" وطوال الطريق كانت "تجفف دمعة تنزلق فوق خدها لتستقبل أخرى، كانت تحس أن قلبها وروحها وعينيها كلها تبكي"(16). إنها تركت مدينتها الفاتنة القاهرة، "حيث الحياة المضيئة والأهل والأصدقاء والذكريات"(17). وجاءت لتعمل في هذه القرية، "حيث الفلاحون والبعوض والتراب والأمراض المتوطنة"(18).

وهكذا يبدو مسار الحبكة للبنية السردية، من حيث الترتيب الزمني يتدرج من وصول "منال" إلى قرية "شرشابة"، وشروعها في العمل كممرضة في المستشفى، ومحاولة بعض أعيان القرية امتلاك قلبها بقصد الزواج، وصراعهم من أجلها.

كما كانت الأحداث الفرعية نفسها تتدرج منطقياً مع مرور الزمن إلى أن كثرت الإشاعات حول الحكيمة "منال" وحول الطبيب من جهة، والأعيان المنحرفين من جهة أخرى. فكان أن حولت إلى مستشفى أم المصريين بالجيزة، وينقل الطبيب رمزي إلى مستشفى العياط قرب الجيزة، قريباً منها.

وجاء سير الأحداث في هذه الرواية وفق منطق محكم؛ ليس لمجرد السرد بل كانت الأحداث تتسلسل في حلقات تتميز بالحبكة، إذ تدور حول: الحب، الكره، الحقد، الكيد، الغيرة، الإغراء، المتعة، الظلم، الغش، التنافس، الانتقام، الصراع، البراءة.

تمفصلات بنية الرواية:

في رواية "الربيع العاصف" علامات دالة بسياقاتها وأحوالها على أفكار السارد .فالوحدات السيميائية "Unitès sèmiotiques" هي علامات يتضمنها الخطاب السردي. وقد ظهرت لي من خلال بنيتها ونظامها السردي تتمفصل في خمس تمفصلات، لكل تمفصل وحداته السيميائية، التي هي نوايات تنطلق منها عمليات التوصيل .وقد وزعت بحسب التفمصلات على أربعة مباحث، هي:

التمفصل الأول: الوحدات السيميائية الدالة على الحزن والمعاناة.

لقد كشف السارد عن معاناة شخصيات الرواية بدءاً من الشخصية المحورية "منال"، وهي تذهب لأول مرة إلى الريف المصري، وإلى قرية "شرشابة"، وقد "أرسلت ...نظراتها الدامعة"(19). فالنظرة الدامعة دلالة على الحزن والألم والمعاناة.

فالسارد تناول الجانب النفسي للشخصيات. وقد كشفت عنه الكلمات التي اتسمت بنسبة شيوع عالية، عكست مشاعر الحزن والقلق والخوف والمعاناة لدى الشخصيات الرئيسة، كشخصية الحكيمة "منال"، والباشكاتب "عبد المعطي، والمعلم "حامد المليجي"، وشيخ البلد "الحاج علي". ولو أن السارد ركز أكثر على شخصية "منال"، و"عبد المعطي"؛ فكان نصيبهما أوفر من حيث الغوص في أعماق نفسيتهما.

وقد شهدت على ذلك جوارح أولئك، وأولها "العين" التي وردت في مواضع عدة من النص، ولم تكن للرؤية بقدر ما كانت أداة للبكاء والمعاناة، كما نرى في مثل هذه السياقات: "وأجهشت بالبكاء وأغرقت صدر أمها بدموع كثيرة غزيرة"(20). و"ترقرقت الدموع من أهدابها الطويلة، وغامت عيناها"(21 .(و"رفعت منال عينيها المحتقنتين قليلاً"(22). و"تمتم عبد المعطي وعيناه مخضلتان بالدموع"(23).

أما كلمة "قلب" فوردت ـ هي الأخرى ـ في مواضع عدة، وصورت معاناة شخصيات الرواية في مثل السياقات الآتية: "الغربة ملأت قلبي بالخوف والقلق"_(24). و"قلوب تخفق بالخوف والغضب والوعيد"(25(، و"تغيرت القلوب"(26).

وجاءت كلمة "صدر" وقد ارتبطت بالهموم والمتاعب والمعاناة نحو: "كم كان خطابك كنزاً ثميناً بالنسبة لي فأضمه إلى صدري في حنان"(27).

واستخدمت كلمة "وجه" موصوفة مشاراً بها إلى الحزن والكآبة في مثل: "وازداد وجه عبد المعطي شحوباً، وارتسمت على محياه سيما الألم والمرارة"(28).

كما استخدم السارد كلمات أخرى تحمل ـ أيضاً ـ دلالة المعاناة، نحو: التنهد، الألم، الشحوب، الأسى، المرارة، الحزن، الكآبة، وذلك في مثل السياقات الآتية: "وتنهدت منال في آلم"(29). و"القرية القاسية التي تلف حياتها الجديدة بالشحوب والأسى"(30). "وتنهدت منال في مرارة"(31). و"اجتاحتها ...موجة داهمة من الحزن العميق"(32).

و"يرقد شاحباً كئيباً، هيكلاً فارغاً من الأمل والحياة"(33).

من خلال هذه العلامات السيميائية يتراءى لي الطابع المأساوي الغالب على سير أحداث الرواية.

التمفصل الثاني: الوحدات السيميائية الدالة على الفتن والصراع.

تنمو الأحداث وتتطور، وتتجدد المواقف، فتتوتر العلاقات بين الشخصيات، وتصطدم المصالح، ويتعمق الحوار، فتتنوع الأدوات السيميائية الشاحنة للسرد، وتتعدد عمليات التوصل، فيثرى حقل العلامات الدالة على الفتن والصراع، وأبرزها :الدماء، الكارثة، الهزيمة، خراب، ثعابين، شياطين، العواصف، الحرب، قنبلة، النار،... وذلك في السياقات الآتية:

ـ "سالت الدماء"(34)، "والدماء توشك أن تجري أنهاراً في حارات القرية"(35)، و"جاءت الكارثة"(36)، و"فيها ثعابين وشياطين"(37)، و"الجو ينذر بالعواصف"(38)، و"الحرب... أصبحت معركة عقول"(39)، و"قنبلة ذرية تنسف آلاف الرجال"(40)، و"النار تتقد تحت التراب"(41). و"تصارع الرجال من أجل امرأة متبرجة وطوتهم رغبات الجسد الساذجة"(42).

وهذه العلامات في سياقاتها المختلفة توحي بالكيد والفتن والصراع.

والذي يتأمل هذه العلامات الدالة من خلال بنيتها القصصية يدرك أن السارد يحرك الشخصيات في القمة، ويدفعهم إلى القيام بأفعال معينة دون غيرها. ولنحتكم إلى شخوص القصة:

ـ الباشكاتب عبد المعطي: تتغلب عليه النزعة الشريرة والرغبة في الإيذاء. إنه حقاً يدافع عن الحقوق المسلوبة لإنقاذ القرية من المجاعة، ولكنه أيضاً "إذا ضايقه أحد أو عرقل له أمراً... لا يعدم... حيلة كي يوقع أحدهم في ورطة"(43)، وهو "دؤوب حقود شرس بطبعه"(44).

ـ المعلم حامد المليجي: "تاجر سموم"(45)، وهو "الوحش الناعم الذي يخفي مخالبه وأنيابه وراء مظهره الضاحك دائماً"(46)، وهو كذلك "وغد كبير... كالذئب الذي خطف دجاج القرية تحت جنح الظلام"(47).

ـ الحاج علي شيخ البلد: "قاطع طريق... متعجرف... يسرق أموال الجمعية التعاونية، ويثير القلق والاضطراب برغم أنه شيخ البلد، والناس لا تخفى عليهم تصرفاته"(48).

ـ الطبيب رمزي إبراهيم: "هذا النفعي الذي لا يفكر إلا في المال والعربات الأنيقة، وتكوين ثروة بأسرع ما يمكن... ثم يحاول أن يسرق شرف فتاة مسكينة مثل منال"(49).

ـ الحكيمة منال عبد المجيد: يصورها لنا السارد "جميلة فاتنة... بيضاء البشرة..."(50). وهو لا يصورها إلا عابثة لاهية، لا تفيق من عبثها إلا حين تنطلق الشائعات من حولها.

ولفظة "فاتنة" هنا ـ فيما نقدر ـ هي مركز الثقل الدلالي، ونواة النسيج السردي السيميائي؛ إذ حضورها في المحور الإدراجي يجعلها من الوحدات السيميائية المختارة، فدلالتها متصلة بالفتنة... والفتنة أشد من القتل.

وقد افتتن بالحكيمة "منال" بعض رجالات القرية من أمثال: الباشكاتب عبد المعطي، والمعلم حامد المليجي، والحاج علي شيخ البلد.

وتشرب العلامات الأخرى: نحو: ذئب، وحش، عواصف، أعاصير، ثورة، حقد، خوف، نار ... من معاني النواة السيميائية فاتنة، والتي منها الفتنة، فتسهم في إثراء الدلالة وتعميق الروائية، وتنويع أدوات السرد.

أما لفظة "النار "فاستخدمت لتدل على إشعال نار الفتنة في القرية، وقد جاء على لسان الباشكاتب عبد المعطي، وقد سألته منال عمن أشعلها، فقال: "أشعلت النار، وذهبت بهم إلى السجن... وأقمت الدنيا وأقعدتها"(51).

ولفظة "الذئب" هي الأخرى قد احتلت موقعاً حيوياً، وتكررت في مواضع عدة، منها: "الذئاب... الذئاب هذه الفراخ الصغيرة الرقيقة كيف تأمن على نفسها منهم؟"(52)، و"هذه

القرية مليئة بالذئاب"(53).
تنزل العلامة "الذئب" ـ في هذا الخطاب السردي ـ منزل السداد، حيث وظفت بأحكام ودقة من لدن السارد، ومن حيث هي وحدة سيميائية ترمز إلى المكر، والخبث والكيد، والخيانة، ومخالفة العهد، والافتراس، ...وكلها صفات ذميمة تمثل الدلالات التي ارتوت وتغذت منها كلمة "الذئب".

وقد انتقلت هذه اللفظة إلى الإنسان من هذا الحيوان المفترس، لذا قيل: الإنسان ذئب لأخيه. ولنتساءل: هل كان بعض رجال قرية "شرشابة" ذئاباً؟ ذلك ما أخبر به السارد في أكثر من موقف.

ويقابل هذه اللفظة لفظة "وحش"، فهي تومئ بالوحشية والافتراس. ووردت في سياقات مختلفة، منها: "وصورة المعلم حامد "الوحش" الناعم الملمس الذي يخفي مخالبه وأنيابه..."(54).

وتتطور الأحداث وتنمو، وتتشكل حتى يصل الخطاب السردي إلى حالة تتعقد فيها المواقف، وتتشابك فيها ملابسات الحبكة، فتغدو رمزاً يعبر عن رمز، وإشارة تحيل إلى إشارة، فيصطدم المتلقي بلفظة "العاصفة" في قول السارد: "لم يكد يمر وقت قصير، حتى اشتعلت العواصف في القرية، وجاءت الكوارث يأخذ بعضها برقاب بعض..."(55)، وقوله: "الجو ينذر بالعواصف"(56). وجاءت لفظة "الأعاصير" هي الأخرى لتدل على عمق الكارثة في: "وسط هذه الأعاصير المزعجة"(57).

ولفظة "العواصف" أو "الأعاصير" من حيث هي وحدة سيميائية نواة في الفعل السردي جاءت متصلة بالكوارث والاشتعال وإتلاف شجيرات القطن والبكاء والعويل في البنية السطحية "Structure de superficielle"، ودلالة على الرعب والإجرام والقتل في البنية العميقة "Structure profonde".
وتتفاعل العلامات الأخرى المدرجة ضمن الوحدات السيميائية الدلالة على الفتن والصراع، نحو :النيران، البؤس، الصراخ، الدخان،... وذلك في السياقات الآتية:

ـ "وألسنة النيران تضيء المكان(58)". و"ينطلق البؤس والشقاء"(59)". و"صراخ النسوة يملأ الأفق ويزاحم الدخان الأسود"(60).
وكل هذه العلامات تدل على شدة العاصفة التي أثارتها الفتن والصراع، وهي تسهم بدورها في تحريك انفعالات المتلقي، وفي تشويقه إلى متابعة السرد القصصي.

التمفصل الثالث: الوحدات السيميائية الدالة على الشرف والبراءة.

لقد اتهم بعض أهل القرية "شرشابة" الحكيمة "منال" في شرفها وفساد أخلاقها، حتى باتت "لا تسمع إلا الكلمات الوقحة التي أشاعوها عنها"(61).

وكانت كلما راودها أحدهم إلا وتذكرت كلمات أبيها، وهي صغيرة: "يا منال... احذري الرجال... لا تفرطي في شرفك قيد شعرة... سوف أنزعج في قبري... نحن فقراء ...رأس مالنا الشرف، والشرف هو ستر الله"(62).

فالتفات السارد إلى الماضي من جديد والرجوع إليه يعد خاصية فنية رائعة في الطرح السيميائي، إذ يوصف ذلك بالارتداد في الفعل السردي، وهو العودة إلى فكرة ذكرت في سياق ما، فأرجئ تقديمها لغاية فنية، منها حب المزج بين الزمن الحاضر والماضي، وإدماج أحدهما في الآخر بطريقة تتوخى الحيوية والحركية المتجددة في المنظومة السردية(63).
ولما بلغت الشائعات مداها إلى سمع "منال"، اندفعت تقول" :هذا الرجل الذي تطلقون عليه قاموساً من الصفات... الوحش... الذئب ...الثعبان... أنا لا أخافه... وعندما يفكر أن ينظر إلي نظرة غير مهذبة فسوف أقتلع عينه... يجب أن يعلم أهل "شرشابة" ما أقول... أنا لست هينة سهلة المنال، ولكني فتاة مثقفة... ذات كبرياء... لن أطأطئ رأسي لأحد..."(64).

فالسارد ينفي أن تكون "منال" سهلة المنال على غير دلالة اسمها الذي اختاره .والواقع إن إدراك المتضادات يشكل الأساس لما يسميه قريماس "greimas" بـ" :بالبنى الأولية للتدليل أو الترميز" التي ترتكز عليه نظرياته في علم الدلالة(65).
وهكذا نجد هذه الشخصية المتحولة تثور مدافعة عن شرفها، فهي قوية ثائرة، لا تلبث على شيء حتى تعدل عنه إلى سواه؛ فتهشم قواعد الصمت والتقاليد والعرف. ومن حيث هي وحدة سيميائية في النظام السردي نجدها تتحرك لتخترق النصوص السردية، وقد برزت على سطح الخطاب، وكشفت عن معاني: الجرأة، والصراحة، والحق، والتبرئة...
وقد برأ الباشكاتب عبد المعطي "منال "مما نسب إليها أهل القرية من أمثال حامد المليجي، والشيخ المداح (خطيب المسجد الكبير)، حيث يقول: لقد "ألصقوا بها كل إثم ونسبوا إليها كل كارثة... حتى الدودة التي أصابت القطن... كانت بسببها... لقد غضب الله عليهم بسببها... فعاقبتهم هذا العقاب الأليم"(66). ثم استأنف ليقول: "ليست منال هي السبب... إنهما [المعلم حامد، والحاج علي] يتناحران من أجل الفوز بها، وهي ترفض هذا وذاك"(67).
وتفرج الأزمة وتحل العقدة من خلال حلقات السرد المثيرة بعد أن يبلغ الحدث غايته من التوتر، فتنقل "منال" من قرية "شرشابة" التي جاءتها وهي كارهة إلى مستشفى أم المصريين بالجيزة، حيث تصبح قريبة من أمها وإخوتها بالقاهرة.
المفتصل الرابع: الوحدات السيميائية الدالة على انفراج الأزمة.

هدأت العاصفة التي اجتاحت قرية "شرشابة". وبتعبير آخر توقفت الفتن والصراعات، فعاد الأمن والسلام إلى أرجاء القرية، وذلك بعد أن أفرج على المعلم "حامد المليجي"، بضمان مالي، وأطلق سراح "الحاج علي" بعد إيقافه عن العمل بمشيخة البلد، وحول الطبيب "رمزي"، والحكيمة "منال" من الوحدة المجمعة.
وقدم السارد هذه الأحداث في مشهدين:

يبدأ الأول حين سماع نبأ الإفراج على المعلم "حامد"، وخروج الحاج "علي" من السجن، وتحويل الحكيمة والطبيب.
ويبدأ الثاني حين اتفاق الطبيب "رمزي"، والحكيمة "منال" على الزواج، واستعدادهما للرحيل. وينتهي حين تحركت العربة التي تنقلهما، ووقوف العشرات من رجال القرية لتوديعهما.

والزمن الحاضر للسرد ـ هنا ـ هو زمن الصباح المقترح لرحيل الباشكاتب "عبد المعطي" عن الحياة، ورحيل الحكيمة "منال، والطبيب "رمزي" عن قرية "شرشابة"، إلى حيث تم تحويلهما. ولم يأت اختيار زمن "الصباح" موعداً للرحيل من قبيل الصدفة، بل جيء به إشارة "Signe" إلى بداية عهد جديد، تمد فيه المدينة يدها إلى القرية. فتتحرر من كل ما هو جامد ورديء من التقاليد البالية والموروثات المحنطة.

وقد استخدم السارد كلمات تومئ إلى النهاية السعيدة للقصة نحو: تهدأ، السلام، سعيدة، يبتسم، انبساطه، انشراحه، ود، تتعانق،...وهذه الكلمات جاءت في سياقات تشير إلى نهاية الصراع وانفراج الأزمة، ذلك في مثل: "لتهدأ النفوس، وتعود المياه إلى مجاريها ويفوح عبير السلام"(68 .(و"لا شك أنك سعيدة بانتقالك قرب الأسرة"(69). ويبتسم قائلاً: "أجل... أعرف أن فيك شيئاً ما... يجعلك قريبة إلى نفسي"(70). و"كان هو الآخر في قمة انبساطه وانشراحه"(71). و"... صافحا الطبيب ومنال في وداع عميق... كانت قلوبهم تتعانق، وأطل من العيون بريق صاف نبيل بريق بدد ما شاب الذكريات من ظلام وآلام"(72).

وتتراءى لي دلالة الكلمات وما توحي به من خلال السياق أن العاصفة هدأت، وأن الأمن والسلام قد عاد إلى قرية "شرشابة".ويمكن أن يستنتج من هذه الدراسة ما يأتي:

ـ المنظومة السردية في "الربيع العاصف" مفاعلة موضوعية، الإطار فيها مرتبط بالدعوة إلى الأخلاق الرفيعة، والتخلي عن الموروثات البالية والتقاليد الجامدة.

ـ الشخصيات والحبكة السردية والأبعاد المكانية والزمانية وردت كلها لتكشف عن حقائق الحياة وواقعها في الريف المصري.

ـ إن هذه القصة تبرز حقائق الحياة سهلة، وتؤمن بمقدرة الإنسان على الارتقاء والابتكار، وترحب بالجهود البناءة لتطوير حياة الأمة.

ـ ورود التمفصلات النصية منسجمة مع تطور أحداث القصة وتقنياتها، ونظامها السردي.

ـ اللغة السيميائية تمثل نظاماً علاماتياً متميزاً، يعكس أفكار وتصورات الجماعة اللغوية في فترة من حياة بقعة من الوطن المصري.

ـ ارتباط العلامة من حيث هي وحدة سيميائية بصورة حسية في تنمية أحداث الرواية وتطويرها، وفي ربط المخاطب "المتلقي" بأفكار المبدع، إذ تميزت الرواية بوصف عام بالإيحاء والتوصيل.

هذه المحاضرة نقلت من الموقع: https://takhatub.ahlamontada.com/t1791-topic

3/ المستوى التداولي لتحليل الخطاب

تألف مجتمع اليوم من سياقات كثيرة تتطلب خطابات متنوعة، لذلك فالحاجة متجددة وماثلة لاكتشاف استراتيجيات الخطاب وفق منظور أكثر قربا من الخطاب ذاته وملابسات إنتاجه ومعرفة كيفية تطويع تلك الاستراتيجيات واستعمالها وانعكاساتها على الخطاب التداولي اليومي. كما أن تحليل الخطاب اللغوي تشارك فيه حقول معرفية كثيرة، ولكل حقل اهتماماته وأسسه التي ينطلق منها وينظر من خلالها، الأمر الذي أدى إلى توسع مفهوم الخطاب نفسه توسعا كبيرا وصاحب ذلك التوسع وجود آراء ورؤى متنوعة كلها تبحث عن معاني ومضامين

الخطاب وتبعا لذلك فإن عملية تحليل الخطاب تواجه إشكاليات كثيرة، وعليه لا توجد نظرية واحدة تصلح لتكون نظرية كاملة وافية في تحليل الخطاب، بسبب اختلاف المفاهيم والاتجاهات والأدوات.

تدور فكرة البحث حول معرفة الجوانب التداولية المؤثرة في إنتاج وتحليل الخطاب. ويهدف إلى الكشف عن تأثير سياق المقام بعناصره المختلفة في بنية الخطاب، مما يتطلب منهجا يعنى بتحليل الخطاب بالنظر إلى ظروف إنتاجه السياقية. وتبدو أهميته من خلال الوقوف على وظائف اللغة التي تتجاوز الوصف التقريري إلى الكشف عن تأثير اللغة في النشاط الاجتماعي الذي تحمله الصياغات اللغوية في إطار التواصل، واتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي .

الخطاب: المفهوم والتحليل

المطلب الأول: مفهوم الخطاب وتحليله .

أولاـ مفهوم الخطاب :ورد في (اللسان) لابن منظور في مادة: (خ ط ب) أن "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن [1]."واتفقت المعاجم اللغوية على هذا المعنى الذي جاء في (اللسان). وعليه فإن معنى)خطب) في اللغة هو توجيه الكلام للغير. وتعود جذور مصطلح الخطاب إلى عنصري اللغة والكلام، فاللغة عموما نظام من الرموز يستعملها الفرد للتعبير عن أغراضه، والكلام إنجاز لغوي فردي يتوجه به المتكلم إلى شخص آخر يُدعى المخاطب .[2]ومن هنا تولد مصطلح الخطاب بعدّه رسالة لغوية يبثها المتكلم إلى المتلقي، فيستقبلها ويفك رموزها. أما الخطاب في الاصطلاح فإن الباحث في الدراسات اللسانية التي عنيت مؤخرا بتحديد مفهوم الخطاب يجد مفاهيم متعددة قامت على اتجاهات مختلفة، منها:

ـــــ "الخطاب مجموعة من الملفوظات التي تبرهن على موضوع واحد تأسيسا على مجموعة من المعطيات [3]."هذا المفهوم جعل للخطاب طولا محددا يتجاوز الجملة، كما ركَّز على الوحدات اللغوية التركيبية التي تشرح فكرة ما أو مجموعة من الأفكار.

ـــــ "كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا ويهدف فيه الأول إلى التأثير في الثاني بطريقة ما [4]."هذا المفهوم نظر إلى استعمال اللغة ووظائفها وإلى أركان الخطاب وهي وفق هذا التصور: المتكلم، المتلقي الملفوظ وقصد التأثير وأخيرا التفاعل والتواصل.

ـــــ "الخطاب فعالية مشتركة في مبدأ الحوار، باعتبار أن الظاهرة الأساسية في هذه الفعالية هي الحوار [5]."هذا التصور للخطاب ابتعد عن البنيوية اللغوية واعتمد كثيرا على اعتبارات أخرى مثل: السياق المصاحب، والمتحاورين وخلفياتهم الثقافية وغيرها من العناصر التي يشملها أسلوب الحوار.

ـــــ "الخطاب هو الصيغة الطبيعية للكلام الأوسع والشامل؛ بل بإمكانه أن يستقبل كل الأشكال [6]"هذه النظرة للخطاب مبنية على أن كل أشكال الكلام تعد خطابا.

التصورات المذكورة لمفهوم الخطاب تكاد تمثل كل الاتجاهات التي تناولت الخطاب بالتحليل كالاتجاه اللساني البنيوي والاتجاه التداولي الاجتماعي والاتجاه النفسي، وكلها متداخلة ومعنية

بدراسة الخطاب الذي بات يشكل نقطة التقاء علوم ومعارف كثيرة تهدف كلها إلى تحليل الخطاب، يقول جابر عصفور: "فخطاب الخطاب يجمع في نسيجه العلائقي ما يصله بدوائر علوم اللغة والاجتماع والسياسة والفلسفة والتاريخ والأدب ...والدراسات الثقافية والأدبية وغيرها.[7]"

يتداخل مفهوم الخطاب مع مفهوم النص كثيرا لدرجة يصعب تمييز الحدود الفاصلة بينهما والباحث المدقق يجد أن العلماء الذين فرقوا بين النص والخطاب تفرقت آراؤهم وتباينت معاييرهم مثل: معيار الشكل أو الوظيفة أو الخصائص والسمات أو طريقة التأليف أو التصنيف إلى أنواع أو معيار المشافهة والكتابة وغيرها من وجهات النظر، ويميل الباحث إلى الأخذ بالرؤى التي تنظر إلى الخصائص التي يتمتع بها كل من النص والخطاب ثم تحاول الدمج بينهما على أساس أن الخطاب هو السياق التداولي للنص والإنتاج اللفظي للنص وثمرته الملموسة المرئية[8].

وتظهر أهمية هذه النظرة من خلال جمعها بين مظهرين أساسيين في البنية اللغوية، المظهر الخارجي المتعلق بالنص ويمثله التركيب الصوتي والنحوي والمظهر الداخلي المتعلق بالخطاب ويمثله سياق المقام، وعليه فإن الخطاب يتسم بالآتي:

أــ وجود المتلقي لحظة إلقاء الخطاب.

ب ــ يعتمد الخطاب على اللغة الشفوية أكثر من اعتماده على طرق التعبير اللغوي الأخرى.

ج ــ يعد الخطاب إنجازا لغويا يربط بين بنيته اللغوية وظروفه المقامية.

تؤكد هذه السمات أن الخطاب يحيل على عناصر السياق الخارجية في إنتاجه وتفسيره وهذا يفرض على محلله معرفة شروط الإنتاج والتفسير، وعلى هذا الأساس يمكن أن يكون الخطاب نصا بالنظر إلى بعض الخصائص والسمات فهو نص إنجازي تداولي يؤدي وظائف محددة في سياق محدد.

ثانيا- تحليل الخطاب :تعددت مفاهيم تحليل الخطاب وفقا لتعدد الاتجاهات والنظريات، عرَّف جورج مونان تحليل الخطاب قائلا: "كل تقنية تسعى إلى التأسيس العام والشكلي للروابط الموجودة بين الوحدات اللغوية للخطاب المنطوق أو المكتوب في مستوى أعلى من مستوى الجملة [9]."هذا المفهوم فتح آفاقا أرحب بالتوجه إلى مستوى النص، مما يقود إلى البحث عن عناصر أخرى غير لغوية تشارك في تحليل الخطاب. وقال هاريس: "يعطي تحليل الخطاب مجموعة من المعلومات عن بنية النص أو نمط من النصوص وعن دور كل عنصر في هذه البنية فاللسانيات الوصفية لا تصف في الحقيقة إلا دور كل عنصر داخل الجملة التي تحتوي عليه، أما تحليل الخطاب_ إضافة إلى هذا_ فهو يعلمنا طريقة بناء الخطاب لإرضاء كل التخصصات تماما مثلما تؤسس اللسانيات الاستدلالات الدقيقة الخاصة بالطرق التي تبنى بها الأنظمة ذات التخصصات المختلفة[10]."

يجد الناظر إلى مفهوم هاريس لتحليل الخطاب أنه حصره في الدائرة اللسانية ولكنه أشار إلى التخصصات الأخرى مما يفتح الباب أمام العلوم الأخرى لتسهم في عملية التحليل. يقول

كوزريو: "إن علم لغة النص _ في رأيي_ ليس في الحقيقة شيئا غير المقدرة التأويلية ونظرية علم اللغة ليست شيئا غير نظرية علم التأويل (التفسير) وذلك باعتبار أن علة إنشاء هذا العلم تقوم على الحقيقة القائلة بأن الأمر يتعلق مع النص حول مستوى مستقل عما هو لغوي، لا يمكن أن يوضحه مستوى الكلام وحده ولا مستوى اللغة المنفردة[11]."

بينت المقولة أعلاه بجلاء أن علم تحليل الخطاب قد تخطى التركيز على الأداء اللغوي بمفهوم تشومسكي وكذلك تخطى الكلام بمفهوم دي سوسير، فلا يقف عند حدود وصف البنية اللغوية وحدها إذ لابد من الأخذ باستراتيجيات العمليات الأخرى المتعلقة بالإنتاج والتلقي والفهم.

ويقول صامويل باتلر: "يجب أن ندرس كل شيء في ذاته قدر الإمكان، وأن ندرسه كذلك من حيث علاقته، فإذا حاولنا النظر إليه في ذاته مطلقا بقطع النظر عن علاقاته فإننا سنجد أنفسنا شيئا فشيئا قد استنفذناه فهما ودراسة، وإذا حاولنا النظر إليه من خلال علاقاته فقط فسنكتشف أنه لا توجد زاوية في هذا الكون إلا وقد احتل مكانه فيها[12]."

وانطلاقا من التصورات الكثيرة لمفهوم تحليل الخطاب اتسع مجال البحث فشمل جوانب جديدة جديرة بالدراسة، وأصبح النظر إلى لغة الخطاب بأنها أفعالا ذات أبعاد ووظائف اجتماعية كثيرة ووُضعت الضوابط والقوانين التي تتحكم في كل ملفوظ، وتعدَّت تلك الضوابط البنية الشكلية إلى تضمين كل ما يتعلق بالمعنى في إطار البحث والدراسة، كما برزت المقاربة التداولية التي اهتمت بالخطاب مربوطا بظروف إنتاجه مركزة على فهم علاقة اللغة بمستخدميها وعلاقتها بالسياق المرجعي للعملية التواصلية ويصبح الخطاب من وجهة النظر التداولية: "حدث تواصلي لغوي مرتبط بسياق مقامي محدد، يتطلب وجود مرسل ومستقبل ويتضمن رسالة محددة بقصد التأثير في المتلقي [13]."وعليه فإن عملية التحليل المبنية على النظرة التداولية ننظر إليها بأنها لا تطرح بديلا جديدا وإنما تمارس قراءة جامعة متأنية لأفكار وجهود مضنية بذلها العماء من أجل الجمع بينها والخروج برؤية تتفق ووظائف اللغة الإنسانية.

المطلب الثاني: مفهوم ومجالات المقاربة التداولية

أولاـ مفهوم التداولية :تشير مادة (د، و، ل) في المعجم العربي -بفتح الدال أو بضمها-إلى معنى جامع هو الانتقال من حال إلى حال فيقال: تداولنا الأمر أي أخذناه بالتنقل، وتداولت الأيام دارت وتنقلت وتداولته الأيادي أي تناقلته هذه مرة وهذه مرة[14]، وهكذا يتحقق معنى (الانتقال) في استعمالات الجذر (د، و، ل) ويشير المعنى اللغوي إلى تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب.

أما التداولية في الاصطلاح فقد عُرفت تعريفات كثيرة لكنها متقاربة لا تختلف كثيرا كما هو الحال عند تعريف النص أو الخطاب، من تلك التعريفات:

_إن التداولية جانب من جوانب اللغة يهتم بملامح استعمالها: (نفسية المتكلمين، رد فعل المستمعين الطابع الاجتماعي للخطاب، موضوع الخطاب) بمقابل الجانب التركيبي: (الميزات الشكلية للأبنية اللغوية) والدلالي (العلاقة بين الوحدات اللسانية والعالم[15].(

_التداولية هي دراسة العوامل التي تؤثر في كيفية اختيار الشخص للغة ثم ينتقل تأثير هذا الاختيار إلى الآخرين عن طريق التواصل والتفاعل بين المرسل والمتلقي[16].

_التداولية هي دراسة أفعال الكلام[17].

_إن التداولية ليست علما محضا بالمعنى التقليدي يكتفي بالوصف والتفسير، وإنما هي علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال[18].

_التداولية هي المبحث الذي يدرس استخدام اللغة والسمات المميزة التي تؤسس وجهته الخطابية داخل صلب اللغة(3)[19].

_التداولية هي ذلك المجال الذي يركز مقارباته على الشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم[20].

_التداولية هي دراسة المعنى التواصلي أو معنى المرسل، في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه، بدرجة تتجاوز معنى ما قاله[21].

_التداولية فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو هو دراسة معنى المتكلم [22].تشابهت مفاهيم التداولية عند الدارسين إلى حد كبير، وتكررت في تعريفهم لها مفردات بعينها مما يؤكد إجماعهم على المفهوم من غير اختلاف يذكر، وعليه فإن سمات التداولية من خلال تلك المفاهيم تتمثل في الآتي:

أـ تهتم التداولية بثلاثة أركان أساسية في التداول الكلامي: المرسل والمتلقي، المقام، الاستعمال العادي (العفوي) للكلام.

ب ـ فهم المعايير التي توجه المنتج، وما الاستراتيجيات التي يستخدمها في عملية الإنتاج.

ج ـ معرفة المرسل والمتلقي والسياق المحدد الذي يرتبط بإنتاج وفهم الخطاب.

د ـ إن المعنى لا يكمن في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمنتج وحده، ولا المتلقي وحده، إنما يكمن في الفعل التداولي بين المنتج والمتلقي في سياق محدد.

ننتهي إلى أن التداولية تجمع بين كل أطراف الحدث اللغوي لتصل إلى المعنى، فتبدأ بأفعال اللغة ثم تنتقل إلى المتكلم وقصده وثقافته وشخصيته وكذلك المستمع، وتضيف المعرفة المشتركة بينهما وعلاقتهما الاجتماعية، وأخيرا ظروف إنتاج الخطاب المقامية كلها بما في ذلك الزمن والمكان، لتكون المحصلة النهائية فهم اللغة ودراستها في الاستعمال أو التواصل[23].

وعليه فإن المنهج التداولي هو مستوى تصنيف إجرائي في الدراسات اللغوية يتجاوز المستوى الدلالي ويبحث في علاقة العلامات اللغوية بمؤوليها، مما يبرز أهمية دراسة اللغة عند استعمالها، وبالتالي فإنه يُعنى بدراسة مقاصد المرسِل وكيفية تبليغها وكيفية توظيف المرسِل للمستويات اللغوية في سياق معين.[24]

إن المنهج التداولي بهذه الرؤية ليس ضد البنيوية ذات المنهج الوصفي بل هو تطعيم هذا المستوى بمستوى آخر هو السياق التواصلي الذي ورد فيه أي مقطع خطابي[25].والرابطة بين البنيوية والتداولية قوية لأن كل خطاب لابد أن يُعنى فيه بالتركيب اللغوي مضافا إليه ظروف التواصل[26] .

ثانيا ـ مجالات التداولية :تدرس التداولية المعنى في ضوء علاقته بموقف الكلام، والموقف الكلامي يشتمل على جوانب كثيرة يمكن أن نجمعها فيما يلي: المتحدث والمستمع، سياق التفوّه،

الهدف، الفعل الإنجازي الذي يحدث في موقف معين. تمثل هذه الجوانب محور البحث التداولي [27].ومعلوم أن التداولية ظهرت بعد البحث التركيبي والدلالي لذلك نلاحظ اتساع مجالات البحث لتشمل الآتي:

أ- الإشاريات :هي تعبيرات وألفاظ تحيل إلى مكونات السياق الاتصالي، ولا يتضح معناها إلا بمعرفة المشار إليه لذلك يطلق عليها المبهمات [28].وتقسم الإشاريات إلى:

1- الإشارات الشخصية :مثل الضمائر بكل تفصيلاتها ويعتمد مرجعها على السياق الذي تستخدم فيه.

2- الإشارات الزمانية :وهي تدل على زمان يحدده السياق بالنظر إلى زمان التكلم؛ فزمان المتكلم هو مركز الإشارة الزمنية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان المتكلم التبس الأمر على السامع [29].فإذا قلت مثلا "نلتقي الساعة العاشرة" نجد أن زمان التكلم وسياقه يحددان المقصود بالساعة العاشرة صباحا أم مساء.

3- الإشارات المكانية :هي كلمات تشير إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب، مثل: هنا، هناك، أمام... ويستحيل على المتواصلين باللغة أن يفسروا كلمات مثل: هنا وهناك وهذا وذاك ونحوها إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة (المكان) فهي تعتمد على السياق المباشر الذي قيلت فيه .[30]مثال: قال شخص: أحب أن أبقى هنا، فهل يعني: في هذا المكتب، أو في هذه المؤسسة، أوفي هذا المبنى، أو في هذه القرية أو في هذه الدولة...فكلمة هنا تعبير إشاري، وإن كان يشير إلى شيء قريب من المتكلم إلا إنه قد يكون بعيداً عن المخاطب، فلا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد المتكلم الإشارة إليه.

4- إشارات الخطاب :وهي عبارات مختلفة ومتنوعة يستخدمها المتكلم ليشير إلى موقف خاص به مثل قوله :مهما يكن، بالإضافة إلى ذلك، الرأي السابق، الأسبوع الماضي، تلك القصة . والملاحظ أنها إشارات منقولة من وظائفها الأساسية لتؤدي وظائف خاصة يستهدفها المتكلم.

5- الإشارات الاجتماعية :وهي ألفاظ أو تراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين أطراف الخطاب توجه نحو اختيار اللفظ المناسب في المقام المحدد كأن يكون مقام احترام، تبجيل، التماس وغيرها من المقتضيات المقامية، مثل: السيد، السيدة، سمو الأمير، فخامة الرئيس، جلالة الملك.

ب ـ الافتراض السابق :يبني المتكلم كلامه على المعلومات المشتركة بينه والمتلقي، فيوجه حديثه إلى السامع على أساس أنه معلوم له، فإذا قال رجل لرجل آخر (أغلق النافذة(، فالمفترض سلفا أن النافذة مفتوحة، وأن المخاطب قادر على إغلاقها، وأن المتكلم في منزلة الآمر، وكل ذلك موصول بسياق الحال وعلاقة المتكلم بالمخاطب. ويقرر فينيمان بأن لأي خطاب: "رصيداً من الافتراضات المسبقة (يضم معلومات) مستمدة من المعرفة العامة، وسياق الحال، والجزء المكتمل من الخطاب ذاته[31]."

ج ـ الاستلزام الحواري (الخروج عن مقتضى الظاهر :(

ترتبط بعض المفردات والعبارات والاستعمالات اللغوية بدلالات معينة تلازم تلك المفردات أو العبارات أو الاستعمالات، ولكن لأسباب تتعلق بأحوال المتحاورين قد يقصد أحد أطراف الحوار معنى ضمني جديد غير مقيد بذلك التلازم الدلالي، وحينها يطلق على هذه المعاني الجديدة (استلزام حواري) أي خروج عن المعنى الأصلي المتعلق بالسياق اللغوي لغرض ما، ويتوزع هذا الاستلزام بين القول والقصد فالقول هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية الظاهرة والقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه إلى السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال[32].

وقد يكون الاستلزام عرفيا ثابتا قائما على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من لزوم بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب، من ذلك (لكن) فهي تلزم أن يكون ما بعدها مخالفاً لما يتوقعه السامع، مثل: زيد غني لكنه بخيل، وقد يكون الاستلزام متغيرا تبعا للسياق والحوار، فحين يقال: كم الساعة؟ فإن مقصد المتكلم يختلف حسب السياق الذي وردت فيه الجملة فقد يكون سؤالاً، وقد يكون توبيخاً بسبب التأخر.

ويدخل في العلاقة بين (القول والقصد) أن يقول المتكلم قولا ويقصد عكسه، وكذلك قد يفهم المتلقي شيئا آخر غير المقصود مما ينشأ عنه ما يسمى بـ (سوء التفاهم) الذي يقع كثيرا في الخطاب والحوار بين الناس، لذلك حاول أصحاب التداولية وضع بعض الضوابط التي من شأنها أن تقلل من سوء الفهم وتقرب وجهات النظر بين أطراف الخطاب، فاقترح العالم جرايس (مبدأ التعاون) ويعد من أهم المبادئ التي تهتم بها التداولية لأنه مهم في نجاح المحادثة، ومبدأ التعاون هو: أن تجعل إسهامك في التخاطب بحسب الحاجة، أي يقع في الحال التي ينبغي أن يقع فيها، وفقا للغرض المقبول، ووفقا لاتجاه المبادلة الكلامية [33].من غير شك أن هذا المبدأ يمثل أساس الاستمرارية في التواصل اللغوي المثمر، ويضم مبدأ التعاون عددا من القواعد التي تحكمه تتمثل في الآتي:

1- الكم :ويراعى فيه عدم الإطالة المملة أو الإيجاز المخل، بمعنى أن يكون الخطاب مناسبا وفق الموفق من غير زيادة أو نقصان، ينقل الضروري من المعلومات والأخبار.

2- الكيف :ويقصد به أن يكون القول صحيحا وحقيقيا اعتقادا ولا يفقد البرهنة على صحته وصدقه.

3- المناسبة :أن يكون القول موافقا للموضوع.

4- الطريقة :يراد بها أن يكون القول واضحا بعيدا عن الغموض واللبس .[34]ويبدو مبدأ التعاون واضحا في الخطاب وخاصة في الحوار اليومي العادي بين الناس.

د- الأفعال الكلامية :إن وظيفة اللغة لا تقتصر على نقل المعلومة والتعبير عن الأفكار، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية، قالت أوركيوني: "إن الكلام هو بدون شك نقل للمعلومات ولكنه أيضا تحقيق لأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته أو

وضعه السلوكي [35]." ...تأسيسا على هذه الرؤية القاضية بأن اللغة تحقق بجانب نقل المعلومة وظائف أخرى لا تقل أهمية، قامت نظرية الأفعال الكلامية.

ومعنى الفعل الكلامي أنه كل ملفوظ ينهض على شكل دلالي إنجازي تأثيري[36]، أي أن هذه الأفعال ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ بها في سياق مناسب، فهناك أعمال لا يمكن إنجازها إلا من خلال اللغة وهذا ما يجعل الخطاب (فعلاً (بمجرد التلفظ به[37]، كقولك: (نطلب الموافقة، أنت طالق، فتحت الجلسة، أغسل يدك) يعني أن مفهوم الفعل في التداولية يتجاوز حد تمثيل المعنى إلى القيام بفعل وممارسة التأثير من خلال استعمال اللغة، والفعل الكلامي يعتمد على الموقف الذي يتم فيه التفوه لذلك لا يمكن دراسة الأفعال الكلامية مستقلة عن الموقف [38].اهتم التداوليون بالأفعال الكلامية فقسموها تقسيمات كثيرة أشهرها تقسيم أوستن الذي رأى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة جوانب:

1- جانب لفظي :يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي سليم يؤدي معنى محدد ويعرف بالمعنى الأساسي أو الأصلي.

2- جانب إنجازي :وهو ما يؤديه الجانب اللفظي من معنى إضافي يكمن وراء المعنى الأساسي مثل: التهديد، التحذير، السخرية، الفخر وغيرها.

3- جانب تأثيري :ويبدو في الأثر الذي يحدثه الجانب الإنجازي في المتلقي مثل: الانفعالات المختلفة وهذه الجوانب الثلاثة متصلة لا يمكن الفصل بينها وبين سياقها الذي ترد فيه [39].ففي الجملة: (إنها ستمطر) يمكن فهم معنى الجملة الأولي الظاهر من الفعل اللفظي)ستمطر) ولكن لا يمكن فهم المعنى الإنجازي هل هو تحذير من الخروج أم هو أمر بحمل المظلة إلا من خلال السياق الذي ورد فيه الفعل اللفظي

المبحث الثاني: التداولية وتحليل الخطاب

المطلب الأول: الأبعاد التداولية في الخطاب:

تنطلق النظرية التداولية في طريقها لتحليل الخطاب من خلال رؤيتها أن بنية الخطاب الدلالية ترتبط بظروفه المقالية والمقامية ومستعمليه ارتباط تبعية وتعلق .[40].وانطلاقا من هذه الرؤية فإن التداولية تعتمد عدة مرتكزات وآليات لتحليل الخطاب تتمثل في الآتي:

أولاــ أركان الخطاب :وتشمل المرسِل والمرسَل إليه والسياق والهدف.

1ــ المرسِل (المنتج :يمثل المرسِل طرف الخطاب الأول، الذي يتّجه به إلى الطرف الثاني ليكمل دائرة العملية التخاطبية، بقصد إفهامه مقاصده أو التأثير فيه وعليه أن يختار ما يتناسب مع منزلته ومنزلة المتلقي وفق ما يقتضيه المقام. فخطاب التاجر مع زبونه يختلف عن خطابه مع تاجر آخر مثله؛ كما يختلف خطاب ملك أو أمير مع أحد رعاياه عن خطابه مع شخص آخر من أنداده، كما أن مقاصد المرسِل وأهدافه تتنوّع بتنوع بعض العناصر السياقيّة، مما يفرض عليه أطراً معينة لابد أن يستجيب لها فإن كان هدفه الإقناع فإنه يختار من الأدوات اللغوية والآليات الخطابية ما يبلّغه مراده، وإن كان هدفه السيطرة مثلاً، فإنه يعمد إلى الأدوات التي تكفل تحقيقها، وتنعكس هذه العوامل بشتى ضروبها في شكل الخطاب وآلياته وتصبح عنصراً فعّالاً في تحقيق مقاصد الخطاب وآثاره ونتائجه. ولابد أن يمتلك كل منتج المهارات التي تمكنه من التواصل الجيد المؤثر وتتمثل تلك المهارات في الآتي:

1- الاهتمام بمرحلة التركيب اللغوي لأن كل خطاب لا يهتم فيه المنتج بمرحلة التركيب يؤدي إلى إنتاج ملفوظ غير مفهوم للمتلقي، الأمر الذي جعل التداولية تهتم بدراسة المنجز اللغوي في إطار التواصل[41] .

2- القدرة على التنويع وِفق المقاصد والمواقف فيختصر مرة، ويطيل ثانية، ويكرر ثالثة، ويخفي بعض معانيه ويكشف بعضها الآخر.

3- تحديد المقصد ونوع الخطاب تحديدا واضحا لأن ذلك يعين المنتج على اختيار المفردات والعبارات المناسبة ذات القوة الإنجازية الملائمة لنوع خطابه وأهدافه.

4- مراعاة متطلبات سياق المقام خاصة المتلقي فيراعي حاله لغويا واجتماعيا وثقافيا ونفسيا ومن ثم يختار مفردات بعينها تناسب حال المتلقي، وكذلك يراعي المكان والزمان.

5ــ تأسيس الخطاب على منهجية ترتبط فيها المقدمات بالنتائج، والوسائل بالمقاصد، والأسباب بالمسببات، ليجد التعاون من المتلقي فيصغي وينتبه ويركز ويفهم ما يقال. وقد وضع التداوليون بعض المعايير التي يُحكِّمَها المنتج عند بناء الخطاب لضمان جودة الحدث التواصلي وهي:

أ- المعيار الاجتماعي :يظهر المعيار الاجتماعي في العلاقة التخاطبية بين أطراف الخطاب (صلة قرابة صداقة، عمل مشترك...) يعبر المرسل عن هذه العلاقة بلغة خاصة لها تأثيرها في المتاقي.

ب ـ المعيار التوجيهي :يرتبط المعيار التوجيهي بالمرسِل ويؤثر في بناء خطابه لغويا، ويتجسد المعيار التوجيهي من خلال آليات صريحة تسهم في توجيه الخطاب للمرسَل إليه مثل :أسلوب الأمر والنهي والتمني والنداء والاستفهام، وذكر عاقبة الأمور وغيرها من الأساليب العربية وكلها من الأساليب البلاغية التي تخرج من معناها الأصلي إلى معانٍ تستنبط من المقام التواصلي، وهذا الخروج يعد مرتكزا أساسيا من مرتكزات التداولية، ولا يخفى علينا ما في التوجيه من أبعاد تداولية ونفسية تتحكم في انتقاء المفردة فالأمر إذا وجه من صغير إلى كبير كان خروجا عن الأدب، وكذلك إذا كان من صديق لصديقه، فالبعد النفسي باد بوضوح في هذا المعيار ولابد للمرسِل من إدراكه والاهتمام به.

ج ـ معيار تحديد الهدف :يتجلى تحديد الهدف في الخطاب بشقيه المكتوب والملفوظ، ويعد الإقناع من أهم أهداف المرسِل ويستخدم لذلك استراتيجيات كثيرة منها ما يخاطب العواطف ومنها ما يخاطب العقول فيلجأ المرسِل إلى المدح والثناء أو الهجاء والذم، وقد يكثر من ضرب الأمثلة وذكر الأدلة وغير ذلك من الاستراتيجيات والحيل اللغوية.[42]

2ــ المرسَل إليه (المتلقي :(يمثل المرسَل إليه طرف الخطاب الثاني الذي يشكل مع المنتج الفعل الاتصالي، وهو يمارس دورا مهما في توجيه المرسِل عند صياغة خطابه، انطلاقا من علاقته بالمرسِل وبموضوع الخطاب. وبناءً على مبدأ التداول فعلى المرسَل إليه الاعتماد على المقام والظروف التي صاحبت الحدث التواصلي اللغوي للوصول إلى الدلالة الحقيقية المستورة في البنية العميقة، بمعنى أن المتلقي لم يعد عنصرا ثانويا بل أصبح عنصرا أساسيا يوجه المعنى ويسهم في بناء الخطاب وتفكيكيه [43]".وعلى المتلقي أن يتحلى بمهارات واستراتيجيات حُسن الاستماع، والقدرة على فهم الرسالة، وأن تكون لديه الملكة التي تمكنه من تذوق لغة الخطاب فيبدي تفاعله معه. وهذه النقاط كلها تعد من صميم المبادئ التداولية التي نادت بها النظرية التداولية من خلال تركيزها على سياق الحال ومكوناته.

3ــ السياق العام :تركز التداولية على سياق الحال الذي يضم الظروف والملابسات الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تحيط بالإنتاج الكلامي، يقول جون ديبوا: "السياق هو مجمل الشروط الاجتماعية المتفق عليها التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة...وهي المعطيات المشتركة بين المرسِل والمرسَل إليه والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما [44]."وقد شكَّل هذا المفهوم المنطلق الأساس الذي انطلقت منه الدراسة التداولية.

وتهتم التداولية بمكون العلاقة بين المتخاطبين سلبية كانت أم إيجابية فإنها تؤثر في الخطاب، والزمان والمكان فما يصلح لزمن قد لا يصلح لزمن آخر، فتحية الصباح غير تحية المساء، وما يناسب مكانا قد لا يناسب مكانا آخر. ومعرفة عناصر السياق تساعد في عملية التعبير عن المقاصد، ويعد الخطاب ثمرة اجتماع عناصر السياق وخاصة (العلاقة بين المتخاطبين، الزمان، المكان) وقد وضع التداوليون عددا من الخصائص التي يتميز بها السياق وهي:

1ـ الحركة المستمرة النابعة من تتابع الأحداث اللغوية.

2ـ التغير والتجدد تبعا للحال الذي يكتنف الخطاب فحالات الكلام مختلفة بحسب مقاماتها لذلك تنوعت أنماط الكلام لكل نمط خصوصيات تعبيرية يجب مراعاتها في إنشاء الكلام.

3ـ الواقعية والمصداقية التي تضيف للسياق بعدا مهما يرتبط بمقبولية الخطاب.

4ــ الهدف (القصد :(تظهر أهمية الهدف بوصفه مرتكزا من مرتكزات التداولية في تحليل الخطاب من خلال الآتي:

أ ـ يساعد وضوح الهدف وفهمه في استمرار الحوار وضمان قوة تأثير الخطاب.

ب ــ يمثل الهدف الواضح والمفهوم الأساس الذي ينبني عليه الحوار التالي، فإذا خفي الهدف لأي سبب أو لم يتمكن المتلقي من فهمه، فسينقطع الحوار ويتعطل الخطاب.

ج ـ يؤمن الهدف الواضح وصول المعلومة المراد تبليغها إلى المتلقي كاملة.

دـ الهدف الواضح يسهل على المنتج اختيار الوسيلة والاستراتيجية الملائمة لتحقيقه (مفردات بعينها أساليب محددة، إشارات، صور، .(...

ه ـ يقوي وضوح الهدف العلاقة بين طرفي الخطاب (المنتج والمتلقي) وبالتالي يكون المناخ التواصلي أكثر تفاعلا وحيوية.

ثانيا ـ تصنيف الخطاب :كثرت تصنيفات الخطاب إلى (سياسي، ديني، أدبي، إداري ...) معظم تلك التصنيفات قامت على أساس موضوع الخطاب أو هدفه ولم تهتم بالسياق عند التصنيف، الأمر الذي جعل التداولية ترى أن الاعتماد على موضوع الخطاب أو هدفه ليس كافيا للتصنيف بالتالي لا يساعد في الوصول إلى المعنى المراد، فما يبدو خطابا دينيا من خلال مقاصد المرسِل الظاهرة قد لا يبدو كذلك عند توظيف عناصر السياق، أي أن ظاهر الخطاب الشكلي لم يعد دليلا كافيا لتصنيف الخطاب في دائرة معينة [45].تتخذ التداولية من الاستراتيجيات التي وظفها المرسِل في خطابه، بالإضافة إلى دور المرسَل إليه في تفكيك الخطاب معيارا لتصنيفه، بحيث يمكن تصنيف الخطاب حسب الاستراتيجية إلى (إقناعي حجاجي، تلميحي، تقريري[46].(...ولهذا التصنيف مزايا تتمثل في الآتي:

أ ـ يسهل فهم الخطاب وتحليله، لأن النظر إلى موضوع الخطاب لا يقدم صورة واضحة عن بنائه اللغوي ولا ظروف إنتاجه، كما أن الخطاب الواحد قد يتناول أكثر من موضوع.

ب ـ الاهتداء بالاستراتيجيات التي اتبعها المنتج في التصنيف يعمق المعرفة بكفاءة المنتج في الأداء وقدرة المتلقي على الفهم.

ج ـ إن التصنيف القائم على معرفة الاستراتيجيات لابد له من ربطها بسياق الحال وبالتالي يبرز دور أهم قرينة تقود إلى المعنى.

ثالثا ـ السياق الاجتماعي والثقافي :إن نشأة الثقافة ونموها لا يتم دون اللغة، وإذا كانت اللغة تمثل مجموعة القواعد أو النظام المستقر بصورة تجريدية في ذهن الإنسان فالثقافة كذلك مجموعة من المعايير المادية والمعنوية المستقرة بصورة تجريدية في ذهن أفراد المجتمع[47].

إن السياق الثقافي هو الذي فرض على كلمة)عامل) أن تدل في العصر الجاهلي على كل من يعمل بيديه، والجمع لها (عمَّال وعَمَلة)؛ ثم صارت في عصر الإسلام تدل على الوالي المعيَّن من قبل الخليفة والجمع لها (عمَّال) فقط. ومع نشأة علم الكلام أصبحت كلمة (العامل) تعني السبب والدافع، والجمع لها (عوامل) فقط. ثم في العصر الحديث أصبحت كلمة)عامل) تحمل كل هذه المدلولات، ولكن إذا جمعت على (عمَّال) انصرف الذهن إلى من يعملون بأيديهم، وإذا جمعت على (عاملون) انصرف إلى موظفي الدولة؛ وإذا جمعت على (عوامل) انصرف الذهن إلى الأسباب والدوافع، وهكذا يصبح للمحيط الثقافي أثرٌ في تحديد مفهوم الكلمة.

رابعا ـ مفهوم الفعل ومعناه :تعد اللغة في مجمل مفاهيمها الاتصالية منظومة من الاستعمالات وفق إنتاج المتكلم وهو ما ينعت بـ (القصدية) وتشمل (الحالات الشعورية، الاعتقادات، الرغبات

المقاصد الإدراكات وكذلك ضروب الحب والكره والمخاوف والآمال [48] ...وعليه يرى التداوليون مفهوما أوسع للفعل أثناء الخطاب، يعبر عن كل هذه المقاصد التي يحملها الخطاب.

يرتبط مفهوم الفعل في التداولية بالمبدأ الأساس الذي قامت عليه النظرية وهو أن قيمة الأشياء تقاس بآثارها ونفعها، لذلك فالفعل في التداولية يتحول إلى عمل ينجزه المتلقي. وبناء على ذلك تكون للأفعال في الحدث التواصلي المعاني الآتية:

أ- المعنى اللغوي :ويطلق عليه فعل التلفظ ويراد به إطلاق الأفعال في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة لغوية مرجعها المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي [49]وبالتالي تحمل معنى معين مستمد من تلك المستويات اللغوية فقولك: (الباب مفتوح) معنى الجملة مفهوم ولكن المراد بالضبط غير واضح فلا ندري هل الجملة إخبارية، أم تحذيرية، أم فيها تخيير بين البقاء على مضض أو الخروج فلا نصل إلى حقيقتها إلا من خلال الموقف الفعلي الذي قيلت فيه الجملة أي سياق المقام.

ب - المعنى العملي الحقيقي :ويطلق عليه معنى قوة التلفظ ويتصل هذا النوع من التصنيف بالوظائف التي تصاحب الصيغ الكلامية، وبمعنى أدق هو عمل ينجز بقول ما، وهذا الصنف من الأفعال هو الأهم لأنه يتضمن قوة إنجازية، ومن أمثلته: الأمر الصريح الوعد والتحذير ... [50]والفرق بين المعنيين: معنى التلفظ ومعنى الإنجاز هو أن الأول مجرد قول شيء أما الثاني فهو القيام بالفعل المضمن في القول.

ج/ المعنى التأثيري :ويسمى معنى أثر التلفظ، وهذا النوع يرتبط بالتسبب في نشوء آثار في العواطف والأفكار كالإقناع والإرشاد، بمعنى أن الكلمات التي ينتجها المتكلم في بنية لغوية سليمة محملة بمقاصد معينة في سياق محدد تعمل على تبليغ رسالة وتحدث أثرا في المتلقين.[51]

ينبني هذا التقسيم على أساس النظرية التداولية القائم على دراسة اللغة في الاستعمال وعدم فصلها عن سياقها المقامي. وعليه فإن هذا التقسيم تميز بالآتي:

أ- وضع هذا التقسيم وظائف اللغة في الاعتبار وأضاف بعدا جديدا تمثل في الكشف عن النشاط الاجتماعي التواصلي الذي تحمله الصياغات اللغوية المنتجة في إطار التواصل.

ب - أعطى هذا التقسيم القيمة الحقيقية للأفعال بلاهتمامه بالبعد الإنجازي المنبثق من الخطاب اللفظي.

ج - يتميز بالدقة التي تجعلك تقف على المؤثرات الفعلية النفسية أو الاجتماعية وراء اختيار وانتقاء الكلمات والأساليب المحددة في الموقف المعين.

يمكن أن نستشف من هذا الطرح التداولي لبنية اللغة وارتباطها بالخطاب أن وظيفة اللغة لا تقبع في ذلك الإطار التواصلي المحض، بل تتعدى وظيفة اللغة ذلك المستوى إلى مستوى التأثير على الواقع وقلبه من خلال انتقاء بعض العبارات (الأفعال الكلامية) التي تؤدي دورا لا يستهان به على مستوى التأثير على المتلقين مهما كانت خلفياتهم الاجتماعية والنفسية والثقافية، على أساس أن الخطاب قوة بلاغية تتجلى في قوة التلفظ به، وقوة أخرى تأثيرية على مستوى المتلقي تتجلى من خلال الأعراض التأثيرية والنتائج المنجزة.[52]

الخاتمة :

ظهر من المادة المقدمة أهمية التداولية البالغة في الدرس اللغوي، فهي تقدم نموذجا لدراسة الخطاب وتحليله في ضوء السياق والظروف المحيطة بالتخاطب، وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج:

/1التأكيد على وجود صلة قوية بين اللغة والنفس، لأن اللغة ليست أصواتا فحسب، بل يدخل فيها الجانب النفسي للمتحدث والمتلقي.

/2إنه لا فائدة من دراسة اللغة دراسة شكلية بعيدة عن السياق الاجتماعي والثقافي، بل لا بد من اتحاد الاثنين.

/3تقوم الدراسة التداولية على تحليل المعنى الذي يرمي إليه المتكلم من خلال ما يقول، ودراسة عمليات الاستدلال التي يقوم بها المتلقي، وهو يحلل الخطاب حتى يصل للمعنى المطلوب.

/4تتطلب الدراسة التداولية النظر في مضمون الخطاب، وفق اعتبارات مختلفة منها: شخصية المنتج والمتلقي، مكان وزمان الخطاب، والظروف التي تكتنف الخطاب.

/5تتجه المقاربة التداولية إلى دراسة الأدوات الإشارية، التي لا يتحدد مرجعها إلا من خلال السياق المادي والاجتماعي، غير أنها تجعل اللغة تتجدد فيما تحيل إليه فهي تشكل بنية أساسية في الخطاب.

/6يشكل المنتِج المركز الذي من خلاله يمكن أن نحدد مسألة نسبية القرب والبعد المادي والاجتماعي بالنسبة لأطراف الخطاب.

/7تهتم النظرية التداولية بمعنى الفعل وأثره الذي ينجز من خلال عملية الخطاب كالالتماس والرجاء والشكر والعتاب والنصح والوعد والقبول والرفض وغيرها من المعاني الإنجازية.

/8تختلف قوة المعاني الإنجازية للأفعال بسبب اختلاف سياق الحال وليس بسبب البنية اللغوية للفعل.

/9إن التداولية لا تنكر دور الاتجاهات الأخرى في التحليل الخطابي، ولكنها تضيف إليها رؤية واستراتيجيات جديدة تمكنها من مقاربة الحدث التواصلي مربوطا بظروف الاستعمال.

/10للتداولية علاقات حميمية مع حقول معرفية مختلفة: علم النفس، علم الاجتماع، الفلسفة وغيرها وعليه قدمت التداولية آليات جديدة من خلال دراسة تفاعلها المثمر مع المعارف الأخرى.

/11تختلف التداولية عن المعنى الدلالي والمعنى النحوي؛ لأن المعنى الدلالي والنحوي يتقيدان بقواعد، أما التداولية فتعتمد على المبادئ البلاغية وفي مقدمتها سياق المقام.

/12قدمت التداولية حلولا كثيرة للمشكلات التي واجهت المقاربات التي لم تهتم بالتواصلية.

المراجع:

القرآن الكريم.

/1إبراهيم السعاقين، التداولية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 1997م.

/2إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط/2، 1986م.
/3إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية)، دار الآفاق، الجزائر، ط1 1999م.
/4ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للطباعة والنشر، تونس، 1992م.
/5ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1997م.
/6أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.
/7أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط/1 1986م.
/8أحمد عبد الرحمن حماد، العلاقة بين اللغة والفكر -دراسة اللزومية بين الفكر واللغة، دار المعرفة الجامعية القاهرة، ط/1، 1985م.
/9أرمينكو فراسواز، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط 1986م.
/10أسمهان الصالح، النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها في النحو العربي، منشورات جامعة حلب 1990م.
/11إفنيش ميلكا، اتجاهات اللسان، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة.
/12إلهام أبو غزالة، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظريات دي بوجراند وديسلر، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، 1999م.
/13أندرية مارتيني، مبادئ ألسنية عامة، ترجمة ريمون رزق الله، دار الحداثة، بيروت، ط1 1990م.
/14أوليفي روبو، لغة التربية – تحليل الخطاب البيداغوجي، ترجمة عمر أوكان، مكتبة أفريقيا الشرق 2002م.
/15باختين ميخائيل، الخطاب الروائي النفسي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والتوزيع القاهرة ط/1، 1987م.
/16براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزليطني ومنير التريكي، جامعة الملك سعود الرياض 1997م.
/17بشير إبرير، من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة التواصل، الرياض، العدد 114 2005م.
/18تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 2006م.
/19جابر عصفور، خطاب الخطاب، دار مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، دبي الإمارات 1999م.

/20جاك روبول، التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دغموس، دار الطليعة، بيروت، ط1 2003م.
/21جان بياجيه، البنيوية، ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات دار عويدات، بيروت ط3 1983م.
/22جلال شمس الدين، موسوعة مرجعية لمصطلحات علم اللغة النفسي، الإسكندرية، مطبعة الانتصار للطباعة والنشر، 2003م.
/23خليفة برحادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة، بغداد، ط1، 2009م.
/24خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، 2000م.
/25داؤد عبدة، محاضرات في علم اللغة النفسي، الكويت، المطبوعات الجامعية، ط1 1984م.
/26دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، عالم القاهرة، ط/1 1998م.
/27رابح بوحوس، رابح بوحوس، اللسانيات وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن 2009م.
/28راضية خفيف بوبكري، التداولية وتحليل الخطاب، مجلة الموقف الأدبي، دمشق اتحاد الكتاب العرب، العدد 399، 2004م.
/29ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط1 1962م.
/30سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط/4، 2005م.
/31أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ط/2، 1987م.
/32السيد محمود احمد، علم النفس اللغوي، جامعة دمشق، ط2، 1995م.
/33شاردو باتريك، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري، دار سيناترا، تونس 2008م.
/34شريفة بلحوت، طبيعة النص، المركز العربي، الجزائر، 2009م.
/35صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر دمشق 2008م.
/36صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط/1 2000م.
/37صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط1987،2م.
/38طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت ط/2 2000م.
/39ـــ تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط/2، 2005م.

/40عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيماء الحديثة، دار الطليعة بيروت ط/2، 1994م.
/41عبد الجبار غريبة، التعريف والتنكير في اللغة العربية، حوليات الجامعة التونسية، العدد 24 1985م.
/42عبد الجليل مرتاض، اللغة والاتصال، دار هومة، الجزائر، ط/2، 1995م.
/43عبد الحميد مصطفى، دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد، عمان، ط1، 2004م.
/44عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عمادة البحث العلمي، ط1 2006م.
/45عبد القادر محمد مايو، علم نفس اللغة من منظور معرفي، دار القلم العربي، ط1 1998م.
/46عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، بيروت، دار الكتاب الجديد ط1، 2004م
/47عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص (المفهوم والعلاقة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت 2008م.
/48علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ط/1، 1986م.
/49علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، دار نهضة مصر للنشر، ط/1 2002م.
/50ـــــ اللغة والمجتمع، دار المعارف، القاهرة، ط/3، 1983م.
/51علي محمود حجي الصراف، في البرجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب القاهرة ط1، 2010م.
/52عمر أبو خرمة، بلاغة الخطاب وعلم النص، لونجمان، القاهرة، ط1، 1996م.
/53عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف الجزائر ط1 2003م.
/54الغالي أحرشاو، الطفل واللغة تأطير نظري ومنهجي، المركز الثقافي العربي بيروت، ط1 1993م.
/55فاروق عثمان السيد، سيكلوجية الفروق الفردية والقدرات العقلية، دار القلم، بيروت، ط2 1989م.
/56فان دايك، النص والسياسة إقصاء الحدث في الخطاب التداولي الدلالي، ترجمة عبد القادر قنيني الدار البيضاء، 2000م.
/57فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة د. بوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية الأعظمية بغداد 1984م.
/58كريم ذكي حسام الدين، اللغة والثقافة دراسة أنثرولغوية لألفاظ القرابة في الثقافة العربية منشورات كلية الآداب جامعة الزقازيق القاهرة، ط2، 1989م.

/59محمد الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ الرياض، ط1، 1981م.
/60محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة.
/61محمد جعفر، الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، دار جامعة القادسية، بغداد، ط/1 2007م.
/62محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي الكويت، ط1
1991م.
/63محمد عابد الجابري، تحليل الخطاب العربي المعاصر، دار الطبعة، بيروت، ط/1 1985م.
/64محمد محمد يونس علي، المدارس اللسانية، المدرسة التداولية ظهورها وتطورها، دار المعرفة الجامعية القاهرة، ط1، 2006م.
/65محمد مفتاح، مسائل في مفهوم النص، منشورات كلية الآداب والعلوم، جامعة محمد الخامس جدة، 1997م.
/66محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية القاهرة، 2006م 2000م.
/67مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، سلسلة عالم المعرفة، العدد الثالث،1993م.
/68ملفوف صالح الدين، مفهوم النص في المدونة النقدية العربية، المركز الجامعي، الجزائر.
/69ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، دار القلم، بيروت، ط1 1987م.
/70نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت 1978م.
/71نعمان بوقرة، التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون، مجلة الرافد، العدد 79 الجزائر 2006م.
/71نهاد الموسى، اللغة العربية فقي العصر الحديث قيم الثبوت وقوى التحول، دار الشروق عمان الأردن، ط1، 2007م.
/72ـــ الازدواجية في العربية ما كان وما هو كائن وما ينبغي أن يكون، ندوة اللغة العربية مطبعة الجامعة الأردنية عمان 1988م.
/73نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة الجزائر، ط1 2009م.
/74نوال محمد عطية مكتبة، علم النفس اللغوي، الأنجلو المصرية، ط1، 1975.
/75نور الدين السيد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 1997م.

/76يسمينة عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، مجلة المحبر، جامعة بسكرة الجزائر، العدد العاشر، 2014م.

1. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، ج14، مادة خطب ص354↑ .
2. دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، عالم القاهرة، ط/1، 1998م، ص73↑ .
3. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط/1، 2005م، ص7↑ .
4. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية -بنية الخطاب من الجملة إلى النص، الرباط، 2001م، ص21↑ .
5. أوليفي روبو، لغة التربية – تحليل الخطاب البيداغوجي، ترجمة عمر أوكان، مكتبة أفريقيا الشرق، 2002م، ص41 . ↑
6. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط/4، 2005م، ص15↑ .
7. جابر عصفور، خطاب الخطاب، دار مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، دبي، الإمارات، 1999م، ص35↑ .
8. عبد الواسع الحميري الخطاب والنص (المفهوم والعلاقة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2008م، ص90↑ .
9. إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية)، دار الآفاق، الجزائر، ط1، 1999م، ص18↑ .
10. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الكويت، ط1، 1991م، ص23↑ .
11. عمر أبو خرمة، بلاغة الخطاب وعلم النص، لونجمان، القاهرة، ط1، 1996م، ص43↑ .
12. نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص29 . ↑
13. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية للأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت ط1 2005م، ص67↑ .
14. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1997م، مادة (د و ل)، ج11، ص252↑ .
15. يسمينة عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، مجلة المحبر، العدد العاشر، 2014م، جامعة بسكرة الجزائر ص99↑ .
16. المقال السابق، ص100↑ .
17. المقال نفسه، ص103↑ .
18. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص16↑ .
19. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط، 1995م ص19↑ .
20. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، لونجمان، القاهرة، ط1، 1996م، ص25↑ .
21. عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004م، ص22 . ↑
22. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص6↑ .
23. عبد الحميد مصطفى، دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد، عمان، ط1، 2004م، ص120↑ .
24. محمد خطابي، لسانيات النص إلى انسجام الخطاب، ص49↑ .
25. فان دايك النص والسياق، ص46↑ .
26. راضية خفيف بوبكري، التداولية وتحليل الخطاب، مجلة الموقف الأدبي، العدد 399، 2004م، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ص79↑ .
27. عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيماء الحديثة، دار الطليعة، بيروت ط/2، 1994م، ص70↑ .
28. محمد خطابي، لسانيات النص إلى انسجام الخطاب، ص51↑ .
29. أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص45↑ .
30. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص21↑ .
31. ج.ب. براون وَ ج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزليطني ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997م، ص96↑ .

32. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33↑ .

33. عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص121↑ .

34. جاك روبول، التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دغموس، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003م، ص54↑ .

35. (1)مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص41↑ .

36. المرجع السابق، ص42↑ .

37. مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، مجلة الدراسات اللغوية، الرياض، 2004م، ص199↑ .

38. صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008م، صلاح فضل، البلاغة والخطاب وعلم النص، الشركة العالمية للنشر، لونجمان، ط/1، 1996م، ص85ص50↑ .

39. أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص44↑ .

40. مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، سلسلة عالم المعرفة، العدد الثالث،1993م، الكويت ص 156↑ .

41. عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص23↑ .

42. عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص32↑ .

43. أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، ص127↑ .

44. المرجع السابق، ص73↑ .

45. دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط/1، 1998م، ص39↑ .

46. عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص (المفهوم، العلاقة والسلطة)، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، 1998م، ص49↑ .

47. د. عبد الحميد لطفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ص70↑ .

48. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط/2، 2005م، ص144↑ .

49. محمد حماسة عبد اللطيف، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط/1، 2000م، ص123↑ .

50. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص24↑ .

51. المرجع السابق، ص28↑ .

نقلت هذه المحاضرة عن الموقع: https://www.hnjournal.net/2-10-9/

المحاضرة الرابعة: بين المنهج والنص

المحاضرة الرابعة: بين المنهج والنص

لعل أهم سؤال يؤرق الناقد الأدبي خاصة إذا كان صادقا مع نفسه سؤال المنهج، ويتجلى القلق في السؤال التالي: كيف ندرس النص الأدبي؟ والإجابة عن هذا السؤال تختلف بالضرورة طبقا لطبيعة الوعي بوظيفة الناقد الأدبي، هل تقف عند حدود الوساطة بين القارئ والنص أم تتعاظم على حدود تلك الوساطة محاولة بناء إطار معرفي يتجاور مع أفق النص ويحاول أن يكون سابقا عليه. فمحاولة التعاظم التي ترتبط بإسدال إطار معرفي سابق على النص تحمل في طياتها بعضا من التعالي، وكأن الارتباط بمقاربة النصوص رجوع عن الهيمنة وعن الصورة المرسومة للناقد الذي لا يكتفي بدور تفسيري، فأي متأمل للأسماء الكبيرة المؤسسة في مجال النقد الأدبي سيدرك بسهولة هذه الصورة لبعض الأشخاص الذين حاولوا ترسيخ ملامحها، والعمل عليها لتشكيل ملامح فارقة، لا تقنع بهذا الدور التفسيري، طمعا في الجمع بين الإبداع والتفسير وتشكيل حضور مزدوج في ظل حضور فكرة مقررة في الدرس الأدبي، تعطي الحضور اللافت لمحاولة التسامي التي أشرنا إليها.

والنظرة المتأنية لفترات الفاعلية لدور الناقد الأدبي، الكاشفة عن وظيفة الوسيط بين القارئ والنص الأدبي لا تظهر – لو استعرضنا بعض التجارب النقدية الممتدة في بدايات القرن الماضي – على هيئة واحدة، فطه حسين ورفاقه على سبيل المثال يقدمون شرحا للمعاني إلى القارئ، ولكن ذلك الشرح أو التفسير-على حد تعبير أحد النقاد- محدود بجزئيتي الصواب والخطأ، والمحمود والمذموم، دون اهتمام كبير بالقيم الجمالية المرافقة لعملية إنتاج المعنى والمضامين.

والمتأمل للمناهج السياقية (الخارجية) يدرك أنها تشكل مرايا معرفية تطل من خلالها على اكتناه المشهد وعيا للمحيط، الذي تتحرك فيه أدبية الأدب. وبداية من استخدام هذه المناهج ظهرت سمات العنف في التعامل مع النص، ذلك العنف الذي دفع بعض الباحثين في عقد مشابهة بين ما يقوم به النقاد من إسدال رؤية جاهزة على النص، وما كان يقوم به بروكست قاطع الطريق، مع أناس وعدهم بالضيافة وقطع أرجلهم وشدها، لكي تتناسب مع ما لديه من أسرّة. فالناقد الذي يطبق معياره المنهجي الجاهز ليس بناقد مبدع، وإنما شبيه إلى حد ما ببروكست بمنهجه القائم على معالجة كل المرضى بدواء وحيد، وإن كان لا يناسبه.

وكرد فعل على هذه المناهج السياقية الأيديولوجية، جاءت المناهج التي اصطلح على تسميتها باسم (المناهج الداخلية)، لتكشف عن محاولة إقامة دوائر نقدية مرتبطة بالنص ذاته، كاشفة عن البنية المهيمنة في حضورها وغيابها، فإذا كان النقد- كما يقول نادر كاظم- في يوم من الأيام أيديولوجيا محضا، إلا أنه أصبح اليوم وكرد فعل على ذلك شكليا محضا، وأصبحت هذه الشكلانية بمثابة متطلب أساسي من متطلبات علمية النقد وانضباطه المنهجي، وصرامته وموضوعيته.

إن هذه المناهج التي تفترض العلمية، بداية من الشكلية الروسية والنقد الجديد، مرورا بالبنيوية تحاول تخليص الممارسة النقدية من الشوائب العالقة بالطبيعة الأدبية والجمالية للنصوص

الأدبية، وذلك من خلال غض الطرف عن كل الاهتمامات الخاصة بالظروف والمؤثرات الاجتماعية والسياسية. لقد فقد النقد الأدبي مع هذه المناهج القدرة على التدخل والاشتباك مع الخارج الحياتي، سواء أكان اجتماعيا أم سياسيا، وبدأ الاشتغال على موضوعه الأساس، وهو الأدب، وبنيته النصية كاشفا عن ضروب ترابطها وتكونها، وارتباطها بالنمطي، وابتعادها عن هذا النمطي في تجليها الإبداعي.

تعرض النقد في ظل سيطرة التوجه شبه العلمي على النقد، وارتباطه بالمناهج الداخلية – كما يقول تودروف – لاختزال عبثي، بعد أن صار النقاد يتعاملون مع أدواتهم ومناهجهم التحليلية على أنها غاية بحد ذاتها، لا مجرد وسيلة من بين وسائل أخرى عديدة لفهم الأعمال الأدبية، بحكم طبيعة النقد الانضباطية، وخضوعه لسيطرة المؤسسة وأغراضها.

إن هذه الفترة هي الأكثر خصبا في تاريخ النقد العربي المعاصر، فقد شهدت فورة التجريب المنهجي، كما عرفت – على حد تعبير سعيد يقطين – مشاريع نقدية كبرى، كتلك المتصلة بالتراث السردي، استنادا إلى نتائج الأسلوبيات والتأويل، أو نقد التمركز الذكوري في الثقافة العربية ارتكازا على منجزات النقد الثقافي.

المناهج النقدية تجاور أم تعاقب

إن النظرة المتأملة إلى التوجهات المنهجية السابقة، وهي مناهج متعاقبة زمنيا للوهلة الأولى، تثبت أن بينها بالضرورة مساحات كبيرة من الاختلاف، وأن بينها أيضا مساحات من التشابه، وأن بينها حضورا دوريا لبعض هذه المناهج في أشكال مختلفة وبتجليات مختلفة تشير إلى أهمية طرح بعض الأسئلة.هل تلغي هذه المناهج بعضها بعضا؟ أم أن هذه المناهج تتجاور فيما بينها، ويتم تطبيقها بدون وعي من الناقد الأدبي؟ وإذا كانت تتجاور هل هي دعوة للتوفيق؟

البنيوية تنظر إلى النص على أنه وثيقة لغوية مغلقة ومكتفية بذاتها، بينما تذهب مناهج النقد الثقافي إلى معاينة الأنساق السوسيوثقافية على حساب أدبية النص.فأحادية الجانب الذي يقف عنده توجه منهجي معين، تشير إلى نقص ما في جانب، وإلى حاجة ملحة لاستخدام إجراءات مناهج أخرى مترسبة في الذاكرة النقدية للباحث، وهذا يجعلنا نشير- كما يشير بسام قطوس-إلى أن المناهج الحديثة لا تلغي المناهج القديمة، كما أن المناهج الأحدث لا تلغي الحديثة، فالمناهج لا تموت، ولكن يتم تجاوزها، وتنبعث في مناهج أخرى.

وهنا قد يلح علي الذهن سؤال: هل هذا التجاور يكشف عن تعدد منهجي أم عن تعدد في استخدام الإجراءات التي قد تنتمي إلي مناهج متجاوبة أو متباينة؟ خاصة إذا أدركنا أن هذه المناهج لها حدود سواء أكانت حدودا زمانية أم حدودا إجرائية، ولكل منها جانب قوة، وجوانب قصور تتمثل في آثار سلبية ناتجة عن إهمال ما، أو ناتجة عن تركيز ما، وربما يفسر هذا القصور طبيعة التحول والانتقال إلي منهج آخر.

فالتعدد الذي نمارسه في النقد الأدبي، هو تعدد ناتج ومرتبط بالخبرة المنهجية، ويتمثل في التعدد المرتبط بالإجراءات التي لها قدرة على الاستمرار والوجود، وقد يستند هذا التعدد في وجه من وجوهه العديدة بفكرة الممارسة النقدية المستندة إلى النقد التطبيقي. فهذه الممارسة تكشف عن

الآلية التي يتم من خلالها تحويل إجراءات منهج محدد إلى فاعلية قراءة، ومن خلالها يتم الاستناد إلى العنصر الفاعل، الذي يأتي بوصفه خيطا تتشكل الجماليات الفنية حوله، ويرصد الناقد من خلال هذا العنصر الفاعل فاعلية الاضطراد والانتظام، وفاعلية كسر هذا الاضطراد.

المنهج والممارسة النقدية

السؤال الملح لأي ناقد أدبي: ماذا يفعل الناقد عندما يراد منه الاشتغال التطبيقي على نص ما؟ هل عليه أن يتبنى منهجا دون سواه، ليكون بمثابة البوصلة التي يهتدي بها أم أنه يدخل إلى النص عاريا من أي منهجية مسبقة، بانتظار إشارات النص ذاته؟ والسؤال السابق يمكن أن يطرح بشكل آخر-كما يقول سعيد يقطين – هل النص الأدبي هو الذي يفرض علينا المنهج الذي بواسطته تتعامل معه ؟ أم أن تصورنا المشكل عن الأدب في ضوء تصورات أخرى متصلة بالإنسان هوا الذي بواسطته ندخل عالم النص؟

إن الإجابة عن الأسئلة السابقة ليست سهلة، لأننا لو تبنينا منهجا دون سواه يخشى الوقوع في جاهزية النسق والإطار، ومن ثم يؤدي ذلك إلى ممارسة العنف، ولو دخلنا النص مبتعدين عن أي منهجية، يخشى ضياع المنهج المعرفي الذي ننتظره والوقوع في قبضة الانطباع المباشر.

الممارسة النقدية ليست منهجا نقديا، وإن كانت تستند إلى آلياته وإجراءاته، فهي تزيد على المنهج بالمرونة في التعامل مع النصوص، فتطبيق آليات المنهج بحذافيره، ربما لا تكون مجدية في نهاية الأمر في الوصول إلى نتائج علمية كاشفة من جانب، ومن جانب آخر لن تكون مجدية في بناء إطار معرفي قائم على الاختلاف أو التشابه بين الشعراء أو الروائيين محل الدراسة. إن تطبيق آليات منهج جينيت في دراسة البنية السردية دون محاولة التعاظم على هذا المنهج بحذافيره لن تجعلنا قريبين من روائي محدد، لأن إجراءات هذا المنهج قائمة على مقاربة المتاح أو المتشابه بين الروائيين، ومن ثم لن يزودنا في النهاية بمعرفة أكثر قيمة عن روائي محدد، بل وتجعل المقاربة في ذلك السياق ثابتة، ومن ثم فنحن بحاجة إلى التماس تطويع هذه الإجراءات واجتراح فاعليتها في حدود الحركة الدائمة بين ثقافة الناقد ومعطيات النص الأدبي في تجليه المباشر والعميق، فالحركة الدائمة بين ما يتيحه النص من إشارات وما يختزنه الناقد من ثقافة وتجارب إنسانية لا تحصى ربما تكون الأساس الحقيقي الذي يستند إليه أي إجراء منهجي حتى لا نقع في قبضة الانطباع المباشر.

ومن هنا تأتي قيمة الممارسة النقدية، لأنها تختلف باختلاف الناقد، وباختلاف ثقافته، فهي تقيم أو توجد تعددا لأشكال التجليات المنهجية لمنهج نقدي واحد في التعامل مع النصوص. وربما كان من الصواب أن نشير إلى أن هذه الممارسة النقدية لا توجد تعددا منهجيا بقدر فاعليتها وارتباطها بتعدد إجراءات منهجية يتم الارتكان إليها واستخدامها. والناقد حين يستند إلى هذه التعدد في الإجراءات المنهجية، قد لا يكون مدركا لهذا التعدد أو واعيا به، لأن التحولات المنهجية التي مر بها النقد في السنوات الأخيرة تحولات سريعة ومهمة، ويتبقى منها إجراءات لها سمة الفاعلية والنفاذ حتى لو أصبح المنهج الذي أوجدها من الماضي، ولكنه يظل حاضرا من خلال هذا الإجراء المترسب في الوعي النقدي. وعلى هذا فالتعدد الذي نمارسه في

الممارسة النقدية ليس تعددا منهجيا بقدر كونه تعددا إجرائيا، يحاول التعاظم على نمطية المنهج الساكنة، ويحاول أيضا التعاظم على فكرة الاستلاب المنهجي التي يقع فيها بعض الباحثين، فيشعر القارئ في إطارها بنمطية مميتة في التناول والتبويب، ويفقد الفن معها حضوره الفاعل، وقيمته المشدودة في التفريق بين مبدع وآخر.والممارسة النقدية لا تكفل هذا التعدد فقط، وإنما تكفل أيضا تعاملا خاصا أقرب إلى الهدهدة مع النصوص الأدبية بعيدا عن التوجه القائم على التشريح أو المنهجية في تجليها المثالي، الذي يمكن أن يكون سببا في القضاء على الفن برهافته الخاصة، التي تحتاج نظرة حانية للاقتراب منها، والإمساك بجوهرها المتفلت.

المحاضرة الخامسة: بين النص والخطاب

المحاضرة الخامسة: بين النص والخطاب

تمهيد:

يخلط الكثير من الطلبة بين مفهوم النص والخطاب ظنًا منهم أن المصطلحين مترادفين ولهما الخصائص نفسها والأهمية ذاتها، ولكن في الحقيقة يختلف تعريف النص عن مفهوم الخطاب من حيث الأهداف والتركيب والمعنى، لذلك ارتأينا في هذه المحاضرة أن نحدّد مفهوم كلّ من النص والخطاب، ثم نحاول إيجاد نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف بين هذين المصطلحين .

1- مفهوم النص:

أ- لغة:

المفهوم اللغوي لكلمة(نص) في لسان العرب يرتبط بمادة: نصص: النَّصُّ: رفْعُك الشيء. نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً: رَفَعَه. وكل ما أُظْهِرَ، فقد نُصَّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأَيت رجلاً أَنَصَّ للحديث من الزُّهْرِي أَي أَرْفَعَ له وأَسْنَدَ. يقال: نَصَّ الحديث إِلى فلان أَي رفَعَه، وكذلك نَصَصْتُه إِليه. ونَصَّت الظبيةُ جِيدَها: رَفَعَتْه. وَوُضِعَ على المِنَصَّةِ أَي على غاية الفَضِيحة والشهرة والظهور. والمِنَصّةُ: ما تُظْهَرُ عليه العروسُ لتُرَى، ونَصَّ المتاعَ نصّاً: جعلَ بعضه على بعض[i].

أما معناه في معجم (المحيط) يطلق على الكلام المفهوم من الكتاب والسنة، والنص يعني في (معجم المصطلحات في اللغة والأدب) لمجدي وهبة وكامل المهندس: الكلمات المطبوعة أو المخطوطة التي يتألف منها الأثر الأدبي.

أما في المعاجم الأجنبية فالنص(TEXT) مشتق من الفعل TEXTERE في اللاتينية، والذي يعني الحياكة، والنسيج، في حين أن تعريفه في قاموس LAROUSSE (الفرنسي) (النص) هو مجمل المصطلحات الخاصة التي نقرؤها عن كاتب، وتعريفه في قاموس (ROBERT) الفرنسي (النص) مجموعة من الكلمات والجمل التي تشكل مكتوبا أو منطوقا. والنص بتعريف قاموس الألسنية(لاروس) هو المجموعة الواحدة من الملفوظات (ENONCES) أي الجمل المنفذة، حين تكون خاضعة للتحليل، تسمى (نصا) فالنص عينة من السلوك الألسني، وأن هذه العينة يمكن أن تكون مكتوبة أو منطوقة[ii].

ب- مفهوم النص اصطلاحا:

أورد محمد عزام أن العالم الألسني (هيلمسليف) HJELMSLEV.L يستعمل مصطلح النص بمعنى واسع جدا، فهو يطلقه على أي ملفوظ أي كلام منفذ، قديما كان أو حديثا، مكتوبا أو محكيا، طويلا أو قصيرا، فإن عبارة ستوب (stop) أي قف، هي في نظره نصا، كما أن جماع المادة اللغوية لرواية بكاملها، هي أيضا نص[iii].

وكلمة نص (TEXTE) عند رولان بارث ROLAND BARTH: "تعني النسيج ولكن بينما اعتبر هذا النسيج دائما إلى الآن على أنه نتاج وستار جاهز يكمن خلفه المعنى (الحقيقة) ويختفي بهذا القدر أو ذاك، فإننا الآن نشدد داخل النسيج على الفكرة التوليدية التي ترى إلى

النص يصنع ذاته ويعمل ما في ذاته عبر تشابك دائم: تنفك الذات وسط هذا النسيج، ضائعة فيه ،كأنها عنكبوت تذوب هي ذاتها في الإفرازات المشيدة لنسيجها ،ولو أحببنا استحداث الألفاظ ، لأمكننا تعريف نظرية النص بأنها علم نسيج العنكبوت "[iv]

أما تودوروف فعنده النص يمكن أن يلتقي مع الجملة، مثلما يلتقي مع كتاب بأكمله فهو (النص) يتحدد بواسطة استقلاليته وانغلاقه ويشكل النص نسقا لا ينبغي مطابقته مع النسق الألسني ويمكن وضعه في علاقته معه[v].

أما (جوليا كريستيفا) فترى أن النص " جهاز عبر لساني،يعيد توزيع نظام اللسان LANGUE عن طريق ربطه بالكلام PAROLE التواصلي، راميا بذلك إلى الإخبار المباشر، مع مختلف أنماط الملفوظات السابقة والمعاصرة"[vi].

1- مفهوم النص باعتبار التواصل:

يمثل هذا الاتجاه البعد التداولي، ذلك أنّ أصحابه تناولوا تعريف النص بناء علي فكرة التواصل اللغوي بين الأفراد ، ومن أهم التعريفات التي وردت في هذا المضمار تعريف النص على أنه " كل وحدة تواصلية تعدت الجملة الواحدة سواء أكانت الجملة بسيطة أو معقدة، وهو وسيلة لنقل الأفكار إلى الآخرين فهو ينقل شيئاً ما إلي المخاطب "[vii].

2- مفهوم النص باعتبار المضمون/التتابع لمفهومي :

النص بناء علي هذا البعد هو عبارة عن " بنية دلالية تنتجها ذات فردية أو جماعية ضمن بنية نصية منتجة وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محدودة، وهذا التعريف يتضمن ثلاث بنيات هي:

1) بنية دلالية
2) بنية نصية
3) بنية ثقافية واجتماعية.

3- مفهوم النص باعتبار الظاهر/ التتابع الخطي:

وهو الجانب التركيبي والنص " ليس إلا سلسة من الجمل كل منهما يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل الداخلة في تشكيلة[viii]، فهذا التعريف يركز علي فكرة التتابع الرصفي أو التركيب ، وبالتالي فإنه يؤدي إلي تفكيك النص وعدم ترابطه نظراً لإهماله الجانبين الدلالي والتواصل.

4- مفهوم النص باعتبار الجمع بين أبعاده :

تعتبر التعريفات التي سنوردها في هذا المقام هي من أقرب التعريفات للصحة نظراً لكونها حاولت الجمع بين أبعاد النص الثلاثة (التركيبى ـ الدلالي – التواصلي)، وكان ممن قدم طرحاً كهذا الدكتور سعيد بحيري في تعريفه للنص بأنه " بنية مركبة متماسكة ذات وحدة كلية شاملة يستلزم وصفها تعقب تلك العلامات الممتدة أفقياً والبحث عن وسائل الربط النحوي، وتتابع القضايا والمعلومات والتماسك الدلالي ووسائله وإمكانات الربط الداخلي وتحديد المدى الذي يحتاجه النص من العناصر غير اللغوية التي حققت له الوحدة والانسجام والاستقرار"[ix].

2- مفهوم الخطاب

أ- لغة:

الخطاب لغة: خطب: الخَطْبُ: الشَّأْنُ أَو الأَمْرُ، صَغُر أَو عَظُم؛ وقيل: هو سَبَبُ الأمر. يقال: ما خَطْبُك؟ أَي ما أَمْرُكَ؟ وتقول: هذا خَطْبٌ جليلٌ، وخَطْبٌ يَسير. والخَطْبُ: الأَمر الذي تَقَعَ فيه المخاطَبة، والشأْنُ والحالُ؛ ومنه قولهم: جَلَّ الخَطْبُ أَي عَظُم الأَمرُ والشأْن. وفي حديث عمر، وقد أَفْطَروا في يومٍ غيمٍ من رمضان، فقال: الخَطْبُ يَسِيرٌ. وفي التنزيل العزيز: قال فما خَطْبُكُم أَيُّها الـمُرْسلون وجمعه خُطُوبٌ[x].

كما عرفه صاحب القاموس المحيط كالآتي: الخَطْبُ: الشأنُ، والأَمْرُ صَغُرَ أو عظُمَ، ج: خُطُوبٌ. وخَطَبَ الخاطِبُ على المِنْبَرِ خَطَابَةً، بالفتحِ، وخُطْبَةً، بالضمِ، وذلك الكلامُ: خُطْبَةٌ أيضاً، أو هي الكلامُ المَنْثُورُ المُسَجَّعُ ونحوهُ. ورجلٌ خطيبٌ: حَسَنُ الخُطْبَة[xi].

أما في المعاجم الأجنبية فإذا عدنا إلى الموسوعة العالمية (1990 : 1025) نجد فيها ربطا بين الكلمة الانجليزية discours و الكلمة اللاتينيةdiscursus التي كانت تعني " جرى هنا و هناك ". هذه الكلمة مأخوذة من الفعل اللاتينيdiscurrere[xii].إذا سلمنا بهذا الربط يمكن وصف الخطاب بأنه "جري" من متكلم إلى سامع أو قارئ. إن هذا المعنى قريب من المعنى الذي نجده في قاموس كولان الانجليزي الذي يعرف الخطاب بأنه:" تواصل كلامي، سواء كان حديثا أو حوارا "[xiii]

أما قاموس أكسفورد الانجليزي (1989: 751)، فيربط الخطاب بحقل تحليل الخطاب الذي يعتبره:" طريقة تحليل النصوص أو التلفظات الأكبر من الجملة، مع الأخذ بعين الاعتبار محتواها اللغوي و سياقها السوسيو- لغوي."[xiv]

في اتجاه آخر يبحث دوزا (1971 :562) في تاريخ استعمال الكلمة الانجليزية discours فيرجعها إلى سنة 1534، في حين يرجعها قاموس (RG 1989) إلى سنة 1503، و يشير إلى أنها كانت تستعمل في بداية تداولها بمعنى "محكي" أو "عرض" سواء كان منطوقا أو مكتوبا. غير أن استعمال هذه الكلمة قد تشعب ليشمل دلالات متعددة نجدها مثبتة في روبير الصغير كالآتي:1- حوار أو محادثة. 2- خطبة شفوية أمام جمع من الناس. 3- كتابة أدبية تعالج موضوعا بطريقة منهجية.4 - التعبير الشفوي عن الفكر. 4 - التعبير الشفوي عن الفكر.[xv].

ب- الخطاب اصطلاحا:

كل ملفوظ يندرج تحت نظام اللغة وقوانينها فهو نص، وإذا ما خرج ليندرج تحت السياقات الاجتماعية سمي خطابا، فالخطاب إذن يضطلع بمهمة توصيل رسالة، ومن ثم فهو مغمور في الأيديولوجيا، ومبالغ في خرق النظام بحثا عن المرجع[xvi]، هكذا تنظر يمنى العيد إلى الخطاب.

والخطاب الأدبي مظهر كلامي احتوته علوم اللسان من منطلق أنه سلوك لفظي، يومي يتصف بطابع الفوضى، والتحرر ويشكل مصدرا للغة، لكونه نتاجا فرديا صادرا عن وعي

وإرادة واختيار حرّ من قبل الناطق، الذي يستخدم أنساقا للتعبير عن فكره الشخصي، مستعينا في إبراز ذلك بآليات نفسية وفيزيائية[xvii]

والخطاب هو مجموعة من النصوص التي تهدف إلى توصيل معلومات محددة إلى المتلقي، بحيث توجد بعض العلاقات بين النصوص داخل الخطاب، وكذلك بين الخطاب وغيره من الخطابات الأخرى[xviii].

إن مصطلح الخطاب متعدد المعاني، فهو وحدة تواصلية إبلاغية، ناتجة عن مخاطب معين وموجهة الى مخاطب معين في مقام وسياق معينين يدرس ضمن ما يسمى الآن بـ "لسانيات الخطاب" "Linguistique de discours".

والخطاب عند ليتش وزميله شورت " تواصل لساني ينظر اليه كإجراء بين المتكلم والمخاطب أي أنه فاعلية تواصلية يتحدد شكلها بواسطة غاية اجتماعية. أما النص فهو أيضا تواصل لساني مكتوب. وتبعا لهذا فإن الخطاب يتصل بالجانب التركيبي والنص بالجانب الخطي كما يتجلى لنا على الورق"[xix].

ج- معايير الخطاب:

أ) ما يتصل بالنص في ذاته وهما :

1 - السبك cohesion وهو عبارة عن التبعيات النحوية في ظاهر النص.

2- الحبك coherence " وهو عبارة عن تبعيات المفاهيم في عالم النص.

ب) ما يتصل بمستعملي النص سواء أكان المستعمل منتجاً أم متلقياً وهما :

1- القصد Intentionality " وهو يعبر عن هدف النص " .

2- القبول Acceptability وهو يعبر عن موقف المتلقي من النص .

جـ) ما يتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص وهي:

1- الإعلامية informativity وهو يعبر عن مدي توقع القارئ للمعلومات الواردة في النص.

2- المقاميةsituationality ويقصد بها مدي مناسبة النص للسياق الوارد فيه.

3- التناص intersexuality وهو عبارة عن قيام صلة متبادلة بين النصوص وبعضها.

3- بين النص والخطاب:

يرى سعيد يقطين أن العلاقة قائمة بين النص والخطاب، وأنها متعددة الأوجه انطلاقا من الرأي الذي يرى أنهما (الخطاب والنص) واحد، أي هما وجهان لعملة واحدة، تسمى النص كما تسمى الخطاب، وهناك من يرى أن النص أعم من الخطاب، وهو أقرب إلى المنطق، وهناك من يرى عكس ذلك.

1- يختلف الخطاب(DISCOURS) عن النص (TEXTE) حيث يعتبر الخطاب رسالة تواصلية إبلاغية متعدد المعاني يصدر عن باث (المخاطب) موجه إلى متلق معين عبر سياق محدد، وهو يفترض من متلقيه أن يكون سامعا له لحظة إنتاجه، ولا يتجاوز سامعه إلى غيره، يتميز بالشفوية ويدرس ضمن لسانيات الخطاب.

إلا أن النص هو تلك الرسالة أو التتابع الجملي الذي يهدف إلى عرض تواصلي، ولكنه يوجه إلى متلق غائب، ويثبت بالكتابة، كما يتميز بالديمومة، ولهذا تتعدد قراءات النص، وتتجدد بتعدد قرائه، ووجهات النظر فيه، ووفق المناهج النقدية التي يقرأ بها[xx].

2- ويشترك الخطاب والنص على اعتبار أنّ الخطاب هو تلك "الصياغة لفكرة مقصودة، في تتابع لغوي وفق ما تقتضيه القواعد اللغوية، للغة معينة، ومن الضروري هنا ضبط الصحة ، والسلامة في التأليف اللغوي، لأن سوء التأليف قد يؤدي إلى الاضطراب في العملية الإبلاغية، ليتم بعد ذلك إرسال (الخطاب) في الهواء إلى المتلقي، إذا كانت الرسالة منطوقة،(أو) تدون في المدونة الكتابية"[xxi].

ويمكن أن نبين الفرق بين الخطاب وبين النص كما يلي:

1 - يفترض الخطاب وجود السامع الذي يتلقى الخطاب، بينما يتوجه النص الى متلق غائب يتلقاه عن طريق عينيه قراءة أي أن الخطاب نشاط تواصلي يتأسس - أولا وقبل كل شيء - على اللغة المنطوقة بينما النص مدونة مكتوبة.

2- الخطاب لا يتجاوز سامعه الى غيره أي أنه مرتبط بلحظة انتاجه بينما النص له ديمومة الكتابة فهو يقرأ في كل زمان ومكان..

3- الخطاب تنتجه اللغة الشفوية بينما النصوص تنتجها الكتابة، أو كما قال "روبير اسكاربيت R. Escarpit "اللغة الشفوية تنتج خطابات des discours بينما الكتابة تنتج نصوصا des textes وكل منهما يحدد بمرجعية القنوات التي يستعملها، الخطاب محدود بالقناة النطقية بين المتكلم والسامع وعليه فإن ديمومته مرتبطة بهما لا تتجاوزهما، أما النص فإنه يستعمل نظاما خطيا وعليه فإن ديمومته رئيسية في الزمان والمكان.

4- تحليل الخطاب:

أما تحليل الخطاب فمعناه أن يتم استخدام العديد من المناهج لتحليل الخطاب ونقله مما هو مجهول إلى شيء معلوم ، فكلمة تحليل تعني شرح وتفسير أجزاء الخطاب، والكشف عن أجزاءه المختلفة ، لكي يصبح واضحًا ومفهومًا .

ويعتمد تحليل الخطاب على تنظيم وترتيب المعلومات بشكل صحيح لكي يستطيع المتلقي فهم النصوص التي يتضمنها الخطاب ، لذا فإن قراءة الخطاب بسرعة ليس تحليلًا له ، حتى وإن توقف قارئ الخطاب عند بعض النصوص سريعًا لكي يفهمها ، إنما تحليل النص يتطلب وقتًا طويلًا لكي يتم فهم معانيه ، وما يتصل به من دلالات وأهداف ، واكتشاف عناصر القوة والضعف به ، ويتطلب ذلك وجود خبرة كافية وبحث متعمق .

هذه المحاضرة نقلت عن هذا الموقع:-https://cte.univ-setif2.dz/moodle/mod/page/view.php?id=41346&lang=en

المحاضرة السادسة: مداخل مساءلة النص

المحاضرة السادسة: مداخل مساءلة النص

إن الإبداع، تعبير عن التحولات الحضارية والاجتماعية والثقافية لأي أمة من الأمم، وهو تجسيد للوعي بالذات في علاقتها مع الوجود ومع الآخر، للوصول إلى الكون الشعري، وهذا ما تحقق في الشعر العربي بصفة عامة والشعر المغاربي المعاصر بصفة خاصة؛ من خلال ضرورة تحقيق هذه الاستجابة التي تمثلت في التغيرات البنيوية والشكلية للقصيدة المغاربية المعاصرة والتي كانت بحق انعكاسا لتطور ثقافي وأدبي بارز.

ومن هنا يمكننا ـأن نرصد التجديد على مستوى النص الشعري الذي ابتغى الخروج عن السائد، في الشعرية العربية، واختار التجاوز والمغامرة التعبيرية والكتابية، و قد طرحت الحساسية الشعرية الجديدة أسئلة جديدة ومقلقة ومستفزة للذات المتلقية التي ألفت شعر الإنشاد على النمط الكلاسيكي ، بفعل التمظهرات التي مست جسد القصيدة، والتي أبانت عن وعي جديد بدأ يسكن الفرد العربي في المنطقة المغاربية متأثرا بالتحولات وواعيا بآثارها على نفسيته فجاءت النصية الشعرية القصيدة الشعرية المغاربية المعاصرة بدءا بشعرية السبعينيات مخالفة ومفارقة لمعهود الشعر العربي ولشعرية النهضة والإحياء وشعرية الانكسار النهضوي إلى نص ملتزم وواع بقضايا المجتمع الذي يتوق إلى التغيير في مختلف مناحي الحياة ، نص منفتح على الثقافات العالمية وعلى المذاهب النقدية الجديدة وعلى العلوم ، نص يهدم من أجل البناء، بناء مجتمع الحرية والاختلاف ، مجتمع القلق والاضطراب ، نص منفلت من قيود التعبيرية القديمة التي تحد من الرغبة الجامحة في ابتداع شعرية مفتوحة على إشكالات وجودية وذاتية، ومن أبرز هؤلاء الشعراء نشير إلى الكثير من الشعراء المغاربة أمثال من الجزائر عثمان لوصيف والشاعر حكيم ميلود وعزالدين ميهوبي وعبدالقادر رابحي ولخضر بركة وعبدالله جدي وسليمان جوادي وغيرهم ومن المغرب 'محمد الوديع الأسفي ومحمد الحبيب الفرقاني، إدريس الملياني، ومحمد الشيخي، وعبد الله راجع، ومحمد بنيس، ومحمد بنطلحة، وأحمد بن ميمون،و...ومن تونس شكري بوترعة وإيناس العباسي ولمياء المقدم ومنى الرزقي وسامية الساسي وناظم بن براهيم وفضيلة الشابي وفوزية العلوي ومن ليبيا '("علي الفزاني" وخالد زغيبة عبد اللطيف المسلاتي، ومحمد الكيش، ومحفوظ أبوحميدة، وعبد الرحمن الجعيدي، وفوزية شلابي، وعائشة المغربي، وزاهية محمد عليمفتاح العماري، وعمر الكدي، وحواء القمودي، وعاشور الطويبي، وفرج العربي، وفاطمة محمود، وسالم العوكلي، وسراج الدين الورفلي، وخلود الفلاح، وصالح قادربوه أما شعراء موريتانيا : بدي ولد أبنو، وإبراهيم ولد عبد الله، والمختار السالم، ومحمد ولد أعليه، وإبراهيم ولد عبد الله، وإبراهيم مالك الحر وغيرهم....الذين أضافوا إضافات الجدة والإبداع على قصيدة التفعيلة. وأبدعوا في التشكيل البصري للقصيدة الشعرية، فكانت الكتابة الجديدة للقصيدة المغاربية إيذانا بولوج مرحلة جديدة تتوجه نحو القراءة البصرية. وهي تجربة فتحت أفقا للخرق والإبداعية النابضة برؤى شعرية ثرية؛ بمحمولاتها الموضوعاتية والجمالية، و الاحتفاء بالذات كمقوم من مقومات نصية جديدة .

وللتمثيل على ذلك نورد نصا شعريا للشاعر المغربي وهو عبدااله راجع الذي يقول فيها:

هي الأرض التي تحبو على كتفي تترك في القصيدة لحمها
وأنا امتداد الحلم في الجسد المحاصر بالكتابة
لاشيء ينقدني من الأرض التي تمشي
سوى الأرض التي تأتي
وليس رحيل أحبابي سوى مرّ سحابة

إن الملمح الجمالي من بين سمات هذه التجربة الشعرية، حيث الذهاب باللغة الشعرية إلى ارتياد عوالم الحلم والتعبير عن القلق الإبداعي الذي يساور الذات الشاعرة أثناء لحظة الكتابة، وبالتالي فالقصيدة هنا التحمت بالهم الذاتي، كسيرة شعرية لتجربة خارجة من النفق الإيديولوجي إلى أفق مفتوح على أسئلة الإبداع، فتحول النص الشعري إلى بؤرة للشعر لا غير، أي كتابة شعرية تحتفي بالإبداع الشعري .

استطاع الشاعر المغاربي المعاصر أن يتخلص من هيمنة البعد الإيدولوجي ومن الهم الجماعي والانخراط في الهم الفردي من خلال مساءلة الذات الفردية والتعبير عن أوجاعها وأحلامها والاهتمام أيضا باليومي من حياة الفرد وبالمهمش والمبتذل.

وفي الوقت ذاته انفتح الشاعر المغاربي على أساليب السرد وعلى قيم تعبيرية جديدة، ومن أمثال شعراء المغرب الذين ذهبوا بعيدا بالنص الشعري وجربوا قصيدة النثر في المغرب مثلا (أحمد بركات، إدريس عيسى، حسن نجمي، صلاح بوسريف، وفاء العمراني، ،محمد بوجبيري، محمد عرش، محمد عزيز الحصيني، عبد السلام المساوي وسعيد الباز ومحمد رفيق وغيرهم، لقد سعت القصيدة المغاربية المعاصرة إلى خلق تصورات ورؤى تختلف، عما سبقها من تجارب شعرية، كان لها الدور الفعال في إثبات حضورها الإبداعي على شاكلة نظيرتها في المشرق العربي، وعبرت عن حاضر عايشته، كما أبانت عن الإشكالات الذاتية والوجودية، فجاء النص الشعري مجسدا لهذه التغيرات العميقة التي مست وعي الفرد والمجتمع، وتجاوزت القيم التعبيرية التقليدية التي لم تعد تستجيب لهذه الحساسية الجديدة القلقة والمنكسرة والمتمردة في الوقت نفسه.

استطاعن القصيدة المغاربية المعاصرة أن تخلق إيقاعها يتناسب مع الجو الجديد،فجاءت قصيدة النثر تعبيرا عن هذه التجربة متخلية عن كل ماهو إيديولوجي وانغمست في الذات.

والدارس لهذا الارتحال الشعري من القصيدة العمودية إلى قصيدة التفعيلة ثم إلى قصيدة النثر في فضاء الإبداع المغاربي المعاصر يدرك أبعاد ومبررات هذا الارتحال الفني ويمكن أن نوجزه في ما يلي:

1- الانفتاح على التجديد الشعري في المشرق العربي والتأثر برواد الحداثة الشعرية العربية.

2-دور الحركة النقدية المعاصرة في تطوير الرؤيا الشعرية في بلدان المغرب العربي.

3-التحولات الثقافية والاجتماعية التي مست الواقع المغاربي.

4-الانفتاح على الثقافة العالمية وآدابها ومذاهبها النقدية.

5-حالة الضياع والانكسار التي أصابت الشاعر المغاربي المعاصر ويأسه من الانطلاق في جو من التقدم والتحرر.

6- دور الجامعات والنوادي الأدبية والمجلات والمؤلفات وحركة الترجمة والنشر في تكوين طبقة شاعرة معاصرة ومجددة.

انطلاقا مما سلف نقف على ملامح النظرية للشعر المغاربي الذي لا يخرج عن اطار الشعر العربي في عمومه نظرا للمرجعية الشعرية العامة والواحدة التي خرج منها سواء الشعر العربي في المشرق أو في المغرب العربي وهي نظرية واحدة تاريخها الشعري والبلاغي الممتد في التراث الشعري الذي أسس لكل نبوغ شعري مراحله الأولى وساهم في توجيهه نحو بناء نموذج شعري ساكن في الذاكرة وأصبح معيارا لكل شعر، غير أن رياح التجديد أصابت الذائقة الشعرية في عصر التناقضات والتحولات الفكرية والنقدية والدراسات المعاصرة التي حطمت مقولة الشعر هو الكلام الموزون المقفى وفتحت أفق التجريب والمغامرة الكتابية إلى أبعد الحدود.

الشاعر المغاربي المعاصر أحدث نقلة نوعية مع ماضي الشعر وانخرط في أفق التجديد ووقف مع شعراء المشرق العربي على مسافة واحدة من الإبداع والتفوق والتميز وكان مساهما في بناء الحداثة الشعرية المعاصرة ولم يعد تابعا للمركزية المشرقية الشعرية، وما تشهده الساحة الأدبية من نتاجات شعرية رائدة في جميع بلدان المغرب العربي دليل واضح على التحول العميق الذي أصاب الذات الشاعرة والتي عبرت عن ذلك بنصها الحداثي المغاير لما كان سائدا.

ومن خلال اطلالة سريعة لمآل الشعر المعاصر في ليبيا الذي ظل فيها صوت الشعر خليليا ردحا من الزمن بفعل تغلغل الثقافة التقليدية وحضورها تراثها الشعري بقوة في الذاكرة وفي الكتابة ، غير أن التحولات التي مست الواقع الليبي أثرت بدورها في مسار التعبير الشعري وبدات تزيح فكرة النموذج الخالد والمعيار ،

ودخل الشاعر الليبي المعاصر مرحلة (التجريب في الشعر الليبي المعاصر منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين؛ إذ بدت الإرهاصات الأولى لتجربة قصيدة النثر في ليبيا بتأثير مباشر من نصوص التجربة العربية أو المترجمات الأجنبية، ثُم تطورت في ما بعد، كما يعرض ذلك الباحث سليمان زيدان في كتابه «قصيدة النثر في ليبيا: بداياتها وبنياتها» (2020). برز من كُتابها الأوائل: عبداللطيف المسلاتي، ومحمد الكيش، ومحفوظ أبوحميدة، وعبدالرحمن الجعيدي، وفوزية شلابي، وعائشة المغربي، وزاهية محمد علي. وابتداء من تسعينيات القرن وإلى اليوم، ظهر جيل جديد من كُتابها أكثر وعيا بأطروحاتها الفنية؛ مثل: مفتاح العماري، وعمر الكدي، وحواء القمودي، وعاشور الطويبي، وفرج العربي، وفاطمة محمود، وسالم العوكلي، ولم يسلم الشعر الليبي في هذه المرحلة المعاصرة من حضور البعد الإيديولوجي والسياسي والقبلي في بنيته الداخلية غير أن بعد نضج التجربة وتكوين قاعدة متذوقة للشعر المعاصر دخل الشاعر الليبي هو أيضا في تجريب فعل الكتابة الشعرية وإبدالاتها الجديدة

موظفا تقنيات الكتابة الشعرية المعاصرة كالتناص والرمز وتوظيف الأسطورة وأيضا التعبير عن تيمات العصر (الحب والموت والزمن والمدينة والضياع والقلق والوطن ..) .

أما فضاء الشعرية المعاصرة في الجزائر،فلا تخرج عن الإطار العام للشعر العربي في تحولاته من التقليدية الكلاسيكية إلى المعاصرة والتجريب القديم وأنصار الحداثة والتجريب.

ولم تكن الساحة الأدبية في الجزائر منذ العشرينيات من القرن الماضي بمنأى عن هذه الصراعات والخلافات ودعوات التجديد والحداثة ، مع الشاعر الناقد رمضان حمود وتجربته في نص "يا قلبي" ومقالاته النقدية .. وفي الخمسينيات من القرن نفسه مع أبي القاسم سعد الله ، وأبي القاسم خمار ومحمد الصالح باوية ، وغيرهم .. بفعل تأثيرات موجة شعر التفعيلة.

وأول تغيير طرأ على النص الشعري الجزائري كان في البنية العامة له – الشكل الفني – فمن الشعر العمودي إلى شعر التفعيلة الذي وجد الصدى في السبعينيات من القرن الماضي في الجزائر بشكل ملحوظ ، بل إن بعضا ممن أشرفوا على المنابر الثقافية حاولوا إلغاء أو إقصاء القصيدة العمودية بشكل أو بآخر – بقصد أو بغير قصد – فمثلا مجلة آمال** في سلسلتها الأولى – في الفترة الممتدة بين 1969 و1985 نشرت تسعة عشر وأربعمائة نص شعري (419) منها خمسين ومائة قصـــيدة عمودية (150)، وتسعة وستـين ومائتي قصيدة حرة (269)، وقد ظهر هذا التوجه إلى شعر التفعيلة في المرحلة الثالثة من عمر المجلة عندما تولى الإشراف عليها : عبد العالي رزاقي ، محمد الصالح حرز الله إسماعيل غموقات ، حمري بحري ، سليمان جوادي ، محمد زتيلي ، وعبد الحميد شكيل ، بحكم الرؤيا الذاتية والممارسة الإبداعية لهؤلاء.

ولكن مع نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات ، والتحولات التي طرأت على البنى الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية وما ترتب عنها ، عرف المشهد الشعري الجزائري – خاصة – عدة تحولات في البنية والشكل ، وظهر خطاب شعري يواكب التغيرات والتحولات في الجزائر والعالم العربي ، مع جيل جديد أظهر تحكما في الأداة الفنية وبعدا عن الشعاراتية والتبعية للآخر – السياسي – مستفيدا من الموروث الشعري السابق ، ومحاولا التأسيس لنص شعري جزائري يحمل الخصوصية الذاتية والوطنية .

لقد تغير البناء الشعري الجزائري ، إذ أصبح للبناء الشعري قيمة كبيرة عند شعرائنا فتنوعت أشكال القصيدة تبعا لتنوع التجارب الشعرية وتعددها ، فجاءت القصيدة الحرة لتمثل شكلا من أشكال التجريب والحداثة في الشعر العربي ، ومن أبرز شعرائها(محمد مصطفى الغماري وعز الدين ميهوبي وعياش يحياوي وعثمان لوصيف ولخضر فلوس .. وغيرهم) .

أما التجربة الشعرية المعاصرة في المغرب فقد عرفت هي أيضا تحولا واضحا على مستوى البنية، حيث انتقلت القصيدة من البناء العمودي إلى التفعيلة، وذلك مع الرواد: أحمد المجاطي/ محمد الخمار الكنوني/ محمد السرغيني/ حسن الطريبق/ أحمد الجوماري/ عبد الكريم الطبال/ محمد الميموني، وهم من الجيل الأول الذي ساهم بشكل كبير في تطور بنية المشهد الشعري الثمانيني. أما الجيل الثاني فنسميه جيل التجاوز، والتجاوز مصطلح أطلقه الشعراء الجدد (الذين

ظهروا في السبعينيات) بغية تمييزهم عن الجيل السابق، محاولين – بذلك- وضع فواصل بينهم وبين سابقيهم بدون الأخذ بعين الاعتبار مسألة الانفعال/ التفاعل، والتأثير/ التأثر، ولعل شعر هذه المرحلة قد عرف تنوعا في الأصوات الجديدة وكثافة في النصوص، ومن أبرز هؤلاء الشعراء: محمد بنطلحة / محمد بنيس/ المهدي أخريف/ محمد الأشعري/ عبد الله راجع / أحمد الطريبق. ثم جاء جيل التجربة الشعرية المعاصرة في المغرب جيل الثمانينيات ، الذي هيمنت سمات الغنائية الذاتية على قصائده، فكان جيلا مغايرا ابتعد عن المضامين القديمة والتشكيلات الجديدة، وانصرف إلى همومه الذاتية، وغرد خارج السرب، ومن بين الأسماء المبدعة في هذا الجيل، نذكر: سعد سرحان/ إدريس عيسى/ حسن مرصو/ صلاح الوديع. وإلى جانب الأصوات الذكورية في الشعر المعاصر في المغرب، نجد أصواتا نسائية مبدعة، خاضت غمار الانعتاق من الأبيسية (الهيمنة الذكورية) والبحث عن منابع الحرية والمساواة في ظل حب حقيقي، ومن بينها: ثريا السقاط / مليكة العاصمي/ وفاء العمراني/ ثريا ماجدولين/ الزهرة المنصوري/ ابتسام أشروي.

أما شعراء تونس فلم يبقوا بمنأى عن رياح التغيير التي أصابت المغرب العربي بعد الاستقلال مباشرة حيث حمل الشعراء هموم التحديث وراحوا يبدعون اشعارا تناسب الوضع الجديدي الذي شهد تغيرات عميقة وخصوصا في الوعي بضرورة التقدم والتخلص من قيود الماضي التعبيرية التي لم تعد تستوعب انفلات الحاضر بتناقضاته المتسارعة على جميع المستويات وهذا ما دفعهم إلى التطلّع إلى أفق لغويّ وإيقاعيّ جديد مستأنسين بتجربة الشعراء الحداثيّين في المشرق العربيّ ولما كانت الذات هي وطن الشعر وبيته فإن القصيدة تحولت، في هذه المجموعة، إلى لحظة بوح واعتراف ...الكلمات فيها تستمد من هذا الوطن القصي شحنتها العاطفية وقوتها الدلالية. والواقع أن الشاعر التونسي ظل منذ أبي القاسم الشابي شديد الانهماك في الواقع والشعرُ عنده ليس تعبيرا عن حقائق النفس فحسب بل هو تعبير عن حقائق الواقع وقد امتزجت بحقائق النفس. فالإحساس بالخلل ينتاب كلَّ شيء إيقاع متواتر في مجاميع شعراء الالتزام . لهذا تتحوّل الكتابة إلى طريقة نقد للحياة ، محاولة لتقويم ما اختلّ من أمرها.

ومن بين شعراء المعاصرين الطاهر الهمامي وخالد النجار ومنصف الوهايبي وعلي اللواتي بشير القهواجي **ومحمد**

المحاضرة السابعة: نظرية أنواع النصوص وأصناف الخطاب

المحاضرة السابعة: نظرية أنواع النصوص وأصناف الخطاب

نظرية أنواع النصوص (كاتارينا رايس)

تعتمد هذه النظرية على علم اللغة النصي متمثلة مناهج تحليل الخطاب analyse de discoursوالمنهج السيميائي.la sémiotique ولتطبيق المبادئ النظرية لهذه العلوم، على متعلم الترجمة أن يدرك مفاهيم البنيـــة la structureوالترابط La cohésion والاتساق la cohérenceوالالتحام النسيجي للنص.La texture du texte فقد ميز اللساني الفرنسي «Emile Benveniste»بين الجملة والنص، واعتبر أن تحليل النصوص لا يجري إلا في شكل ملفوظénoncé ؛ أي في وضعية اتصال خاصة.

أما «هاليدي وحسن» فيعتبران تميز النص بالترابط والاتساق ولحمة النسيج اللغوي في مستوى استعمال الروابط بين الجمل:

« C’est donc à une étude des liens de cohésion du texte qui participent à sa texture que nous invitent des linguistes américains » (20)

ونستنتج من هذا أن التدرب على أنواع من النصوص، بتجزئتها إلى وظائف ضمن فعل الاتصال، يزداد فيها وعي متعلم الترجمة بوجود أدوات داخل النص كأدوات الربط مثلاً، وهذا انطلاقا من البنية السطحية والعميقة كما يرى (Teun Adrianus Van djik) متأثرا بنوام شومسكي مستعملا منهج «نحو النص.la grammaire du texte».

-1-6-1النص وسيلة تعليم للترجمـــة

يكاد يكون النص (23) الوسيلة التعليمية الوحيدة المتوفرة لأستاذ الترجمة في الجامعة، ومنها يشتق التمارين ويجسد التقنيات، ومن أهم ملامح الدراسات الترجمية بالعودة إلى النص، تلك التي جرت في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات في ألمانيا

ولعل الدراسة النظرية التطبيقية وفق الخلفية الوظيفية ما أجرته كاترينا رايس Katerina Reissعن أنمـاط النصوص les types des textes وعلاقتها بوظائف اللغة

وستكون هذه الدراسة التي بنتها على مفهوم التعادل « L’équivalence » انطلاقاً هذه المرة من النص وليس الكلمة أو الجملة، هادفة إلى إضفاء الطابع المنهجي على دراسة النصوص، مستندة في ذلك إلى أعمـال «كارل بوهلر» الذي حدد بدقة وظائف اللغة. ولخصتها رايس على النحو التالي: 24

-1(التوصيل البسيط للحقائق: مثل المعلومات والمعارف، ونمط هذا النوع مـن النصوص إخباري؛ حيث يكون المضمون هو بؤرة التركيز الأولي في التوصيل وله بعد منطقي وإحالي

-2التأليف الإبداعي: ويستعمل المؤلف فيه البعد الجمالي للغة. يحتل فيه المؤلف المحور ونمط النص تعبيري.

-3طلب الاستجابة السلوكية: وشكل النص حواري ينصب على الدعوة، وهو النص الداعي للعمل، ويعتمد على الإقناع.

-4النصوص السمعية الوسائطية: مثل الأفلام والإعلانات، وهي التي تضيف إلى الوظائف الأولى الصور البصرية والموسيقى.
وسنثبت أهمية هذا التقسيم لأنواع النصوص في مجال التحليل والترجمة؛ إذ يرتبط بكل نص آليات خاصة تختلف عن غيرها.
فأما النوع الذي سنتعامل به في تعليــمية الترجمة في الجامعة فهو الأول، لأن طـبيعة النصوص المختارة إخبارية تقتصر على تقديم الحقائق، والبعد اللغوي منطقي ـ وأسلوب الترجمة فيه هو النثري البسيط مع الإيضاح والتفســير explicationإذا اقتضت الضرورة التي تفترض صعوبة المقابل اللغوي. على عكس النوع الثاني الذي يتطلب مقدرة جمالية إبداعية. ويبين هذا الشكل أنواع النصوص من وجهة نظر رايس.(25
ولكل نوع من النصوص معايير دراسة كالمعايير اللغوية الداخلية، وهي لفظية ودلالية ونحوية وأسلوبية. والمعايير الخارجية عن اللغة كالإيحاءات الشعورية
ورغم الترابط بينهما فإن أهميتها تتفاوت وفقا لنمط النص إن هدف رايس من وراء تحديد أنماط النصوص هو وضع استراتيجيات، يمكن انطلاقـا منها، تطبيق نظرية عامة على جميع أنواع النصوص في إطار المـــنهج الوظيفي .ولكـن السؤال المطروح: إلى أي مدى يمكن أن يحدد نوع النص طريقة الترجمة؟
إن عملية تحليل النصوص تقود لا محالة إلى تفكيك الصعوبات اللغوية في مستوى الشكل والمضمون.
إن نظرية أنواع النصوص إذا ما قورنت بغيرها من النظريات، فإننا نقـول إن منهجها ملائم إلى حد كبير لعملية تعلـيم الترجمة وتطبيقها؛ فمن وجهة نظر التعلــيمية هي أكثر النظريات فعالية، لأنها تنتقي النوع وتتعامل معه وفق أبعاد معينة، لأن المبادئ التي تقوم عليها أكثر انتظاما من النظريات التأويلية، فهي تساعد المبــتدئ في الترجمة على التدرب في طـرق حل الصعوبات
من خلال تعرضنا لنظريات الترجمة يمكننا أن نستنتج أنه لا يمكن أن تبنى نظرية واحدة لتطبيقها في مجال تعليم الترجمة. ورغم ميلنا لنظرية أنواع النصوص لنجاعتها من الناحية العملية، إلا أن تعليم الترجمة على أسس صحيحة هو مزيج من النظريات التي سبق ذكرها
المقاربة التداولية والترجمــة
أما االتداولية النصية فتعتبر بناء النص، ليس نتيجة تطبيق بعض القواعد، ولكنه نشـاط وأسلوب عمل يرضخ لضغوط من نوع معرفي واتصالي
«la pragmatique textuelle, considèrent que la construction du texte n’est pas résultat de l’application d’un certain nombres de règles. Mais une activité, un processus, qui obéit a des contraints d’ordre essentiellement cognitif et communicationnel » (21)
ـ إن المقاربة التداولية التي أسسها جون أوستن في الفلسفة تجعل للغة وظيفة فعلية أكثر منها

وصفية، فالفعل التداولي يدرس دور الكلمات ومرجعياتها في الخطاب في مثل هذه المعاني لكلمة.(mais)

- Le temps n'est pas beau, mais mauvais.
- Le temps n'est pas beau , mais j'ai envie de prendre de l'air.
- Le temps n'est pas beau , mais la pluie va arroser les champs.
- Le temps n'est pas beau, mais un rayon de soleil va éclairer le salon.

تخلق الكلمة الواحدة في هذا المثال حسب البعد التداولي معاني كثيرة، ووحده التأويل يصنع الترجمة الصحيحة من خلال استنتاج المعنى الإجرائي، وذلك بتفسير العلاقة بين العلامات اللغوية ومستعمليها، وعليه تقدم اللسانيات والتداولية خدمات كبيرة للمترجم في تعامله مع النص، وهذا يتطلب أيضا التدريب على مهارات اللغة ومهارات التفكير؛ ذلك أننا نتمثل الترجمة بوضع فرضيات العقل حول الكليات اللسانية، ثم إن إزاحة الغموض يكون بمقاربة المستوى المعجمي والتركيبي والتداولي الذي له علاقة بالمرجع في اختيار التأويل المناسب. ومثالنا على ذلك، ترجمة الخطاب الإشهاري المشفر لسانيا وتداوليا (22(

« Maux de gestion…Merci IBM. »

لقد قدمت الترجمة الكثير للنظرية اللسانية أكثر مما قدمت النظرية اللسانية للترجمة

« La traduction a apporté plus à la théorie linguistique que la théorie linguistique n'apporté à la traduction » (26)

وهذا يعني أن العملية الترجمية والإنتاج العملي الترجمي كان دوما محل انشغـــال وتفكير ثم تنظير في اللسانيات أكـثر من تخصيص النظرية اللسانية حيزا للترجمة في تعاملها مع اللغة. إن التفاعل بين النظريات اللغوية في درس الترجمة حتمية علمية. وخلاصة القول فإن نظريات الترجمة ساهمت بقسط وفير في حل الصعوبات اللسانية والثقافية وقننت العمل الترجمي ووجهته نحو الإبداع

الهوامش:

-1د. عناني، نظرية الترجمة الحديثة، مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، مصر، 2003، ص9

-2د. نايف خرما، د.علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، الكويت 1988 ص .171

3- Ibid, Georges Mounin. Linguistique et traduction p 21.

-4ورد في قاموس تعليمية اللغات تعريف لثلاثية المادة التعليمية وهي اللغة الأم واللغة الثانية واللغة الأجنبية، فاللغة الأم سميت بذلك لأنها أول أداة توصيل يتعلمها الفرد في عمر صغير وفي البلد الأصلـــي له

فأما اللغة الثانية واللغة الأجنبية فتعرفان كلاهما على أنهما تعارضان اللغة الأم، فهما أداتا تواصل ثانوية أو مساعدة، ولكن الفرق بينهما أن اللغة الثانية تتمتع بقانون خاص داخل البلد بطريقة رسمية؛ فأما اللغة الأجنبية فليس لها هذا الامتياز، فقد يتعلمها الأفراد؛ فبلد كالزايير مثلا له لغاته الأم الكيكانفو والفابالا والجسكوند. ويتعلم رسمياً في المدرسة باللغة الفرنسية كلغة حاملة للعلم، وعندما يتعلم لغات أوربية كالانجليزية والألمانية فنسميها لغات أجنبية.

«La linguistique appliquée et la didactique des langues usent fréquemment de la triple opposition langue maternelle langue seconde langue étrangère » dans la mesure ou cette opposition définit deux modes d'enseignement irréductibles l'un à l'autre : l'enseignement des langues maternelles

d'une part , l'enseignement des langues non maternelles de l'autre , la langue maternelle est ainsi nommé parce qu'elle est apprise comme premier instrument de communication des le plus jeune age, et employée dans le pays d'origine du sujet parlant . La langue seconde et la langue étrangère se définissent toutes deux comme non maternelles, « ce sont des instruments de communications seconds ou auxiliaires », mais ce distinguent l'une a l'autre par le fait que la langue seconde bénéficie officiellement d'un statut privilégié. Alors que la langue étrangère est apprise par des individus la langue seconde est enseignée comme langue véhiculaire à toute une communauté dont la (ou les) langue(s) maternelle(s) est (sont) pratiquement inconnue(s) hors des frontière de son pays. » Dictionnaire de didactique des langues p 307 .

4- د. محمد شاهين – نظريات الترجمة دار الثقافة للنشر والتوزيع- الأردن 1998ص 09.

-6محمد عناني، نظرية الترجمة الحديثة، ص 21.

-7المرجع السابق، ص 99

-8إن نوع اللغة المستعملة في زمن أو مكان معين يمكن لها أن تتغير وفق وضعيات الكلام. هذه الأنواع من اللغة تسمى سجلات اللغة.

« Le type de langue que l'on utilise à un même moment et dans un même lieu peut varier en fonction des situations de langue sont appelés registre de langue »

Ibid , 100 fiches pour comprendre la linguistique p 98.

9- Larson, M.C « translation and linguistic theory » the Encyclopaedia of language and linguistic ed. In Chief R.E, Asher coordinating editor I M.Y Simpson Volume 09 pergamon press England 1994. P 4646

-10زيد العامري – فيدروف ونظريته فـي الترجمة

I M P : // W W W. Alhalem. Net / thagafa / alaoghaa. hTM -2004 p 8-9 .

-11د. محمد شاهين – نظريات الترجمة ص 26.

-12بيتر نيومارك- اتجاهات في الترجمة. ترجمة د/ محمود إسماعيل صيني – دار المريخ للنشر – المملكة العربية السعودية 1986- ص 20-21-22

-13المرجع السـابق ص 39.

-14المرجع السابق، 44- 45.

-15المرجع السـابق، ص 121

-16المرجـع السابق– ص 186.

-17د، محمد عناني، نظرية الترجمة الحديثة ص 72

-18المرجع السابق، ص 51

-19المرجع السابـق، ص 57- 58.

20- Ibid ,Gilles Siouffi – Don Van Raemdonck, 100fiches pour comprendre la linguistique p 139.

21- Ibid, Gilles Siouffi Dan Va Raemdonck p 139

-22راجع في مبحث التداولية وعلاقتها بالترجمة:

- La pragmatique D'Austin à Goffman par Philippe Blanchet. Ed LACOSTE 1995.
- Anne Reboul, Jacques Moeschler. La pragmatique aujourd'hui Ed Seuil 1994.

-أمبرتو إيكو ـ التأويـل بين السيميائية والتفكيكية – المركز القافي العربي – المغرب 2004.

-23ورد تعريف النص في قاموس اللسانيات ل دي بوا هذا النصtexte:

1- on appelle texte l'ensemble des énoncés linguistique soumis à l'analyse M le texte est donc un échantillon de comportement linguistique qui peut être écrit ou parlé.

2- tout matériel linguistique étudié forme également un texte, qu'il relève d'une ou plusieurs langues . « Ibid , Jean Dubois. Dictionnaire de linguistique p 486.

-24د/ محمد عناني – نظرية الترجمة الحديثة ص 115- 116.

تعريف الخطاب وأنواعه يعدّ تناول تعريف الخطاب وأنواعه أمرًا مطوّلا، لتعدد تعريفاته، فقد ظهر تعريف الخطاب بداية في حقل الدراسات اللغوية، وظل في حالة تطوّر وتجدد بما ينسجم وتعريف الخطاب وأنواعه، وخصوصية المرحلة التي يمر بها، وهو بحسب المفهوم اللساني يمتد إلى النصوص المتعالية كالقرآن الكريم، والشعر الجاهلي وقرآن كريم، وفي الدراسات الأجنبية يمتد إلى الإلياذة الأوديسة كأمثلة على خطابات متفردة بغض النظر عن نوع الخطاب. وقد بدأ هذا المصطلح بمعناه الدلالي لدى فرديناند دي سوسير في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة، الذي اشتمل على مبادئ أساسية ساعدت على توضيح مفهوم الخطاب، وقد قدّمت له تعريفات متعددة باختلاف المنطلقات الأدبية واللسانية.[١ [ومن تعريفات الخطاب، أنه "اللغة في طور العمل أو اللسان الذي تنجزه ذات معينة كما أنه يتكون من متتالية تشكل مرسلة لها بداية ونهاية"[٢]، وقد لحق الخطاب بعلم اللسانيات والمجال اللساني على اعتبار أنه يتكون من وحدة لغوية أساسها سلسلة من الجمل تعبر عن أي رسالة أو مقول، ويعتبر في في هذه الحالة مجموع قواعد متسلسلة وتتابع الجمل المكونة للمقول.[١ [كما يعرف الخطاب في تعريف الخطاب وأنواعه، بأنه الوسيط اللساني المستخدم لنقل مجموعة من الأحداث الواقعية والتخيلية التي سمّاها جينيت بالحكاية، وهو كما عرّفه جابر عصفور: "في كل اتجاهات فهمه، هو اللغة في حالة فعل، ومن حيث هي ممارسة تقتضي فاعلا، وتؤدي من الوظائف ما يقترن بتأكيد أدوار اجتماعية معرفية بعينها".[٣ [كما ورد في تعريف الخطاب وأنواعه، بأنه كلام أو حديث أو محادثة؛ وقُصِد بعد ذلك كل كلام رسمي، أو سرد، أو خطاب سياسي أو ديني؛ واستخدمه اللُّغويون على أنه وحدةٌ كلامية أكبر من الجملة، وكل هذا حسب المعنى اللغوي التقليدي للكلمة، إلا أنّ معناها الفلسفي الغربي أكثر دلالةً وعمقًا، خاصة بعد استخدامه من قِبل الفلاسفة الأوروبيين، مثل الفيلسوف الفَرنسي ميشيل فوكو في ستينيات القرن العشرين الماضي، واللُّغوي البريطاني نورمان فيركلف.[٤ [مصطلح الخطاب مأخوذ من المصطلح اللاتيني discourseالمكون منdis + course ، وتأتي فيها كلمة dis باللغة الإنجليزية إضافة مبدئية تدخل على بعض الكلمات لتُغيّر أو تُحرّف معناها للنقيض عادةً؛ فمثلًا، كلمة believe إيمان، وكلمة disbelieve كفر، وأيضًا كلمة infect يُعْدِي، وكلمة disinfect يُطَهّر أو يزيل العدوى. أما كلمة course فتَعني "مجرى" أو "اتجاه"، وعند إدخال كلمة -dis عليها تُصبح "تغيير مجرى" لا يكون الاتجاه فيه ثابتًا، بل يغدو شبكة من الاتجاهات التي تتداخل ببعضها البعض، هذا الإيحاء الفلسفي لن تجدَه ضمن معاني كلمة discourse اللُّغوية الشائعة؛ خاصة أن كثيرين سيعتبرون أن -dis ليست إضافة مبدئية في هذه الكلمة، وإنما من أصل الكلمة، كما أنّ المعنى الشائع للكلمة هو "كلام" أو "قول". وبهذا يغدو الخطاب سيل من الأجندات "اللُّغوية" المتداخلة، والتي تغير مجراها على شكلِ شبكة لا بداية ولا نهاية لها، ولا يجري في خطّ مستقيم

أبدا.[٤ [إن كل التعريفات التي تدور حول المصطلح وممارسته تنطلق من كون اللغة هي وليدة المجتمع وليس الفرد، وهذا ما يجعل من الصعب التحكم بتعريف الخطاب وأنواعه، ويجعل الإنسان تحت تأثير اللغة التي تُشكِّل قناعاته؛ كما في تعريفات اللغة المابعد حداثية، مما يجعل الإنسان كفرد سلبيًّا تجاه اللغة/الخطاب؛ وبالتالي فإن الأفراد في المجتمع ليسوا هم من يصنعون التوجه العام في المجتمع، وإنما هم جزء من الآلة الخطابية في مجال معيَّن وفي وقت معين، بهذا تكون الممارساتُ الخطابية ممارساتٍ مؤسساتيةً في تكوينها، وفي تأثيرها المجتمعي.[٤ [ما سبق من دور المؤسساتيّة في صنع الخطاب، وتأثيره هو ما قال فيه إدوارد سعيد عندما تحدث عن خطاب غربيّ سماه "الاستشراق" في كتاب الاستشراق، وهو خطاب يعمل سلبًا في الشرق منذ عدة قرون في مختلف المجالات، والقصد أن الممارسات الخطابية التي يمكن عَزْو بعض التغييرات إليها في العالم العربي الحاضر قد لا تشكل الصورة الكاملة لما يحدث؛ فالممارسات الخطابية ليست شاملة حتى يُعزَى إليها تغيير مجتمعات أكثر تعقيدًا، كما لا يمكن أيضًا نفي تأثير تلك الممارسات الخطابية كليةً؛ لأنها بالتأكيد تُساهم في صنع التغيير وتشارك فيه، بغضِّ النظر عن كونه تغييرًا إيجابيًّا أو سلبيًّا.[٤ [ويذهب فوكو إلى أنّ الخطاب مساحةٌ ذات حدودٍ قوية من المعرفة الاجتماعية؛ ونظام من القول يمكن من خلاله معرفة العالم، المظهر الأساسي فيه هو أن العالم ليس "هناك" ببساطة حتى يمكن الحديث عنه؛ وإنما من خلال الخطاب نفسه يصبح للعالم كينونة، ويمكن للمتكلمين والسامعين والكتَّاب والقرَّاء من فهم أنفسهم وعَلاقاتهم ببعضهم، ومكانهم في العالم، وهذا ما يعرف بِناء الذاتية/الفاعلية ومجتمع العلامات التي تنظم الوجود الاجتماعي وإعادة الإنتاج المجتمعي الذي تعدّ قانونًا لما يمكن أن يقال وما لا يقال، ويشكّل طبيعة الخطاب.[٤ [أمثلة على الخطاب والممارسات الخطابية يعتبر خطاب الاستشراق لإدوارد سعيد في كتابه الاستشراق 1978م في تعريف الخطاب وأنواعه هو أشهر أنواع الخطابات؛ لما فضحه من ممارسات الغربِ في استغلالهم للشرق سياسيًّا واقتصاديًّا بشكل أساسي. فالخطاب هنا له طبيعة سلسة، ولكن تأثيره قوي جدًّا على الإنسان بدون أن يشعر به، لأنه يشكل نوعًا من الضغط النفسي على الناس لمواكبة متطلباته، وإلا سيجدون أنفسَهم خارجه؛ فمثلًا: إن مَن تكلم أو أدرك الممارسات التي حِيكَتْ بالأمة العربية والإسلامية لعقود طويلة قبل 2011م - قليلون جدًّا، تلك الممارسات هي خطابٌ مُورِسَ لعقودٍ، شكَّل في مجمله الطبقة السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والتشريعية، والتربوية، والاجتماعية، وأيضًا طبقة العلماء في التخصصات العلمية التطبيقية في الوطن العربي.[٤ [من أمثلة هذا الخطاب، ذو الأثر السلبي على الأجيال والأوطان العربية دون ملاحظة هذا التأثير، خطاباتُ تعليم اللغات الأجنبية، واللغة الإنجليزية في أقسام الجامعات ومراكز اللغات ومعاهدها، تلك الخطابات لها مؤسساتها وأهدافها وبرامجها، وهنا يتم التركيز على جانب الممارسات السلبية الضاغطة الملحقة بخطاب تعليم تلك اللغات؛ وهو أن تحبُّ أشياء بدون أن تشعر، الأشياء تُبعد الإنسان عن وطنه وتجعله تعيش في أوطان أخرى لا بربطه بها سوى اللُّغة وانبهاره بها، وتجعل الإنسان يتعرفُ أشخاصًا ليسوا قريبين منه، ولا تربطهم به أي علاقة سوى أنهم كانوا مدخلات تعليمية

في يومٍ ما في مرحلة معينة من دراسته، وهنا يلعب التعليم والإعلام واللغة والأدب؛ أي المؤسسات الخطابية المتعلقة باللغة، دورًا رئيسيًّا كبيرًا جدًّا في تشكيل تلك الرُّؤى والمشاعر والطموحات لدى الإنسان.[٤ [ملامح الممارسات الخطابية عند الحديث عن تعريف الخطاب وأنواعه، يبرز مَلْمَحين رئيسيين للممارسات الخطابية؛ وهما المؤسساتية والانتقائية، خاصة في الخطابات الموجهّة، ويمكن التعرُف على هذين الملحمين في تعريف الخطاب وأنواعه من خلال ما يأتي:[٤ [المؤسساتية فالممارسات الخطابية ليست فردية؛ وإنما مؤسساتية، أي أن من يقوم بها هي مؤسسات تنتج تلك الممارسات عبر فترات زمنية مختلفة، وتوزعها حتى يتم استهلاكها، ومن ثمّ تؤثِّر في المستهلكين، والمؤسسات القوية هي التي تفرض وجودَها على المستهلِك مستمعًا كان أم مشاهدًا أم قارئًا، من خلال قوة عملها وجودة أدائها في كسب الفرد، وتوجيهه من حيث لا يشعر إلى الاتجاه الذي تُريده بالممارسة الانتقائية التي تريدها تلك المؤسسات. ومع تلك الخطابات التي تكون عادةً فرعية لخطاب رئيسي مسيطر، يصعب ملاحظته إلا بحليله تحليلًا منظمًا، يكون هناك فكرٌ معين يتم الترويج له ونشره واستهلاكه؛ ليشكل تفكيرَ الناس وسلوكَهم تِباعًا .الانتقائية وتشملُ ما يتم إبرازه، وما يتم إخفاؤه، وما يتم إخفاؤه يُشكِّل نوع الخطاب، مثله تمامًا مثل ما يتم إظهاره من محتوى، وعدم الشفافية في الخطاب يدل على الطبيعة السلبية له؛ فمثلًا انتقاء ما يتم ترجمته للغات "الغربية" ونشره من الأدب العربي، كانتقاء كُتَّاب عرب مُعينين للترجمة لهم، وتجاهل غيرهم ممَّن لا يُراد لهم الانتشار، فتترجم كتب لكتّاب ليس لهم من عروبتهم إلا الاسم، ثم يتشكل خطاب يطلق عليه بعد ذلك الأدب العربي. ويطلق عليه أيضًا الأدب الإسلامي، برغم بُعْده تمامًا عن مفهوم الإسلام، بل يتم توفيره باللغة الأجنبية في ظل غيابٍ شبهِ تامٍّ للنقَّاد العرب والمسلمين الذين يمكن أن يُصحِّحوا تلك المفاهيم، ويأخذه الطلاب العربَ الدارسين باللغة الإنجليزية فيما بعد مادَّة لدراساتهم العليا بلا نقد له سوى السباحة فيه مع التيار بلا وعي في الغالب .أنواع الخطاب كان أكثر الحديث فيما سبق عن الخطاب المؤسساتي، ولكن في تعريف الخطاب وأنواعه، تتعدد أنواع الخطابات ومسمياتها، وفيما يأتي استعراض لبعض أنواع الخطابات، والتي سيبدو من تعريفها أن هناك تقاطعات معها، ما دام الأساس في الخطاب اللغة :الخطاب الديماغوجي وفي تعريف الخطاب وأنواعه يعرف أيضا باسم الدَهْمَاوِيّة أو الدَهْمَانيّة أو الغَوْغَائِيّة، وهو خطاب يستخدم مخاوف الآخرين وأفكارهم المسبقة لإقناعهم. وهو خطاب سياسي للحصول على السلطة وكسب القوة السياسية، من خلال مناشدة التحيزات الشعبية بالاعتماد على مخاوف الجمهور وتوقعاته المسبقة، عن طريق الدعاية الحماسية، والخطابات المتنوعة ذات المواضيع القومية والشعبية التي تستثير عواطف الجماهير. والديماغوجي هو الشخص -خاصّةً الحزبي- الذي يسعى لجذب الناس إليه باستخدام الوعود الكاذبة، والتملق، وتشويه الحقائق، من خلال الاستناد إلى شتى فنون الكلام وضروبه والأحداث المتنوعة لتأكيد كلامه، دون وجود برهان أو منطق. [٥ [الخطاب الانتخابي وهو فرع من فروع الخطاب السياسي في تعريف الخطاب وأنواعه، يستخدمه السياسي المترشح لمنصب ما. وهو خطاب مكتوب، ويستخدم في الحملات الانتخابية التي تُجبر المرشحين على مخاطبة الناس

عدة مرات يوميًا أو أسبوعيّا وقت ظهورهم على الملأ. وأهمية هذا الخطاب تكمن في حفاظ المرشحين على رسالتهم وتركيزهم عليها، وتقديم بعض الحجج باستمرار أو الإشارة إلى جوانب معينة من منبرهم السياسي. وغالبًا ما يستخدم المرشحون الأحداث الكبرى لكشف النقاب عن خطاب سياسي جديد أو معدل بشكل كبير .خطاب الصورة وخطاب النص يدخل في تعريف الخطاب وأنواعه، تحليل الصورة بوصفها متقاربة مع تحليل النص؛ لاشتراكهما في نفس قواعد التحليل، فالخطاب يتعامل مع الأفعال مثل يمشي ويأكل ويشرب، وهذه الأفعال يمكن أن تحددها الصورة مع ذكر ماهية الشيء المأكول أو المشروب أو طريقة المشي. واللغة في النص تحتوي علي صفات مثل الحزن والفرح، كذلك الصورة فهي أقدر علي التعبير عن الضحك والتفريق بينه وبين التبسم. كما تستخدم اللغة حروف الجر لتوضيح الاتجاهات والترابط بين الجمل، والصورة توضح أيضًا حروف الجر كأن يكون الشيء فوق أو تحت أو داخل /ويمكن أن تحتوي الصورة على أكثر ما تحتوي عليه اللغة في تحليلها.[٦ [وإذا كانت اللغة تكشف عن أيديولوجيا الكاتب في تعريف الخطاب وأنواعه، فإن الصورة تكشف عن أيديولوجيا المصور الذي يختار جزءًا من الحدث ليوجه إليه كاميرته ويختار إضاءته التي تبرز شيئًا وتخفي آخر. والصورة لها العديد من العلاقات مع النص، فقد تكون علاقتهما تكاملية يكمل كل منهما الآخر، وقد تكون علاقة تضاد فلا تعبر الصور عن المضمون بالفعل، وبين العلاقة التكاملية وعلاقة التضاد هناك مجموعة من العلاقات الوسيطة، فعند تحليل خطاب الصورة لابد أن يكون محلل الصورة قادرًا علي إقامة العلاقة التكاملية أو التضادية بين النص والصورة.[٦ [الخطاب الديني في تعريف الخطاب وأنواعه، يبرز الخطاب الديني كنوع من الخطابات التي تتقاطع مع الخطابات السياسية في استخدامها الأدوات والاستراتيجيات الإقناعية ذاتها، إلا أن الفرق بينهما في المضمون، فالخطاب الديني -ويكون الخطاب الوعظي، أو الخطاب الدعوي جزءًا منه- يتناول موضوعات مثل الترهيب والترغيب والإرشاد والتوجيه والدعوة إلى الإسلام، وقضايا الإيمان والعقيدة والتوحيد، مستعينًا الخطيب في كل ذلك بأحداث واقعية وأدلّة من الشريعة الإسلامية، الزواج والطلاق، وبر الوالدين، والظلم، وطاعة ولي الأمر، والرشوة، والنميمة، والكذب، والحسد، وغيرها.[٧ [الخطاب الإشهاري يعرف في تعريف الخطاب وأنواعه بأنه مجموعة من العناصر اللغوية المختلفة المتداخلة والمتشابكة، التي تجمع عبر نسق تواصلي ووسائل تواصل جماهيري، بين منتجين ومستهلكين، أو مبدعين أدبيين وفنيين ومتلقيين، في أفق إنتاج رسائل سمعيّة وبصريّة، الغاية منها إشهار ثقافة جماهيرية والترويج لها لخدمة المستهلكين واستغلالهم.[٨

نقلت هذه المداخلة من هذا الموقع

https://sotor.com/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81_%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8_%D9%88%D8%A3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%B9%D9%87

المحاضرة الثامنة: استراتيجيات الخطاب في المستويات اللغوية: الصرفي، المعجمي، المستوى التركيبي

المحاضرة الثامنة: استراتيجيات الخطاب في المستويات اللغوية: الصرفي، المعجمي، المستوى التركيبي

قصد بالتحليل اللغوي تفكيك الظاهرة اللغوية إلى عناصرها الأولية التي تتألف منها، ... وتتنوع طرق التحليل اللغوي تبعا لتنوع المستوى اللغوي الذي تنتمي إليه الظاهرة اللغوية المراد تحليلها الى المستوى الصوتي أو التحليلي أو النحوي أو الصرفي، فتحليل الظاهرة التي تنتمي إلى المستوى الصرفي مثلا يختلف عن تحليل الظاهرة التي تنتمي إلى أحد المستويات اللغوية الأخرى كالمستوى الدلالي والتركيبي.

أولا : المستوى الصوتي

المستوى الصوتي هو علم الفونولوجيا الذي يعنى بالأصوات وإنتاجها في الجهاز النطقي وخصائصها الفيزيائية.

مرت الكتابة في عدة مراحل وتطورات فمن الكتابة التصورية بالنقوش والرسوم إلى أن وصلت إلى الكتابة المعروفة.

علم الأصوات في اللغة يهتم بالجانب الصوتي فيها ويأخذ هذا العلم على عاتقه امورًا كثيرة منها :حصاء الأصوات اللغوية وحصرها في أعداد وتصنيفها إلى نوعين:

أولاً :أصوات أو حروف أصلية أو وحدات صوتية يطق عليها(فونيمات) وتشمل على الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة ـ الحركات

الفونيم :يطلق على أصغر وحدة صوتية ذات أثر في الدلالة، أي إذا حلت محل غيرها مع اتحاد السياق الصوتي وتغيرت الدلالة وأختلف المعنى ويمكن أن نتصور ذلك إذا تتبعت سلسلة الكلمات الآتية:

قاء، قات، قاد، قاس، قام

ألا تلاحظ أن الصوت الأخير في كل كلمة منها هو الذي يتغير فيتغير معه المعنى؟

كَتَبَ، كُتِبَ، كُتُبْ

وهُنا نلاحظ أن التغير في الحركات يغير أيضاً في المعنى إن هذه الفونيمات سواء على مستوى الصوامت أو الصوائت تمثل الهيكل الأساسي للغة ولذا يطلق عليها فونيمات أساسية

وهناك فونيمات ثانوية تتمثل في العناصر الأدائية للأصوات بشقيها الصامت والصائت،مثل:

*النبر :هو ابراز جزء من المنطوق

*التنغيم :تنوع في النطق حسب الحاجة ارتفاعا وانخفاضا لغرض

الثاني :أصوات أو حروف فرعيه يطلق عليها (فونات (

الفون:فهو بمثابة تنوع نطقي للفونيم أو الصوت الأصلي لا يؤثر في الدلالة
ونلاحظ ذلك في نطق لفظ (الجلالة) في: بالله لتفعلنّ، وفي نحو قولك: والله لتفعلنّ، لتدرك أن المعنى لم يتغير وإنْ تغير نطق اللام والفتحة
ونذكر هنا الخصائص الصوتية التي تميز الصوت الأصلي (الفونيم) عن غيره أو تظهر صوره الفرعية (الفونات)م ن النواحي الآتيه:
-كيفية تطقها أو انتاجها من جانب المتكلم.
-كيفية انتقالها من فم المتكلم إلى اذن السامع.
-كيفية سمعها
-كفية إدراكها.
التنغيم:
نغمة الصوت هي إحدى صفاته، وكثيرًا ما تكون عاملا مهمًا في أداء المعنى، وتتوقف النغمة على عدد ذبذبات الأوتار الصوتية في الثانية، وهذا العدد يعتمد على درجة توتر
الأوتار, الصوتية : و للنغمة أربعة مستويات وهي
.1النغمة المنخفضة
أ -هي أدنى النغمات , وهي ما نختم به الجملة الإخبارية عادة، والجملة الاستفهامية، التي لا تجاب بنعم أو لا
.2النغمة العادية:
هي النغمة التي نبدأ الكلام بها , ويستمر الكلام على مستواها من غير انفعال.
.3النغمة العالية :
تأتي قبل نهاية الكلام متبوعة بنغمة منخفضة أو عالية مثلها.
.4النغمة فوق العالية :
التي تأتي مع الانفعال أو التعجب أو الأمر.
النبر
"هو قوة التلفظ النسبية التي تعطي للصائت في كل مقطع من مقاطع الكلمة أو الجملة."
وللنبر وظيفة مهمة في جميع اللغات، إذ لا تخلو منه لغة، فكل متحدث بلغة ما، يضغط على بعض المقاطع فيها، وإنما الاختلاف بينها في استخدامه فونيمًا صوتيًا يغير الصيغ أو المعاني أو عدم تأثيره فيها..
فوائد النبر :
.1الوضوح , فهو يقوم بالضغط على كلمة بعينها في إحدى الجمل المنطوقة؛ لتكون أوضح من غيرها من كلمات الجملة، وذلك للاهتمام بها أو التأكيد عليها ونفي الشك عنها من المتكلم أو السامع.
.2هو عنصر مهم في الأداء الذي يؤثر على فهم المسموع .
.3يساعد على زيادة الإحساس بانفعالات المتكلم أو الحالة النفسية المصاحبة للنص.

فهو المرآة التي تعكس لنا عواطف المتكلم وانفعالاته ويعرف بأنه السرعة التي يتخذها المتكلم ويحسها السامع نحو الكلام المنطوق، سواء أكان كلمة أو جملة، ويمكن وصف هذه السرعة بأنها بطيئة أو سريعة أو متوسطة.

علم الأصوات النطقي,,

.

مادة الصوت أو مكوناته :

1. الهواء .
2. جهاز النطق.
3. الصوت.
4. المخارج.
5. الصفات.

مكونات جهاز النطق:

1. اللسان .
2. الأوتار .
3. الحنجرة
4. الشفتان .
5. الشدقان.
6. الحنك
7. الأسنان.
8. اللهاة .
9. الخياشيم .

·مخارج الأصوات (الحروف: (

1. الجوف .
2. الحلق , وله ثلاثة مخارج : (أقصى الحلق " أبعدة" , وسط الحلق , أدنى الحلق " أقربه من الشفة و الأسنان("
3. اللسان
4. الشفتان

المخرج الأول: الجوف

الجوف هو الخلاء أو الفراغ الممتد مما وراء الحلق إلى الفم.

وهو مخرج حروف المد الثلاثة:

-الألف الساكنة المفتوح ما قبلها (ـَا(

-الواو الساكنة المضموم ما قبلها (ـُو(

-الياء الساكنة المكسور ما قبلها (ـِي(

وهذه الحروف الثلاثة مجموعة في كلمة نُوحِيهَا في قوله تعالى : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الغَيبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾

وهذا المخرج تقديري حيث لا يمكن تحديد حيز معين تخرج منه هذه الحروف، بل تخرج من

الجوف وتنتهي بانتهاء الصوت في الهواء تقديرا.
المخرج الثاني: الحلق
في الحلق أو الحلقوم ثلاثة مخارج لستة حروف:
1.أقصى الحلق: مما يلي الصدر وهو الأبعد عن الفم: ويخرج منه الهمزة والهاء (ء - هـ). ومخرج الهمزة أبعد من مخرج الهاء.
2.وسط الحلق: ويخرج منه حرفي العين والحاء (ع - ح) ومخرج العين أبعد من الحاء
3.أدنى الحلق: وهو أقربه إلى الفم ومنه يخرج حرفي الغين والخاء (غ - خ) ومخرج الخاء أقرب إلى الفم من مخرج الغين.
المخرج الثالث: اللسان
في اللسان عشرة مخارج لثمانية عشر حرفا. وهي:
1.أقصى اللسان (أبعده مما يلي الحلق) مع ما يقابله من الحنك العلوي: ويخرج منه حرف القاف (ق(
2.أقصى اللسان قبل مخرج حرف القاف قليلا مع ما يقابله من الحنك العلوي :ويخرج منه حرف الكاف (ك) ومخرج الكاف أقرب إلى الفم من مخرج القاف.
3.وسط اللسان مع ما يحاذيه من اللثة العليا: ويخرج منه ثلاثة حروف وهي الجيم والشين والياء غير المدية. (ج – ش - ي.(
والياء غير المدية هي الياء المتحركة أو الياء الساكنة التي لا يسبقها كسر.
ويكون مخرج الجيم بإلصاق وسط اللسان باللثة العليا إلصاقا معتدلا أما الياء والشين فيكون بتجاف.
4.إحدى حافتي اللسان مع ما يحاذيها من الأضراس العليا: ومنه يخرج أدق حروف العربية نطقا وهو حرف الضاد (ض). وخروج الضاد من حافة اللسان اليسرى أسهل وأكثر استعمالا من الحافة اليمنى.
5.إحدى حافتي اللسان (أو كلتاهما) مع ما يحاذيها من لثة الأسنان العليا (لثة الضاحكين والنابين والرباعيتين والثنيتين): ويخرج منه حرف اللام (ل.(
6.طرف اللسان مع ما يقابله من لثة الأسنان العليا : ويخرج منه حرف النون (ن.(
7.طرف اللسان مع شيء من ظهره وما يحاذيه من لثة الأسنان العليا: يخرج منه حرف الراء (ر). ومخرج الراء قريب من خرج النون إلا أنه أدخل إلى ظهر اللسان.
8.طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا: ومنه مخرج الطاء والدال والتاء (ط – د – ت). ومخرج الطاء أبعدها ثم تحتها الدال ثم التاء.
9.طرف اللسان وفوق الثنايا السفلى (مع إبقاء حيز ضيق بين سطح اللسان والحنك الأعلى لمرور الهواء هاربا): ويخرج منه السين والصاد والزاي (س – ص – ز.(
10.طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا: ومنه يخرج الثاء والذال والظاء (ث – ذ - ظ.(
المخرج الرابع: الشفتان

وفيهما مخرجان تفصيليان لأربعة حروف:

.1ما بين الشفتين: ويخرج منهما:

-الباء والميم (ب - م) بانطباق الشفتين، والباء أقوى انطباقا.

-الواو غير المدية (و) بانفتاح الشفتين. والواو غير المدية هي الواو المتحركة والواو اللينة.

.2بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا: ويخرج منه حرف الفاء (ف.(

المخرج الخامس: الخيشوم

الخيشوم هو الفتحة المتصلة من أعلى الأنف إلى الحلق. وتخرج منه الغنة.

صفات الحروف :

.1الهمس و الجهر :

الهمس : جريان النفس بالحرف عند النطق به لضعفه وضعف الاعتماد عليه في مخرجه . وحروفه عشرة مجموعة في (فحثه شخص سكت(

الجهر : ظهور الحرف وانحباس النفس معه عند النطق به لقوة الاعتماد عليه في مخرجه وحروفه تسعة عشر وهي الباقية من أحرف الهجاء بعد حروف الهمس العشرة.

.2الشدّة و الرخاوة و التوسط :

الشدة : قوة الحرف لانحباس الصوت من الجريان عند النطق به لقوة الاعتماد عليه في مخرجه . وحروفها ثمانية مجموعة في (أجد قط بكت)

التوسط :اعتدال الصوت عند النطق بالحرف لعدم كمال انحباسه كانحباسه مع حروف الشدة ، وهو صفة لبعض الحروف بين الشدة والرخاوة حروفه: خمسة حروف يجمعها قولك: لن عمر

الرخاوة :جريان الصوت عند النطق بالحرف.حروفه ستة عشر حرفا ما عدا حروف الشدة والتوسط وهي : ث ح خ ذ ز س ش ص ض ظ غ ف هـ و ي ا (الألف (

والفرق بين هذه الصفات الثلاث قائم على جريان الصوت وعدمه فما جرى معه الصوت رخوي وما انحبس معه الصوت شديد ،وما لم يتم معه الانحباس والجريان متوسط

.3الاستعلاء و الاستفال و الإطباق:

الاستعلاء: ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى بالحرف عند النطق به . وحروفه سبعة مجموعة في قوله (خص ضغط قظ)

الاستفال : انخفاض اللسان بالحرف عند النطق به . وحروفه اثنان وعشرون حرفاً الباقية بعد الاستعلاء .

الإطباق : إلصاق اللسان بالحنك الأعلى عند النطق بالحرف . وحروفه أربعة وهي الصاد والضاد والطاء والظاء .

القلقلة : اضطراب المخرج عند النطق بالحرف ، حتى يسمع له نبرة قوية خصوصاً إذا كان ساكناً ، ويبالغ فيها إذا كان الحرف موقوفاً عليه .

وحروف القلقلة خمسة مجموعة في قوله (قطب جد) القاف والطاء والباء والجيم والدال

والأولى أن تكون القلقلة أميل إلى الفتح دون التفات إلى حركة ما قبلها أو بعدها .
الصفير: خروج صوت زائد يشبه صوت الطائر مصاحب للحرف عند نطقه . وأحرفه ثلاثة ـ الصاد والزاي والسين .
التفشي : انتشار الريح في الفم عند النطق بالشين حتى تتصل بمخرج الظاء المعجمة وحرفه الشين .
الاستطالة: امتداد مخرج الضاد عند النطق بها حتى تتصل بمخرج اللام.
الغنة : صوت خفيف يخرج من الخيشوم ولا عمل فيه للسان، وتُمدّ الغنة بمقدار حركتين , وحروفه : الميم و النون.
تطبيق :

حددي صفات و مخارج الحروف الواردة في الشطر الأول من البيت التالي :
وَالنّفْسُ رَاغِبَةٌ إذا رَغّبْتَهَا **** وإذا تُرَدُّ إلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

الحرف	مخرجه	الجهر و الهمس	الشدة والرخاوة و التوسط	الاستعلاء و الاستفال و الإطباق	الصفير	القلقلة	التفشي	الاستطالة	الغنة

ثانياً :المستوى الصرفي:
يعنى الدرس الصرفي الحديث,وهو فرع من فروع اللسانيات ومستوى من مستويات التحليل اللغوي بتناول البنية التي تمثلها الصيغ والمقاطع والعناصر الصوتية التي تؤدي معاني صرفية أو نحوية..ويطلق الدارسون
المحدثون على هذا الدرس مصطلح (المورفولوجيا) وهو يشير عادة غلى دراسة الوحدات الصرفية أي:"المورفيمات" دون أن يتطرق إلى مسائل التركيب اللنحوي.
وتأتي دراسة الصرف على هذا النحو ضمن تسلسل العناصر اللغوية الذي انتهجته اللسانيات

الحديثة..وهو يبدأ من الأصوات إلى البنية فالتركيب النحوي ثم الدلالة التي تمثل قمة هذه العناصر وثمرتها.
ومع أن هذا الدرس درس محدث..فإن معظم اللغات المعروفة الحديثة والقديمة عبرت عما تشير إليه المورفيمات كالصيغ والمقولات الصرفية والنحوية كما حفلت بالجداول التصريفية التي حددت أزمنة الأفعال.. وهذا الدرس التقليدي للصرف لم يكن مستقلًا بذاته لأنه كان يُتناول ضمن القواعد النحوية.. ومعروف أن هذا الدرس غلب عليه المنهج المعياري الذي زادته الطرق التعليمية حدة باحتكامها إلى قواعد الخطأ والصواب وحدها.. والصرف عندنا كان يعد قسيمًا للإعراب..إذ عد. معظم الدارسين القدامى النحو علمًا شاملًا للصرف والإعراب مع أن كلًا منهما يخطي باستقلال المسائل ووضوح الحدود الفاصلة بين هذا وذاك.
ولأن الإعراب لا يقوم إلا على معطيات الصرف فإن النحاة القدامى مهدوا لأبواب الدراسة بالحديث عن اللفظ وأقسامه..وعن الشروط الصرفية التي لا يصح بها هذا الإعراب أو ذاك..وقد تنبه علماؤنا القدامى إلى الصلة الوثيقة بين الأصوات والتغييرات الصرفية حين قدموا لأبواب الإدغام والبدل ونحوهما بعرض الأصوات العربية ومخارجها وصفاتها وما يأتلف منها في التركيب وما يختلف..وقد ذكر ابن جني : أن الأولى تقديم درس الصرف على درس الإعراب:"فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمات الثابتة والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة."

الأقسام الرئيسة التي تنظم المسائل الصرفية..ثلاثة مسائل:

الأولى -تصرف الكلمة لغاية معنوية,وفيه :الاشتقاق وأنواعه,والنسب والتصغير,والزيادة ومعانيها,ومسائل التعريف والتنكير والتذكير والتأنيب والتثنية.
الثانية -وحدات التغيير التي تعتري (تدخل) على الكلمات لغير غاية معنوية وفيه الإعلال والإبدال والقلب والنقل والإدغام ومسائل أخرى كالوقف والإمالة والتقاء الساكنين.
الثالثة-مسائل التمرين: وهي تطبيقات على قواعد الصرف جيء بها لتدريب الطلاب على إتقان التصريف.

الوحدات الصرفية أو المورفيمات:

تعريف المورفيم _هو أصغر وحدة ذات معنى..وتنقسم الوحدات الصرفية (الموفيمات) إلى قسمين,هما:
الأول -مورفيمات حرة "مستقلة": وهي التي تقوم بذاتها وتعبر عن محتواها الدلالي بذاتها,مثل:فَتَحَ,وَلَد,بنت,والضمائر المنفصلة:هو,هي,أنا,أنت...إلخ.
الثاني -مورفيمات مقيدة: وهي التي لا يمكن أن تقوم بذاتها ولا تعبر عن معناها بذاتها وإنما تقترن بما يوضح معناها,مثل:الضمائر المتصلة,السوابق واللواحق.
مثال:كَتَبَ<=مورفيم مستقل, كتبوا<=الواو ضمير متصل دلالة على الفاعلين الغائبين الذكور,وهذه الواو مورفيم مقيد لا يشكل دلالة مستقلة لوحده.
كتبت..كتبنا<=التاء والناء ضمائر متصلة لا تقوم بذاتها وإنما تتصل بمورفيمات مستقلة أو

حرة.
هذه الوحدات الصرفية ترد إما قبل الكلمة أو بعدها أو في وسطها على شكل مبانٍ زائدة عن الأصل,وتجري أنواع الوحدات الصرفية على هذا الشكل:
أ. الصدور أو السوابق<=مثل حروف المضارعة (أنيت): أدرسُ,ندرسُ,يدرسُ,تدرسُ..وهمزة التعدية في وزن) أفعل),مثل:خرج<=أخرجَ, لبس زيدٌ ثوبًا <=ألبست زيدًا ثوبًا..الألف والسين والتاء في وزن استفعل:استغفر,استرضى..كذلك أل التعريف.
ب. الدواخل :التضعيف في فعّل ..طوّف:أكثر الطواف,كبرّ:قال الله أكبر,شرّق:توجه شروقًا.
ألف فاعل من الثلاثي للدلالة على اسم فاعل:كتب<=كاتب,درس<=دارس.
ج. الأعجاز أو اللواحق,مثل:الضمائر المتصلة: واو الفاعلين,تاء الفاعل,نون النسوة,ياء المؤنثة المخاطبة, ألف الاثنين:قاموا,قمتُ,قمن,قومي,قاما.
نون الوقاية<=درّسني,وفقني.
حركات الإعراب وحروفه,وعلامات التأنيث:كتبت,وعلامات التثنية والجمع: كتابان ,مدرسون.
ثال في اللغة الإنجليزيةWrite :مورفيم مستقل<=
..يفيد الكتابة في الحاضر (الآنWrote .(
يفيد الكتابة في الماضي..
* الزمن مقولة صرفية ونحوية عامة..تعبر عنها صرفيًا صيغ التصريف الفعلي..وتشترك اللغات المعروفة في أنها تضم ثلاثة ازمنة صرفية رئيسية,هي:الماضي,الذي يسبق زمن التكلم..الحاضر(المضارع)يدل على الحضور أو الاستقبال,الأمر طلب الفعل حاضرًا أو مستقبلًا.
* النحت: تعتبر أساليب النحت عند العرب القدماء من الصيغ الإلصاقية,مثل:
حوقل<=قال:لاحول ولا قوة إلا بالله.
بسمل<=قال:بسم الله الرحمن الرحيم.
عبشمي<=أي عبد شمس
ثالثاً : المستوى النحوي (التركيبي: (
بنية اللغة لا تكتفي بمجرد صياغة المفردات وفق القواعد الصرفية,بل تحتاج إلى وظائف معينة تسمى :(الوظيفة النحوية) وهي التي تحتل الكلمات فيها مواقع معينة "رتب", وتشير إليها علامات معينة نسميها علامات الإعراب في العربية والتي تدل على نوع العلاقة الوظيفية والدلالية التي تربط بين الكلمات أو المفردات داخل التركيب, فمثلًا: ضرب موسى عيسى, وضرب عيسى موسى..بينهما اختلاف مرده إلى اختلاف الرتبة,فالموقع أو الرتبة يصبح ذا محتوى دلالي لأنه لا تظهر عليه علامات إعراب فهي أسماء مقصورة..
فالموقع هو ذاته وظيفة: فاعل,مفعول به,تمييز,صفة..فهو إشارة (الموقع) إلى وظائف , والظائف هي علاقات دلالية تربط الكلامات بعضها ببعض في الكلام أو وسط الكلام,وتزيد هذه العلاقات الدلالية تحديدًا بالعلامات الإعرابية التي هي) مؤشرات إضافية), وبالتالي تزيد في

بيان نوع العلاقة النحوية والوظيفية والدلالية.
هناك مؤشرات إضافية لغوية تستعين بها اللغة لبيان نوع العلاقة الوظيفية الدلالية التي تربط الكلمات بعضها ببعض داخل التركيب أو الجمل, وهي نوعان:
أولًا- قرائن لفظية, وهي:
.1العلامات الإعرابية: في كلامنا نستغني – أحيانًا- عن الرتبة فنقدم ونؤخر,ونغير الترتيب المعتاد للجملة من أجل غرض بلاغي فتبقى علامات الإعراب هي المؤشر الدال على الوظيفة,مثال: " إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ , "خرجت هذه الآيه عن النسق المعتاد للجملة "فعل-فاعل-مفعول به" حيث تقدم المفعول به لفظ الجلالة (الله) على الفاعل (العلماء) وذلك لغرض بلاغي هو الحصر..والنصب العلامة الإعرابية هو الذي دل على أن المفعول به هو المتقدم والمتأخر هي الفاعل.
.2حروف العطف مثل..الواو,الباء,الفاء, : وهي نوع آخر من المورفيمات ليست مستقلة ولا مقيدة, وإنما مورفيمات وظيفية تدخل تحتها الظروف وحروف المعاني والأدوات بشكل عام..فالواو تكون للقسم,العطف,الحال,المعية..والذي يحدد وظيفتها السياق..كما أن اللام تكون:للأمر,التعليل,الجحود,الجر.
.3صيغة الماضي (قرأ) تتجاوز معنى الماضي إذا ما كانت في جملة: " إن قرأت هذا الكتاب وجدته سهلًا"..فالماضي هنا يفيد المستقبل "الشرط" فخرج من معناه الأصلي ..كذلك "حماك الله"..رعاك الله" الفعل فيهما للدعاء ..(الماضي في الدعاء لايفيد الماضي.(
.4الصيغة: هي المبنى الصرفي للأسماء والأفعال والصفات..وهي قرينة لفظية يقدمها علم الصرف للنحو..مثال ذلك: أن الفاعل والمفعول به .والمبتدأ والخبر..ونائب الفاعل..يجب أن تكون أسماءً لا أفعالًا, لذلك لا يتوقع أن يأتي الفاعل فعلًا :"جاء,أتى"..فلو قلنا :"جاء تأبط شرًا" لجأنا إلى التأويل عن طريق إعراب الحكاية, أي:جاء المسمى بجملة تأبط شرًا.
.5الرتبة : الرتبة نوعان:
أ . رتبة محفوظة:مثل تقدم الموصول على الصلة..الموصوف على الصفة..الفعل على الفاعل..المضاف على المضاف إليه..أدوات الشرط..والاستفهام..والجزم..والنفي..التي وصفت بأن لها الصدارة دومًا.
ب .رتب غير محفوظة: مثل..تقدم المبتدأ على الخبر..الفاعل على المفعول به..الفعل على الحال..الفاعل على المفعول. احيانًا تكون هي القرينة الوحيدة لكشف علامة الاسناد ,مثل: ضرب موسى عيسى..موسى:فاعل..عيسى مفعول به..استنادًا إلى أن الأصل تقديم الفاعل وتأخير المفعول به..مع أن ذلك ليس رتبة محفوظة.
.6المطابقة: قرينة لفظية توثق الصلة بين أجزاء التركيب وتعين على إدراك العلاقات التي تربط بين المتطابقين. تكون المطابقة في العلامات الإعرابية,الشخص,العدد,النوع..فإذا قلنا:الرجال الصابرون يقدرون..كان التركيب تام المطابقة صحيحها.
أما لو قلنا: الرجال الصابران يقدر.."الرجال جمع..والصابران مثنى..يقدر مفرد" فهنا أزيلت

المطابقة من موضعين من التركيب.
.7الربط : وهو قرينة لفظية تدل على اتصال أحد المترابطين بالآخر..وله دور في إبراز المطابقة بين أجزاء الكلام..ويكون الربط بالضمير مستترًا وبارزًا ..فالمستتر نحو: زيدٌ قام. والبارز :زيد قام أبوه.
.8التضام: وهو أن يستلزم أحد العنصريين النحويين عنصرًا آخر. ويكون التضام على هيئة التلازم,مثل: الموصول والصلة..حرف الجر ومجروره..واو الحال وجملة الحال..حرف العطف والمعطوف..مثل: جاء الذي أحبه" صلة الموصول."
.9الأداة:هو مبنى صرفي يؤدي وظائف خاصة في التركيب النحوي. وتنبه علماء العربية الأوائل للأدوات وأثرها في فهم النصوص الدينية والآثار الأدبية.
وتنقسم الأدوات إلى :
أ. أدوات أصلية :لا تنتمي إلى أي مبنى صرفي سابق وإنما هي حروف وضعت لمعان خاصة عند أهل اللغة أساسًا,مثل: حروف الجر-العطف.
ب. أدوات محولة: وهي التي تنتمي إلى مباني الأسماء والأفعال والظروف لكنها أشبهت بالحرف شبهًا معنويًا..مثل:"متى,أين ,كيف."
.10النغمة: وهي الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق,فهناك أشكال للتنغيم تنطق بها الجملة الإستفهامية أو المنفية أو المؤكدة أو جملة التمني أو العرض..فلكل جملة من هذه الجمل شكل أو صيغة تنغيمية خاصة بها..وبناء على ما تقدم قد تكون النغمة قرينة أكيدة على المعنى النحوي ولا سيما حين يتصل الأمر بالجمل التأثرية, نحو:ياسلام!..يالله!..لا!
ثانيًا- القرائن المعنوية,وهي:
.1الإسناد: وهي العلاقة الرابطة بين طرفي الإسناد كالعلاقة بين المبتدأ والخبر..والفعل والفاعل.
.2التخصيص: وهي قرينة معنوية تضم مجموعة من المعاني,مثل:التعدية..الغائية..الظرفية..الإخراج.
التعدية:ضرب عمرو زيدًا..إيقاع الضرب على زيد تخصيص لعلاقة الإسناد.
الغائية (السببية) :أن نأتي بالمفعول لأجله على التخصيص : أتيت رغبةً في لقائك.
الإخراج) الاستثناء) : يدل الاستثناء على أن الإسناد لا يشمل المستثنى لأنه أخرج منه..نحو قولنا:نجح الطلابُ إلا عليًا..فإسناد النجاح هنا إلى الطلاب استثنى منه واحد للدلالة على إخراجه منهم.
الظرفية:مثل:صحوت إذ تطلع الشمس..يخصص الإسناد بتقييده زمانًا أو مكانًا.

رابعاً : المستوى الدلالي:

كل المستويات اللغوية السابقة من أصوات..وأبنية صرفية وأنساق تركيبية لا بد أن تكون حاملة للمعاني أي "الدلالات"..وقضية الدلالة من أقدم ما شغلت به الحضارات من قضايا ساهم في دراستها الفلاسفة.. واللغويون..والبلاغيون..وعلماء الاصول من العرب وغيرهم.

ويعد البحث الدلالي محورًا من محاور علم اللغة الحديث.*فقد بحثت الدلالة وقضاياها من جانبين:*

الأول- جانب نظري .

الثاني - جانب عملي خالص: ونجد هذا الجانب في المعاجم وتقنيات أداء المعاجم بمختلف أنواعها.. فهناك مباحث تدخل تحت ما يسمى بالمعجمية أو علم المعاجم..يكون محور البحث فيها يرتكز على المفردات ودلالاتها وأصولها وتطورها التاريخي ومعناها الحاضر وكيفية استعمالها..وتدخل تحت هذه القضايا مسائل ذات علاقة بالتعدد الدلالي والاشتراك اللفظي والترادف والتضاد والمكونات الدلالية للفظ الواحد..كل جزئية من هذه الجزئيات لها مباحث واسعة جدًا.

مثال: دراسة الكلمات المفردة لمعرفة أصولها وتطورها.. هذه الدراسات تدخل تحت ما يسمى "المعجمية.. "

علم صناعة المعاجم:

يدرس أساليب صناعة المعجم؟كيف نؤلف معجم؟ ماذا نضع في المعجم من المواد اللغوية؟ وجواب ذلك كله مقترن بمن سيوجه إليه ذلك المعجم..ومن سيستعمله..ولأي غرض سيستعمله.. فالطفل الصغير حاجته من المعجم أقل بكثير من الطالب الجامعي..وحاجة المتخصص من المعجم أعمق وأوسع بكثير من حاجة المستخدم العادي من عامة الناس..

والمعاجم اللغوية اليوم لا تراعي حاجة المستخدم لكن هناك منجد الطلاب لمحققين لبنانيين ساهموا بعض الشيء في هذا الجانب "المعجم المبتدئ"للطفل الصغير..

الاعتبارات التي تدخل في أساليب صناعة العجم:

ماذا نضع في المعجم (المواد اللغوية.(

ما مستوى اللغة التي توضع في المعجم (أدبية,علمية.(

ما نوع اللغة المستخدمة (قديمة, أم حديثة.(

من يستعمل المعجم..وبالتالي نراعي مستوى اللغة والحاجة التي يريد تحقيقها من استخدام المعجم من حيث نوع المفردات التي ستوضع..وكيفية ترتيبها وتصنيفها وتعريفها.

استخدام الألوان والرسوم والجداول كوسائل مساعدة على بيان المعلومة..وقضايا الإملاء كيف تكتب الكلمات وبالذات رسم الهمزة والألفات.

كيفية النطق..مفترض أن مستعمل المعجم عربي يحسن قراءة الحروف العربية..لكن لابد من كتابة صوتية تساعد غير الناطقين بالعربية على النطق الصحيح.

قضايا الترادف..هل كريم هي جواد؟ وجواد هي حصان؟ هل الوجه هو المحيا؟ هل الترادف تام أم هناك فروق تاريخية؟

الاشتراك.. هل هناك اشتراك تام في المعنى..مثل: رأس الجبل..أشكوا من صداع رأسي..فلان رأس الحية..

عين..أرسل عيونه..العين المبصرة..عين الماء..فهل هذه الكلمات مشترك لفظي تام..هل

سنعاملها على أنها لفظة واحدة لها دلالات عدة..أم عدة مفردات تشترك لفظًا فقط.
التضاد ..أن يكون للدال الواحد معنيان متضادان.. المسجور"المليء..والفارغ"..السليم " السليم..والمريض تفاؤلًا بسلامته"..القافلة "التي رجعت من السفر لأنها قفلت اي رجعت..كما يطلقونهاعلى الجماعة الناهضة للسفر تفاؤلًا برجوعها سالمة"
وتصنف المعاجم إلى :*معاجم تاريخية* , *ومعاجم الألفاظ* , معاجم الموضوعات , معاجم المصطلحات ... إلخ.

المعاجم التاريخية :

تبحث في تطور دلالات الكلمات..كيف كانت مستعملة وإلى أين وصلت في الاستعمال ..مثال: الكلمات تستخدم في معاني محسوسة وتتحول إلى معاني مجردة "العقل" ربط الناقة وأحكامها "عقل الناقة"..ثم تطورت إلى معنى باطني.. عَقَلَ الشيء ..أي أدركه وألمّ به , الحج أصلها القصد ثم أصبحت تطلق على فريضة الحج , الصلاة بمعنى الدعاء , قم أطلقت على فريضة الصلاة. **فائدة المعجم التاريخي:**

أن نأتي بكلمات من لغتنا بدل البحث عن كلمات جديدة.
نعرف التطور التاريخي للكلمة..مثل"شرف" الأرض المرتفعة..ثم تطورت إلى معاني مجردة..لكن تظل الكلمة بمعناها القديم موجودة في دلالتها كما في: شرفة البيت, شريف النسب..فكل هذا يكشفه المعجم التاريخي.
يتتبع المعجم التاريخي الكلمات وأصولها..فليس جميع ما في القرآن من كلمات عربية أصلًا مثل "الصراط" من أصل لاتيني ..ومثل الياقوت..والمرجان..والسندس واستبرق.
"الكحول" كلمة عربية أصلها "غور"..والكوريوم تحريف لاسم الخوارزمي..وأميرال أعلى رتبة عسكرية مقتطعة من "أمير البحر"

معاجم الألفاظ :

سلك المعجميون مسالك متعدّدة في ترتيب ألفاظ معاجمهم، بحيث أصبحت طرقاً معروفةً لمن يريد جمع ألفاظ اللغة وترتيبها، فيختار أحدها ويبني عليها معجمه، وهذا النوع من المعاجم يعتني بترتيب الألفاظ وِفقاً لحروفها ,ومن أمثلتها :

معجم العين :

استخدامه صعب على عامة الناس من حيث الترتيب والتصنيف..كذلك تعريف معاني المفردات تعريف قاصر في كثير من الأحيان , ورتب المعجم بحسب نظام التقليبات الصوتية مثال : (لعب) : نجدها في باب العين لأنه الأبعد مخرجاً

المعجم الوسيط :

وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة , حيث قَدَّم للقارئ و المثقف ما يحتاج إليه من مواد لغوية في أسلوب واضح قريب المأخذ سهل التناول , و ألفاظه مرتبة ترتيباً ألفبائي .
إن علم الدلالة من أهم جوانب البحث اللغوي في علم اللغة..والاهتمام به قديمًا وحديثًا
نقلت المحاضرة من هذا الموقع https://faculty.ksu.edu.sa/ar/nsaldayel/course-material/55265

المحاضرة التاسعة: السياق : مفهومه ـ أنواعه ـ عناصره وخصائصه

المحاضرة التاسعة: السياق : مفهومه ـ أنواعه ـ عناصره وخصائصه

لسياق . مفهومه وأنواعه.

==========

▪لم نقف على تعريفٍ للسياق عند المتقدمين ، والمعاني المعجمية التي تدور حولها كلمة سياق ليست شديدة الارتباط ـ كما نرى ـ بالمصطلح ، والجدير بالذكر أو الملاحظ هو استعمال المتقدمين للمصطلح وتصريحهم به في مواطن كثيرة ، ففي التاج نجد عبارات مثل: " كذا ظاهر السياق "[1] و" الصواب في هذا السياق أن يقول "[2] و" وهو تابع له في أكثر السياق"[3] و " ومقتضى السياق يقتضي أنه "[4] و " ليكون أتم في السياق والفائدة "[5] و "وظاهر هذا السياق أنهما "[6] ، وفي اللسان : " كما يقتضيه السياق"[7]وفي الكليات : " إلا أن السياق أكثر استعماله"[8] ، " وإذا كان السياق يقتضي"[9] و " وقد يدل عليه السياق"[10] .

أما مصطلح المقام فقد أكد محمد العمري على التمييز بينه وبين السياق ، وذلك بحصر السياق " في العلاقات بين الوحدات اللسانية داخل التركيب: سياق كلمة أو وحدة صوتية مثلاً "[11]فالمقام شديد الارتباط بالسياق وقد ذكر في مواقع كثيرة كقولهم : " لكل كلمة مع صاحبتها مقام ". ويحسن أن نشير إلى أن البلاغيين عند استعمالهم فكرة المقام كانوا متقدمين ألف سنة تقريباً على زمانهم ؛ لأن الاشتغال بمفهومي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة[12] ، وفيما يخص مصطلح السياق يقول ستيف أولمان " : Stephen ullmann وكلمة السياق Contextقد استعملت حديثاً في عدة معانٍ مختلفة ، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا الحقيقية هو معناها التقليدي ؛ أي النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم ... إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب ، بل والقطعة كلها والكتاب كله ، كما ينبغي أن يشمل بوجه من

الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات ، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن "[13] . وبالمقارنة بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي يبرز معنى التتابع أو التوالي ، فيمكننا النظر إلى التتابع من زاويتين يبرز من خلالهما المعنى الاصطلاحي.

الأولى : تتابع العناصر التي يتحقق بها النص ، كانسياق الأصوات لتكون كلمات تتركب بتتابعها الجمل ومن ثم النص ـ كوحدة كبرى ـ وهذا ما يطلق عليه "سياق النص. "

الثانية : تتابع وتوالي الأحداث التي تمثل عناصر الموقف الذي جرى فيه الكلام ، ويسمى " سياق الموقف "[14]، وسيأتي بيان ذلك عند تناول السياق من حيث التنوع.

أما معاجم المصطلحات فتركز على الجانب المقامي إلى جانب النصي ، فالسياق عند إبراهيم فتحي هو بنية الكلام ومحيطه وقرائنه ، وهو بناء كامل من الفقرات المترابطة ، ودائماً ما يكون سياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط ، فلا يقتصر على إلقاء الضوء على معاني الكلمات المفردة فحسب ، بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها[15.[

ويعد سياق عنصر ما كل ما يحيط بهذا العنصر ، ويستعمل لفظ " سياق " للإحالة خاصة إما إلى المحيط اللغوي للوحدة ، ويسمى السياق المقالي Contextأو إلى مقام التخاطب[16]، ولا يخفى اختلاف اللسانيين في استعمالهم لمصطلح السياق ، وسبب ذلك غياب الحدود الواضحة لمفهومه ، أدى هذا الغياب إلى الالتباس بين السياق والمقام ، فغالباً ما يستعملون " مصطلح السياق للدلالة به عموماً على مجموعة الظروف التي تصاحب ظهور الملفوظ ، وبهذا المعنى لا يغدو السياق مكوناً من العلامات فحسب ، ولكنه يشمل مختلف العناصر التي تسهم في فعل التلفظ [أي] المحيط الفيزيائي ، الظروف التاريخية والاجتماعية ، معارف ونفسيات المشاركين في عملية التخاطب"[17]. ولعل تمام حسان أوجز في الربط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي حين نظر إلى السياق من زاويتين كونه تتابعا ـ بالمعنى اللغوي ـ الزاوية الأولى : تتابع العناصر المكونة للسياق الكلامي ، والثانية: تتابع الأحداث والظروف التي نشأ النص بها[18]،وتتنوع هذه الظروف لتشمل الظروف المصاحبة للإنتاج ، وثقافة المنتج ، أيضاً ثقافة المتلقي ، والزمان والمكان ، إلى غير ذلك من الأمور ، وهذا ما جعل الدراسات اللغوية ـ كما مر سابقاً ـ تلجأ إلى علوم أخرى لتصل بعملية التحليل اللغوي إلى هدفها ، فتتحقق بذلك وظائف اللغة التي من بينها التواصل ، فالسياق هو كل ما يتعلق " بأحوال المتتالية اللغوية في ظروف استعمالها داخل النص وخارجه "[19]. يستلزم هذا التصور دراسة النص داخلياً ، ودراسة محيطه الخارجي.

وبهذا ينقسم السياق إلى أساسين : السياق الداخلي ، والسياق الخارجي.

وتعد اللغة قبل استخدامها " نظاماً من العلامات المجردة التي لا تدرك بالحواس إلا إذا استعملت "[20]، وعند الاستعمال تتجلى وتبرز في صورة محسوسة ، ويختلف تحليل اللغة في الصورة المجردة عن تحليلها في الصورة المحسوسة ؛ أي التي تؤول إليها عند الاستعمال ، وما يرجح تحليل إحدى الصور على الثانية هو السياق ، وبعبارة أخرى ينشأ من خلال تناول السياق

مقاربةٌ بين صور التحليل اللغوي، "كونها [أي اللغة] كيانات مجردة معزولة عن السياق"[21]إلى حيز الاستعمال ، ليدخل في هذا الحيز كل ما يرتبط بإنتاج النص من ظروف وعناصر وكل ما يتعلق بالمتتالية اللغوية.

▪نستطيع استخلاص مفهوم السياق من خلال نظرنا إلى الصورتين :الصورة المجردة ، والصورة المحسوسة ، فقد أكد فيرث J.Firth أن الصورة المجردة التي تمثلها الوحدات اللغوية لا يمكن لها أن تظهر دلالياً بوضوح رؤية إلا من خلال الوحدات المجاورة لها واندماجها معها ، مع التأكيد على " جوانب التحليل السياقي ، أو ما يسمى بتوزيع الوحدات المكونة سياقيا Context distribution "[22]، وبتعبير آخر يمكننا النظر إلى السياق ـ في إطار التفريق بين اللغة نظاماً واللغة سلوكاً ، من زاوية الكمون ، وزاوية التحقق الفعلي.

أما من زاوية الكمون فهو السياق الكامن في نظام اللغة المعينة ، ويخضع لإمكانات محتملة تفرضها قوانين ذلك النظام [23]، ومن ذلك إمكانية استعمال مفردة محددة في سياقات مختلفة مثل كلمة " طعن " . يقال :" طعن بالسيف " ، " طعن في الحكم " ، " طعن في السن " ، "طعن في الظهر" . وعبر محمد الناصر العجيمي عن هذا بـ " المعانم السياقية " مشيراً إلى الطاقة التوليدية التي تتضمنها بحكم إحالتها على أقسام عامة مثل : حياة / موت ، إنساني / حيواني ، حي / جامد ، منغلق / منفتح ، وتستفاد هذه المعانم من خلال تنوع وقوعها ضمن متتاليات مختلفة ، فعبارة " أصداء " ـ على سبيل المثال ـ "مكونة من معانم أهمها : الرجوع والخفوت وتتغير دلالتها بتغير القسم الذي تنتمي إليه ، والذي يستفاد من السياق ، ففي قولنا:" أصداء صوته " ، تحيلنا [العبارة] على مدى فيزيائي ، غير أن مزيداً من معرفة السياق يوضح القسم المضَمَّن لها ، فإذا كان المقصود "أصداء صوت الأسد" حملت دلالة الحيواني ... ونسجاً على هذا المنوال يمكن أن نستقرئ الدلالات العامة الكامنة في ملفوظات أخرى مثل :أصداء الماضي ، وأصداء الحدث ، وأصداء الضمير "[24.]

ومن زاوية التحقق الفعلي فهو السياق الفعلي المستخدم في إطار عملية تخاطبية ، مثال ذلك : الأمثلة السابقة في عمليةٍ تخاطبية . وقد كان الاهتمام الكبير بالتركيب الداخلي للغة سببا في ظهور النقد من قِبل فيرث J.Firth فقد عدَّ هذا الاهتمام البالغ إهمالاً لجانب الاستعمال الفعلي للغة في إطار المجتمع ، وما يمكن أن يفرضه المجتمع من الضوابط والقيود على مستعملي تلك اللغة [25]، وتبرز نقطة جوهرية وهي " إيصال المعنى " وهذا ما يهدف المتكلم إلى إيصاله إلى أفراد المجتمع ، وبما أن إيصال المعنى هو الغاية فإنه " ينبغي التوجه إلى تحديد الضوابط التي تحكم الاستعمالات والسياقات التي تحدد معاني الكلمات"[26]، ويؤكد المتوكل على هذا المعنى بقوله : " تبين من الأبحاث التي انصبت على الجملة نفسها أن الظواهر الجملية ذاتها أو عدداً هاماً من هذه الظواهر لا يمكن أن تُوفّى حقها من الوصف والتفسير إذا عولجت في إطار جمل منعزلة " [27] . ويؤكد فان دايك[28] Van Dijk هذا المعنى وذلك باستحالة وضع نظرية مثلى للجمل المنعزلة ما دامت تتأثر بعدد من العوامل الخطابية، إشارة ـ كما يبدو ـ إلى الأخذ بعين الاعتبار كل ما يحيط بالموقف الخطابي ، أو سياق الحال Context Of situation

كما يتداوله اللسانيون مثل فيرث J.Firth ومالينوفسكي Malinowski ، وتجدر الإشارة إلى أن هذا المصطلح استعمله مليونفسكي وقد كان مصطلح Context السياق متداولاً بين اللغويين من قبله ، غير أن مالينوفسكي استعمل Context Of situation سياق الحال.

ويحد بلومفيلد Leonard Bloomfild السلوكي[29]سياق الحال Context Of situation بظواهر يمكن تقريرها في إطار من الأحداث العملية ، فهو يتجاهل حقائق لها شأن بالكلام ، ذلك أن اتجاهه مادي[30]، وفي الواقع أن سياق الحال Context Of situation هو جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي ، منها:

1- شخصية المتكلم والسامع وانتسابهما إلى " وسط معين وقطاع اجتماعي يتميز عن غيره بمعالم تتعدد بتعدد مظاهر البيئة "[31]، والتكوين الثقافي لكل منهما ، ويدخل في ذلك الحضور إن وجدوا ، شخصياتهم وجنسهم وتكوينهم الثقافي والاجتماعي.

2- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة بالسلوك اللغوي للمشاركين في الموقف الكلامي ، ويدخل في ذلك المكان وحالة الجو إذا كان لها من تأثير مباشر.

3- الأثر الذي يحدثه النص أوالخطاب في المشتركين، كالاقتناع والألم والضحك والبكاء[32]، وتدخل في ذلك ـ كما نرى ـ الاستجابة أو الفعل الذي يكون نتيجة للفعل الكلامي.

ولعل هذا الاهتمام الكبير بالجوانب السياقية والمقامية هو ما دفع بلومفيلد إلى الدعوة لإرجاء دراسة المعنى إلى حين امتلاك الأدوات اللازمة لذلك ، إذ إن تحليل المعنى في رأيه " هو النقطة الضعيفة في دراسة اللغة ، وستظل بالضرورة هكذا إلى أن تتقدم المعرفة الإنسانية كثيراً عما هي عليه الآن "[33]. فللوصول إلى دلالات الصيغة اللغوية " ينبغي على العالم أن يستقرئ جميع المقامات التي تستعمل فيها هذه اللغة وحصرها ، وذلك عمل يكاد يكون مستحيلاً لضخامته ولعدم توفر الأدوات العلمية اللائقة به " [34]، وفيما يبدو أن بلومفيلد Leonard Bloomfildبالغ في إرجائه الاهتمام بالمعنى في الوقت الذي بالغ فيه أصحاب النظرة السياقية والمقامية في استحضارهم لكل ما يمت للمقام والسياق بصلة ، ونقر مع بلومفيلد Bloomfildبصعوبة ذلك أو استحالته ، غير أنه من الواضح عدم اضطرار المحلل اللغوي أو مستقبل النص إلى استقراء جميع المقامات التي تستعمل فيها اللغة لبيان دلالة هذه المفردة أو تلك ، فلكل مفردة معنى معجمي واضح الدلالة ، وإنما يحتاج المتلقي للنص أو محلله إلى السياق والمقام بقدر الالتباس أو الغموض أو تعدد المفاهيم التي تواكب عملية التلقي أو التحليل، أما عبارة فيفنشتاين L.wittgenstein التي تقول:" ليس للكلمة دلالة ، بل لها استعمالات ليس إلا "[35]، فالنظر إليها من زاوية النظرية السياقية يبين مدى ما للسياق من أهمية في بيان الدلالات المعجمية ، وتبين ما للاستعمال اللغوي من حضور في التحليل النصي ، وكيف أن معنى الوحدة اللغوية لا يحدد إلا بواسطة استخدامها في السياقات المختلفة ، فلفظة " القبض" تستعمل في سياقات مختلفة ـ بغض النظر عن معناها المعجمي ـ وينظر إليها مستقبلوها على حسب ثقافاتهم واختصاصاتهم ، فيستقبلها رجل الأمن على أنها الإمساك باللص. والمحاسب على أنها استلام النقود من العميل ط. والمسن ومن على فراش الموت على أنها خروج الروح.

والفقيه على أنها وضعية اليدين في الصلاة . وتستعمل هذه اللفظة في سياقات مختلفة على الرغم من القصور النسبي لمعناها المعجمي.
ولعل ما يقدمه جاكندوف R. Jackendoff من مثال يكون أكثر إبانة، وهو مقولة "الصور الملتبسة" ، إذ لا معنى لأن نتساءل عما إذا كان الشيء في الصورة (1) وجهين متقابلين أم مزهرية ، أو عما إذا كان الشيء في الصورة (2) بطة تنظر لناحية أم أرنبا ينظر إلى الناحية الأخرى.
فالسؤال المتعلق بماهية هذه الأشياء يرتبط بما إذا كان بإمكاننا أن نراها بهذه الطريقة أو تلك ، وبالكيفية التي تتدخل بها أنساقنا المعرفية الإدراكية في التكوين الخلاق لأحكامنا المقولية بصدد ما نراه[36].
نخرج مما سبق بأن اللغويين المحدثين كان لهم أكبر الاهتمام بالسياق ، فذهب سوسير Saussureإلى أن " الكلمة إذا وقعت في سياقٍ ما لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق لها أو لكليهما معاً "[37].
واستعمل فيرث J.firth مصطلح سياق الموقف ، وقد أخذه من عالم الاجتماع مالينوفسكي Malinowskiالذي استخدم كذلك مصطلح سياق الحال Context Of situation ، مؤكداً على أنه " من الصعب فهم أي رسالة ما لم نكن على علم بالأداء الصوتي والمرئي المصاحب لها ، والذي يبين ما يحدث الآن بالفعل "[38]، فسياق الموقف يعني " جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي"[39]، وهو أيضاً كل ما يخص النص أو المتتالية اللغوية وظروف إنشائها.
وتجدر الإشارة إلى أن البلاغين العرب كان لهم سبق التفطن والانتباه للمقام الذي يعد حقلاً تحدث فيه الدلالة المقالية مختلفةً بحسب ظروف المقام الذي وردت فيه ، وقد ساق البلاغيون أمثلة على ذلك ، فنجد العبارة القائلة " لكل مقام مقال " ، "ولكل كلمة مع صاحبتها مقام"[40]، فقد قدموا اقتراحات وأوصافا لكل الظواهر والبنيات " في إطار التفاعل بين بنية المقال ومقتضيات المقام"[41]، وعلى حد تعبير تمام حسان(1973 م) فإن مالينوفسكي Malinowskiلم يدر بأنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها، فالذين" عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح "المقام" ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالينوفسكي من تلك الدعاية "[42]، وبغض النظر عن السابق واللاحق في التفطن للسياق فإن أخذه بعين الاعتبار في دراسة النصوص المكتوبة أو المنطوقة يخلع على النص فهماً أدق وأكثر توافقاً مع قصد المتكلم أو منتج النص أو الخطاب.

=========
🔷الإحالات
=========
[1]الزبيدي : تاج العروس ، مادة (ن س أ(
[2]نفسة ، مادة (ز ي د(
[3]نفسة ، مادة (ب ك ر(
[4]نفسة ، مادة (ي س ر(

[5]نفسة ، مادة (ح ر ز(
[6]نفسة ، مادة (غ ف ل(
[7]ابن منظور: لسان العرب ، مادة (ر و ي(
[8]الكفوي ، أبو البقاء : الكليات ، تحقيق : عدنان درويش و محمد المصري ، ص 365
[9]المرجع نفسه ، ص 496
[10]نفسه ، ص 568
[11]محمد العمري(1991 م)، "المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي" (مجلة دراسات ، سيميائية أدبية لسانية) ، ص 7
[12]تمام حسان (1973 م) :اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 337
[13]ستيف أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة : كمال بشر(1975 م) ، ص 57
[14]تمام حسان (2007م): اجتهادات لغوية ، ص 237
[15]إبراهيم فتحي (1986 م) : معجم المصطلحات الأدبية ، ص 201
[16]باتريك شارودو ، و دومينيك منغنو : معجم تحليل الخطاب ، ترجمة : عبد القادر المهيري ، و حمادي صمود (2008 م)، ص 133
[17]ماري نوال غاري بريور: المصطلحات المفاتيح في اللسانيات ، ترجمة:عبد القادر فهيم الشيباني(2007م) ، ص 35
[18]تمام حسان (2007م): اجتهادات لغوية ، ص 237
[19]جمعان بن عبد الكريم (2009 م): إشكالات النص دراسة لسانية نصية ، ص 400
[20]محمد محمد يونس علي(2007) : المعنى وظلال المعنى ، ص 139
[21]المرجع نفسه ، ص 139
[22]عبد القادر عبد الجليل (2002 م) : علم اللسانيات الحديثة ، نظم التحكم وقواعد البيانات ، ص 541
[23]محمد محمد يونس علي(2007) : المعنى وظلال المعنى ، ص 140
[24]محمد الناصر العجيمي (2006 م) : في الخطاب السردي نظرية قريماس ، ص 86
[25]بحيري ، سعيد حسن (1997) : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص 24
[26]المرجع نفسه ، ص 24
[27]أحمد المتوكل (2001): قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، ص 25
[28]نقلاً عن : أحمد المتوكل (2001): قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، ص 27
[29]ترجع النظرية السلوكية Behaviourism في أصولها إلى واطسن Watson رائد المدرسة السلوكية في علم النفس
[30]السعران ، محمود : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص310
[31]روبيرا سكاريبت : سوسيولوجيا الأدب ، ترجمة : آمال انطوان عرموني (1978 م)، ص 16
[32]السعران ، محمود : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص 311
[33]مصطفى زكي (1988) : المدخل السلوكي لدراسة اللغة في ضوء المدارس والاتجاهات الحديثة في علم اللغة (حوليات كلية الآداب) الحولية العاشرة ، الرسالة الرابعة والستون ، الكويت ، ص 41
[34]خولة طالب الإبراهيمي (2006 م) : مبادئ في اللسانيات ، ص 120
[35]نقلاً عن: خولة طالب الإبراهيمي (2006 م) : مبادئ في اللسانيات ، ص 120
[36]محمد غاليم (1987م) : التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم ، ص 95
[37]نقلاً عن عزة شبل محمد (2009 م) :علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص 2
[38]عزة شبل محمد (2009 م) :علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص 3
[39]المرجع نفسه، ص 3
[40]البصير ، الصادق ابراهيم (2006م) : البنيوية في اللغة والأدب والخطاب ، ص 100
[41]أحمد المتوكل(1985) : الوظائف التداولية في اللغة العربية ، ص 8
[42]تمام حسان (1973 م) :اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 372.
==========
د . علي الطاهر
نقلت هذه المحاضرة من الموقع
https://www.facebook.com/101879708428999/posts/117730663510570/?paipv=0&eav=Afa68Iastxbc52p9j5fLIO2P1jWRSpul6JY_3ECV-5xyiT9jUPNiycqunKddoqe8QdM&_rdr

المحاضرة العاشرة: مفهوم الاستراتيجيات في الخطاب

المحاضرة العاشرة: مفهوم الاستراتيجيات في الخطاب

جاء مفهوم الإستراتيجية في قاموس التربية الحديث لبدر الدين بن تريدي على أنها"مخطط عمل يشتمل على أهداف عملية محدّدة، وعلى مراحل ومسارات تحقيق هذه الأهداف، وعلى الوسائل التي تسمح ببلوغها" وهي " تنظيم مُخطط لطرائق وتقنيات ووسائل قصد بلوغ هدف"، وهي " تنظيم عقلاني للعمليات المُزمع القيام بها من أجل تحقيق هدف محدد". وهي " طريقة التصرف من أجل بلوغ هدف خاص. مخطط عام يجري تأسيسه بطريقة جيدة، يتألف من مجموعة من العمليات البارعة والمنسقة بمهارة بغية تسهيل بلوغ مقصد على أحسن وجه بمراعاة وضع متغيّراتُه الأساسية معروفة"

والإستراتيجية عبارة عن مُخطط يشتمل على:

1-القرارات التي استدعت وجود الإستراتيجية.2-مُخطط عمل مفصل.3-الوسائل الضرورية

لبلوغ الأهداف المُسطرة.

مفهوم الإستراتيجية العام:

الاستراتيجيات " طرق محددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة، والتحكم بها". كما نظر ميشال فوكو إلى الإستراتيجية على أنها ذات معان متعددة، ليتناسب كل معنى منها مع سياق معين، إذ يحدد معانيها كما يلي:

1-للتدليل على اختيار الوسائل المستخدمة للوصول إلى غاية معينة؛ والمقصود بذلك هو: العقلانية المستخدمة لبلوغ هدف ما.

2-للتدليل على الطريقة التي يتصرف بها أحد الشركاء، في لعبة معينة، تبعا لما يعتقد أنه سيكون تصرف الآخرين، باختصار، الطريقة التي نحاول التأثير بها على الغير.

3-للتدليل على مجمل الأساليب المستخدمة في مجابهة ما لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على الاستسلام، وعليه تتحدد الإستراتيجية باختيار الحلول الرابحة.

فالإستراتيجية بهذا المفهوم العام هي عمل عقلي مبني على افتراضات مسبقة، وتتجسد من خلال أدوات ووسائل تناسب سياق استعمالها. كما هي محاولة التكيف مع عناصر السياق المحيط بالفعل، وستكون الإستراتيجية فعلا ضروريا وشاملا لجميع ميادين الحياة.

مفهوم الإستراتيجية في الخطاب:

عند التلفظ بالخطاب يتجلى ما يسمى بإستراتيجية الخطاب، ما يعني أن الخطاب المنجز يكون خطابا مخططا له، بصفة مستمرة وشعورية. وعلى المرسل أن يختار الإستراتيجية المناسبة، التي تستطيع أن تعبّر عن قصده وتحقق هدفه بأفضل حالة، وتتدخل عناصر السياق الاجتماعية في تحديد استعمالات اللغة، وفي انتشار بعض الاستراتيجيات على حساب انحسار البعض الآخر، مثل استعمال إستراتيجية التأدب، مقابل إستراتيجية الجفاء، أو إستراتيجية المراوغة، وليتواصل المرسل مع غيره بالخطاب، عبر إستراتيجية معينة، يقتضي أن يمتلك كفاءة تفوق كفاءته اللغوية. ويمكن تسمية هذه الكفاءة، بالكفاءة التداولية.

" تعد الكفاءة التداولية مكونا فاعلا ضمن تكوين الإنسان السوي، تماما، كما هي كفاءته اللغوية، بيد أن الكفاءة التداولية ليست نسقا بسيطا، بل هي أنساق متعددة متآلفة إذ تتألف القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات على الأقل، وهي: الملكة اللغوية والملكة المنطقية والملكة المعرفية والملكة الإدراكية والملكة الاجتماعية"

أما الملكة اللغوية: فيستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن ينتج ويؤول عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدا ومعقدة جدا في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة.

2-الملكة المنطقية: بامكان مستعمل اللغة الطبيعية(باعتباره مزودا بمعارف معينة) أن يشتق معارف أخرى، بواسطة قواعد الاستدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.

3-الملكة المعرفية: يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن يكون رصيدا من المعارف المنظمة،

ويستطيع أن يشتق معارف من العبارات اللغوية، كما يستطيع أن يختزن هذه المعارف في الشكل المطلوب، وأن يستحضرها، لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية.

4- الملكة الإدراكية:يتمكن مستعمل اللغة الطبيعية من أن يدرك محيطه، وأن يشتق من ادراكه ذلك معارف، وأن يستعمل هذه المعارف في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها.

5-الملكة الاجتماعية:لا يعرف مستعمل اللغة الطبيعية ما يقوله فحسب، بل يعرف كذلك كيف يقول ذلك لمخاطب معين في موقف تواصلي معين، قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة.

والكفاءة اللغوية لا تنهض لوحدها بعملية التواصل المناسب للسياق، لأن الكفاءة التداولية هي التي تستثمر تلك القوالب (اللغوية والمنطقية والمعرفية،...) الكامنة في ذهن الانسان، بما في ذلك كفاءته اللغوية، فالقوانين اللغوية تصف ما يستطيع أن يفعله المرسل في لغة معينة، أما قوانين التواصل فإنها تصف ما يستحسن فعله، وتتعامل الاستراتيجيات مع عملية اختيار أفضل الوسائل تأثيرا من السلوكيات التواصلية التبادلية.

وكون استراتيجية الخطاب تعتمد على كفاءة الانسان التداولية وصناعتها لخطابه، فغنه يُلمس التفاوت بين الناس في مستواها، كما يتضح ذلك عند قصور البعض في التعبير عن قصده، أو دون تحقيق أهدافه، فقد يخفق أحدهم في حين يوفق غيره، مع تماثل في بعض عناصر السياق أ تشابه.

يمكن"تعريف استراتيجية الخطاب، بأنها: عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه، من أجل تنفيذ إراداته، والتعبير عن مقاصده، التي تؤدي إلى تحقيق أهدافه، من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية، وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة، ويستحسنه المرسل".

واستراتيجية الخطاب في أصلها، هي عملية ذات وجهين متلازمين، بوصفها عملية ذهنية، في مرحلة إنتاج الخطاب الاولي، وبوصف الخطاب تجسيدا لها في مرحلتها الأخرى؛ إذ لا تتضح إلا بالتلفظ به، والخطاب هو نتيجة لاستراتيجية معينة، ولتوليده ثلاث مراحل هي:

1-إدراك السياق الذي يجري فيه التواصل بكل أبعاده المؤثرة.

2-تحديد العلاقة بين السياق والعلامة المستعملة؛ ليتم اختيار الاستراتيجية الخطابية الملائمة.

3-التلفظ بالخطاب.

العوامل المؤثرة في اختيار استراتيجية الخطاب:

هناك عاملان من العوامل المهمة ذات الاثر البالغ في استعمال اللغة وتأويلها، وفي توجيه المرسل لاختيار استراتيجية الخطاب وترجيح استراتيجية مقابل استراتيجية أخرى، وهذان العاملان هما: المقاصد والسلطة.

1-المقاصد: يرتكز دور المقاصد على بلورة المعنى كما هو عند المرسل، إذ يستلزم منه مراعاة كيفية التعبير عن قصده، وانتخاب الاستراتيجية التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى.

فالنقاصد هي لب العملية التواصلية، لأن لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون

وجود قصدية وراء فعل التواصل، وغاية قصد المرسل هي إفهام المرسل إليه، ويشترط ليعبر المرسل عن القصد الذي يوصل إليه أن يمتلك اللغة في مستوياتها المعروفة، ومنها المستوى الدلالي، وذلك بمعرفته بالعلاقة بين الدوال والمدلولات، وكذلك بمعرفته بقواعد تركيبها وسياقات استعمالاتها، وعلى الإجمال معرفته بالمواضعات التي تنظم إنتاج الخطاب بها.

" وما الاستراتيجية التي يستعملها المرسل في الخطاب إلا وسيلة تتجسد باللغة لتحقيق المقاصد، وعليه فإن شرف المقاصد هي أفضل الوسائل".

2-السلطة:" تلعب السلطة دورا رئيسا في إنتاج الخطاب وتأويله، كما أنها تمنحه قوته الانجازية. لذلك هناك من يرى أن الخطاب نفسه سلطة. ويتجلى دورها بوصفها محددا رئيسا في ترجيح استراتيجيات معينة دون استراتيجيات معينة دون استراتيجيات أخرى"

كما يعد امتلاك السلطة عند المرسل من الضرورات أو من الأمور المستحبة، ليتمكن من تجسيدها في الخطاب، بحيث يدركها المرسل إليه في الخطاب دون البحث عنها في الخطاب، فهي تعتمد تقريبا على اللغة والافعال اللغوية أكثر من اعتمادها على القوة المادية، كما يمكن أن يخفق المرسل لو أصدر أمرا أو نهيا دون امتلاك السلطة التي تمنحه القوة الكافية، وسوف يبوء فعله اللغوي بالفشل، أو يثير السخرية، مما يمنح المرسل إليه فرصة التفكه والتهكم به(مثل تقمص الأخ الاكبر دور الأب، أو تقمص أحد اللاعبين لدور المدرب)، كما لايمكن لأحد أن يحكم بالحكم في المحكمة غير القاضي، وكذلك لايمكن أن يُطلّق الرجل امرأة قريبه أو جاره،...الخ، فالمدرس له سلطة في المدرسة والقاضي له سلطة في المحكمة،...الخ.

" ولهذا، فإن انعدام السلطة سوف يؤدي بخطاب المرسل غلى فشله، فلا يستطيع أن ينجز شيئا من خلال خطابه، لأن معظم الشروط التي ينبغي أن تتوفر كي يعمل الإنجاز الكلامي عمله تنحصر في مدى التلاؤم بين المتكلم، أو وظيفته الاجتماعية، وبين ما يصدر عنه من خطاب. إن أي أداء للكلام سيكون عرضة للفشل إذا لم يكن صادرا عن شخص يملك سلطة الكلام، وبعبارة موجزة، إذا لم يتوفر المتكلم على السلطة التي تخول له أن يتفوه بالكلمات التي ينطق بها.

أنواع الاستراتيجيات:

1-الاستراتيجية التضامنية:

مفهوم الاستراتيجية التضامنية تقريبا هي الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينها، واجمالا هي محاولة التقرب من المرسل غليه، وتقريبه. وإذا كانت العلاقة بسيطة بين طرفي الخطاب، أو لا يوجد بينهما أي نوع من أنواعها، فإن المرسل يسعى إلى تأسيسها بالتلفظ بالخطاب بأن يتقرب من المرسل إليه، بما يجعله واثقا بأن المرسل يميل إليه ميلا طبيعيا خاليا من أي دوافع أو أغراض منفعية.

ومن شأن الخطاب، بهذه الاستراتيجية، أن يساوي بين درجات أطرافه، وأن يقلص المسافات ويقلل الدرجات، حتى تصبح العلاقة في نهاية الخطاب أفضل منها في بدايته، وهنا تتحقق للتضامن سمته الغالبة، من أنه علاقة التكافؤ المفترضة التي من شأنها أن تربط بين الناس من

جماعات تشترك في اهتماماتها وسلوكها وتمثيل ذاتها.

2-الاستراتيجية التوجيهية:

باستعمال هذه الاستراتيجية فنحن نفرض قيدا على المرسل إليه بشكل او بآخر، وإن كان القيد بسيطا، وعليه فإن الخطاب ذا الاستراتيجية التوجيهية يعد ضغطا وتدخلا، ولو بدرجات متفاوتة، على المرسل إليه وتوجيهه لفعل مستقبلي معين. ويعملون على تبليغ المحتوى بالدرجة الأولى.

والمرسل إليه صنفين مُتخيَّل زحاضر؛ فالأول يتضمن الخطابات التي تنص على تعليمات التوجيه للمرسل إليه المفترض كتعليمات ارتياد المسبح، أو تعليمات غسيل الملابس، أو تعليمات استعمال المصعد الكهربائي، أو تعليمات استعمال قائمة المراجع في مكتبة عامة، فالمرسل يفترض المرسل إليهمسبقا من خلال الشروط المعروفة والمعايير المحسوبة. ومثل هذه الخطابات تأتي مكتوبة أو مسجلة على شريط صوتي.

أما الصنف الثاني –المرسل إليه الحاضر- عند لحظة التلفظ بالخطاب، والتوجيه قد يختص به دون غيره. واستعمال الاستراتيجية التوجيهية نابع عن علاقة سلطوية بين طرفي الخطاب، وتتفاوت هذه العلاقة من التباين الشديد حتى التقارب الملموس (بين طرفي الخطاب). وتتسم هذه الاستراتيجية بالوضوح في التعبير والابتعاد عن الغموض الذي يفتح المجال أمام التأويلات المختلفة.

3-الاستراتيجية التلميحية:

الاستراتيجية التلميحية هي الاستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله، ويتجاوز المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق.

ومن أهم المسوغات التي ترجح استعمال المرسل للاستراتيجية التلميحية مايلي:

1-التأدب في الخطاب: والابتعاد قدر الامكان عن فاحش القول(خاصة في البعد الشرعي)، وفي البعد الاجتماعي بضرورة احترام أذواق الآخرين، وفي البعد الذاتي وهو صيانة الذات عن التلفظ بما يسيء إليها.

2-إعلاء المرسل لذاته على حساب الآخرين وإضفاء التفوق عليها. كقول أحدهم: فلان لا يفقه في أمور الحياة شيئا. بمعنى هو الذي يفقه في أمور الحياة. أو كقولهم: تظل المرأة هي المرأة، أي ناقصة عقل ودين وضعيفة في بعض المواقف.

3-رغبة المرسل، أحيانا في التملص والتهرب من مسؤولية الخطاب. وذلك بجعل الخطاب يحتمل أكثر من تأويل. كطلب رشوة بقوله: ساعدنا في هذه المسألة وسوف نطيب خاطرك.

4-استجابة للخوف(في مثال الرشوة) فإن المرسل يستعمل هذه الاستراتيجية لئلا يتخذ المرسل إليه خطابه دليلا عليه، والمرسل إليه بدوره يجيبه بخطاب تلميحي يشوبه الحذر أيضا. كي لا يتهم بأنه يستطيب الرشوة ويطلبها من المرسل.

5-العدول عن محاولة إكراه المرسل إليه أو إحراجه لإنجاز فعل قد يكون غير راغب في

إنجازه، ويكثر استعمالها في النصح وتوجيه المرسل إليه إلى الفعل الأصلح.

6-الاستغناء عن انتاج عدد من الخطابات والاكتفاء بإنتاج خطاب واحد ليؤدي معنيين هما المعنى الحرفي والمعنى المستلزم(التلميحي). كقولنا يتم تعبئة خزانات المياه المنزلية يومي السبت والثلاثاء. فالمرسل يقصد معنيين أحدهما مباشر والآخر غير مباشر وكأنه يقول: الخزانات لا تعبّأ في بقية أيام الأسبوع

4-استراتيجية الإقناع: من الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه، أي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي. لديه وينبني فعل الإقناع وتوجيهه دوما على افتراضات سابقة بشأن عناصر السياق خصوصا المرسل إليه، وتستعمل استراتيجية الإقناع من أجل تحقيق أهداف المرسل النفعية؛ بالرغم من تفاوتها تبعا لتفاوت مجالات الخطاب أو حقوله، فقد يستعملها التاجر لبيع بضاعته، وقد يستعملها المرشّح لرئاسة الدولة أو المؤسسة لحمل الناخبين على انتخابه. وقد يمارسها الطفل مع أحد والديه من أجل الحصول على قطعة من الحلوى.

مسوغات استعمال استراتيجية الإقناع:

1-تأثيرها على المرسل إليه أقوى. فلا يشوبها فرض أو قوة بل إقناع.

2-الحصول على الإقناع الذاتي والابتعاد عن الاكراه.

3-الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج.(الإقناع والإمتاع)

4-الرغبة في تحصيل الإقناع: حين يغدو الهدف الأعلى لكثير من أنواع الخطاب.

5-إبداع السلطة: فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تُقنع المرسل إليه.

6-شمولية استراتيجية الإقناع: إذ تمارس على جميع الأصعدة، فيمارسها الحاكم والفلاح والصغير والكبير والطفل والمرأة...الخ.

7-ما تحققه من نتائج تربوية، إذ تستعمل كثيرا في الدعوة.

8-استباق عدم تسليم المرسل إليه بنتائج المرسل أو دعواه.

9-خشية سوء تأويل الخطاب.

10-عدم الاتفاق حول قيمة معينة، أو التسليم من أحد طرفي الخطاب للآخر

نقلت المحاضرة من الموقع:

https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&ved=2ahUKEwiTmIn42vr-AhXZRaQEHepBBGgQFnoECA4QAw&url=https%3A%2F%2Felearning.univ-bejaia.dz%2Fmod%2Fresource%2Fview.php%3Fid%3D196004&usg=AOvVaw1plSwGc6cOQw17fe2_lpwo

المحاضرة الحادية عشرة: العوامل المؤثرة في اختيار استراتيجية الخطاب: المقاصد، السلطة

المحاضرة الحادية عشرة: العوامل المؤثرة في اختيار استراتيجية الخطاب: المقاصد، السلطة

تطلب مناقشة العلاقة بين اللغة والخطاب والمجتمع، النظر في مجموعة من العلاقات، كعلاقة اللغة بالسلطة والأيديولوجيا والثقافة، و طرح جملة من المستويات النظرية والمشكلات المعرفية، كأصل اللغة و سلطة اللغة والسلط المساندة لها، و التمييز الذي تقيمه اللسانيات بين

اللغة والكلام والخطاب والوحدات المشكلة للخطاب واللسانيات الداخلية والخارجية...الخ، وكذلك النظر في بعض المسائل الابستمولوجية التي تطرحها هذه العلاقة ضمن ميدان معرفي يحاول جاهدا التأسيس لمناهجه ومفاهيمه و مسائله، ونعني بذلك علم الاجتماع اللغوي و / أو اللسانيات الاجتماعية، الذي يثير صعوبات جمة ليس اقلها تلك المسالة التي ما تزال موضوع خلاف بين الألسنيين وعلماء الاجتماع حول الطبيعة الاجتماعية للغة.

2كما انه من غير الممكن دراسة هذا الموضوع من دون استحضار تاريخ المشكلة وخاصة كما طرحها بعض الفلاسفة وعلماء الأنثروبولوجية. فمن المعروف أن الفلاسفة، قد ناقشوا مشكلة سلطة اللغة "الحركة السوفسطائية"، وعلاقة اللغة بالواقع والعالم الخارجي" أفلاطون"، و بنية وتركيب اللغة وعلاقتها بالمنطق والسياسة "أرسطو"، و علاقة اللغة بالفكر والمعرفة " ديكارت - لوك"، وعلاقة اللغة بالمجتمع "روسو" إلا أن الأنثروبولوجية الحديثة وخاصة مع" ادوارد سابير" هي التي أسست للمنظور الاجتماعي للغة. ومن دون الدخول في تفاصيل هذا النقاش العلمي والنظري لمجمل هذه المسائل، التي لا يتسع لها المجال فإننا نعتمد وجهة النظر التي ترى في اللغة خطابا وشكلا من أشكال الممارسة الاجتماعية، مع علمنا المسبق بما يثيره هذا التحديد الأولى من إشكاليات لسانية وخاصة على مستوى التمييز بين اللغة والكلام والخطاب والعلاقة بالمجتمع.

- 1 - فيركلو، نورمان : الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية، ترجمة رشاد عبد القادر،في، الكرمل، مجلة فصلية ثقافي (...)

3و المقصود باللغة بوصفها، شكلا من أشكال الممارسة الاجتماعية هو أن : ((اللغة جزء من المجتمع...ويعني ثانيا أن اللغة صيرورة اجتماعية. وثالثا أن اللغة صيرورة مشروطة اجتماعيا، أي مشروطة بالجوانب غير اللغوية من المجتمع))1. وسيتضح هذا التعريف الأولى، بتحليل منظورين مختلفين، سنعمل على إظهار تكاملهما و هما آراء "ميشيل فوكو" و"بيار بورديو" في اللغة والخطاب والمجتمع والسلطة، وهذا لجملة أسباب أهمها العلاقة الخاصة التي تجمع بين المفكرين، و خصوصية تحليلاتهما لهذه المسالة وما تمتلكه هذه المقاربة، في نظرنا، من قدرة في تحليل المشكلات اللغوية والدينية لمجتمع من المجتمعات.

أولا - بين السلطة و سلطة اللغة و الخطاب

- 2 - Foucault, Michel : L'archéologie du savoir.- Paris, Ed. Gallimard, 1969.- p. 156.
- 3 - ورابينوف، دريفوس ؛ فوكو، ميشيل : مسيرة فلسفية.- ترجمة جورج ابي صالح،مراجعة، مطاع صفدي،مركز الانما (...)
- 4 - Sheridan, Alain : Discours, Sexualité et Pouvoir.- Editeur Bruxelles, Initiation à Michel Foucaul (...)
- 5 - Foucault, Michel : La volonté de Savoir.- Ed. Gallimard, 1976.- p. 133.

4من المعروف أن السفسطائية قد وقفت عند سلطة الخطاب عندما اكتشفت الإمكانيات التي تحملها اللغة كالمغالطة والقدرة على التمويه وإيقاع الخصم في الخطأ ودور الخطابة في تغيير الرأي والموقف، ومنذ ذلك التاريخ على الأقل، طرحت مسالة العلاقة بين اللغة والسلطة فهل للغة سلطة ذاتية أم أنها تستمدها من شيء خارج عنها كالسلطة السياسية والدينية وغيرها، وفي

هذا السياق من الطرح العام للمسالة ظهرت تحليلات ميشيل فوكو في اللغة والخطاب وخاصة في ثلاثة كتب أساسية هي "L'archéologie du savoir" و "L'ordre du discours" و "volonté de savoir La"، فما هي وجهة نظره في هذا الموضوع؟ يقول في "أركيولوجيا المعرفة" : (و على هذا النحو لا يبقى الخطاب، كما اعتقد الموقف التفسيري، كنزا مليئا لا ينفذ...بل إنه سيغدو ثروة متناهية، ومحدودة ومرغوبة ومفيدة لها قوانين ظهورها، وأيضا شروط تملكها، واستثمارها. ثروة تطرح بالتالي، ما إن تظهر إلى الوجود...مسألة السلطة، ثروة هي بطبيعتها موضوع صراع، صراع سياسي)2. لقد توقف عدد من الدارسين عند هذا النص، واختلفوا في فهمه و تقييمه والإجابة على سؤال العلاقة بين الخطاب والسلطة. فمثلا نجد "دريفوس" و"رابينوف" يزعمان أن فوكو يذهب إلى أن : (ثقافتنا تنزع إلى تحويل نسبة متزايدة باستمرار، من أفعالنا الخطابية العادية، إلى أفعال خطابية جادة، وهو يرى في هذه النزعة التعبير عن إرادة في الحقيقة، تستمر في التوطد والتجذر وفي فرض نفسها أكثر فأكثر)3. في حين يرى "شيريدان" أن فوكو اكتشف في "نظام الخطاب" سلطة الخطاب،وعليه غير منظوره المنهجي4. وكيف نفهم ما قاله فوكو في "إرادة المعرفة" : (ففي الخطاب بالذات، يحدث أن تتمفصل السلطة والمعرفة. ولهذا السبب عينه، ينبغي أن نتصور الخطاب، كمجموعة أجزاء غير متصلة وظيفتها التكتيكية غير متماثلة ولا ثابتة. بصورة أدق يجب أن لا نتخيل عالما لخطاب مقسما بين الخطاب المقبول والخطاب المرفوض... بل يجب أن نتصوره كمجموعة عناصر خطابية تستطيع أن تعمل في إستراتيجيات مختلفة : الخطاب ينقل السلطة وينتجها، يقويها، ولكنه أيضا يلغمها، يفجرها، يجعلها هزيلة، ويسمح بإلغائها)5. لدراسة هذه المسالة، والآراء المختلفة، سنعمد إلى تحليل العناصر الموالية :

أ. بين الخطاب والممارسة السياسية

5يرى ميشيل فوكو أن التساؤل حول علاقة الخطاب بالممارسة السياسية، يتطلب جانبين من التحليل، من جهة، ضرورة تحليل مختلف العمليات النقدية التي يقوم بها خطاب ما في ميدان خطابي معين. ومن جهة أخرى، تعيين حقل التحليلات ومجال الموضوعات التي يحاول الخطاب إظهارها وتمفصلها مع سياسة ما، أو ممارسة سياسية معينة. فبالنسبة للجانب الأول النقدي، يتطلب إقامة جملة من العمليات التي يمكن تلخيصها في :

1. إقامة حدود على عكس التاريخ التقليدي الذي يبقى حقلا لا متناهيا وغير محدود، مع إبعاد المسلمة التأويلية، ومسلمة الذات المؤسسة، ومسلمة الأصل.
2. محو التعارضات الشكلية من مثل القديم والجديد، الأصيل والمعاصر، التقليد والإبداع، الثبات والتغير، وإقامة حقل التحليلات التفارقية .
3. إلغاء الفروع العلمية المعترف بها، مثل تاريخ الفكر، وتاريخ العلوم، وغيرها، وتحليل الخطابات في شروط تكونها، وتحولها ومختلف علاقاتها.

- 6 - Foucault, Michel : Réponse à une Question.- In Esprit, n° 371, 1968.- p.p. 861-862-864.

6بهذه العمليات النقدية، يظهر الخطاب، ويؤسس في نفس الوقت لاستقلاليته وسلطته، ويحقق هدفا أساسيا، هو إقامة تاريخ عام "Histoire Générale" للخطابات، بدلا من تاريخ كلي "Histoire Globale"، تاريخ يتأسس على وصف خصوصية الممارسات الخطابية. وفي إطار هذا التاريخ العام، يمكن إقامة ما يسميه فوكو بالتحليل التاريخي للممارسات الخطابية6.

7أما الجانب الثاني، فيتطلب في نظره، دراسة علاقة هذه الخطابات في فرادتها وخصوصيتها بالممارسات السياسية، وذلك بدراسة شروط ووظائف الخطابات العلمية، كالطب والاقتصاد، أو بصفة عامة خطاب العلوم الإنسانية التي اهتم بها الفيلسوف. وإن دراسة الخطاب العيادي الذي ميز الطب في بداية القرن التاسع عشر، يبين أن هنالك علاقة بين هذا الشكل من الخطاب العلمي وظهور بعض الأحداث السياسية، والتي يجملها في حدث الثورة الفرنسية.

- 7 - Ibid.- p. 864.

8وتتطلب دراسة الخطاب الطبي في علاقتها بالممارسة السياسية، النظر، ليس في التغيير الذي حدث في وعي الناس، وطريقة إدراكهم للأشياء، بل على أساس أن الممارسة السياسية : (حولت شروط ظهور الخطابات أو حولت طريقة وجود الخطاب الطبي)7. وهذا بناءا على جملة من الإجراءات، منها : تعيين الذين لهم الحق في امتلاك وإدارة الخطاب الطبي "الأطباء والتقنيون"، تقسيم جديد لموضوعات الطب بتطبيق سلم جديد للملاحظات، وظائف اجتماعية جديدة للمستشفى، أنماط جديدة للتسجيل والحفظ والتوزيع، للخطاب الطبي. وأخيرا وظائف جديدة للخطاب الطبي في نظام المراقبة الإدارية والسياسية للشعب.

9وعلى أساس هذا التحليل، يمكن أن نحدد مختلف العلاقات بين الخطاب والممارسة السياسية، وتعيين جزئيات هذه العلاقة، والدور الذي تلعبه الممارسة السياسية في خطاب علمي معين، وكيف تنعكس هذه العلاقات على مجالات أخرى من الحياة الاجتماعية، وبتعبير دقيق، تعيين وضعية الخطابات "Positivité des discours".

- 8 - Coppalle, Daniel et Gardin, Bernard : Discours Du Pouvoir et Pouvoir(s) du Discours.- In La Pensé (...)

10إن هذه المقاربة المعرفية الجديدة التي يقترحها فوكو لدراسة علاقة الخطاب، بالممارسة السياسية، نستطيع القول عنها، أنها مقاربة تبعده عن المفهوم المثالي للممارسة الخطابية، و تؤسس إمكانية إقامة ألسنية اجتماعية "Sociolinguistiques" تدرس علاقة المنطوقات الطبية مثلا، بمجال اجتماعي هو المستشفى8.

11لكن هذا المنحى الاجتماعي للخطاب، سيعرف تغيرا في "نظام الخطاب"، بحيث سيتم التركيز على سلطة الخطاب، وعلى مختلف أشكال الرقابة والمنع التي تقيمها السلطة او المجتمع على الخطاب، خاصة وان الخطاب لا يصبح أداة في يد السلطة أو نصا يعكس أهداف السلطة، بل يشكل في ذاته سلطة، كما هو واضح مثلا، في نص الأركيولوجية، الذي ثبتناه سابقا. وإن سلطة الخطاب قادرة على مناهضة وإقصاء أو إقامة السلطة، وهو ما يعبر عنه بوضوح نص "إرادة المعرفة" كما سبق وأن أشرنا إليه كذلك، ولذا لا يمكن فهم مختلف جوانب

المسألة دون تحليل عميق للنظام والآليات التي تتحكم في الخطاب، وإلى البديل الذي يقترحه لدراسة السلطة وسلطة الخطاب.

ب. بين السلطة وسلطة الخطاب

- 9 - Foucault, Michel : L'ordre du discours.- Paris, Ed. Gallimard, 1971.- p. 10.

12يبدأ "نظام الخطاب" برسم ذلك التخوف من الخطاب، ذلك التخوف الذي يعكس في الحقيقة سلطة وقوة الخطاب، وهو تخوف تبديه الذات أو المؤسسة أو السلطة على السواء، تجاه ما يشكله الخطاب : (في حقيقته المادية، كشيء منطوق أو مكتوب، التخوف تجاه هذا الوجود العابر المتجه إلى الامحاء بدون شك، لكن خلال مدة لا نتحكم نحن فيها، التخوف من أن نحس بان تحت هذه الحركة، التي هي مع ذلك حركة يومية ورمادية، سلطا أو أخطارا لا نتصورها جيدا، التخوف من توقع وجود صراعات وانتصارات وجروح وعبوديات عبر الكثير من الكلمات، التي قلص استعمالها منذ زمن طويل، من فضاضتها)9.

- 10 - Ibid.- p. 11.

13إن الخطاب سلطة مادية، تملك القوة والقدرة، وتتضمن مخاطر ومخاوف وتحمل صراعات وما تسفر عنه من انتصارات وهزائم، من تحرير واستعبادات، سلطة تعبر الذات والمؤسسة على السواء، وتؤسس وجودها المستقل، هذا الوجود الذي يخيف الذوات، والمؤسسات، والمجتمعات، لذا يسعى المجتمع، وخاصة المجتمع الغربي، كما يشير إلى ذلك فوكو إلى فرض أشكال مختلفة لمراقبة الخطاب وسلطته. يقول فوكو :(أفترض أن إنتاج الخطاب في كل مجتمع، هو في نفس الوقت إنتاج مراقب ومنتقى ومنظم، ومعاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها هو الحد من سلطاته، ومخاطره، والتحكم في حدوثه المحتمل، وإخفاء ماديته الثقيلة والرهيبة)10.

14إن مختلف الإجراءات والآليات التي يقيمها المجتمع والذات، لمراقبة الخطاب، تهدف إلى تحقيق هدف واحد وأساسي، هو الحد من سلطة الخطاب، وما يثيره من مخاوف وأخطار، هذه الآليات والإجراءات يصنفها فوكو في مجموعات ثلاث، تتفرع إلى إجراءات جزئية، نجملها فيما يلي :

أ. الإجراءات الخارجية

15تتشكل هذه الإجراءات الخارجية من عمليات المنع والقسمة والرفض وإرادة المعرفة.

.1

- 11Ibid.- p. 12.

عملية المنع *:* تظهر هذه العملية في كوننا لا نملك الحق في قول كل شيء، ولا قول أي شيء، في أي ظرف من الظروف، فهنالك موضوعات ممنوعة، كالجنس مثلا، وهنالك طقوس لكل ظرف، و الامتيازات التي تملكها الذات المتحدثة. إن أشكال المنع هذه تظهر خاصة في موضوعات الجنس والسياسة. لذلك يستنتج أنه وبالرغم من أن : (الخطاب في ظاهره شيء بسيط، لكن أشكال المنع التي تلحقه، تكشف باكرا وبسرعة عن ارتباطه بالرغبة وبالسلطة)11.

2. عملية القسمة والرفض : تتجسد هذه العملية في التعارض بين العقل والجنون والذي درسه فوكو بتفصيل في "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" حيث بين أن خطاب المجنون كان يعد دائما إما خطابا فارغا ولا قيمة له ولا يمتلك أية حقيقة أو أهمية أو أن له قدرات غريبة، كالجهر بحقيقة مخفية أو التنبؤ بالمستقبل. وفي كل الأحوال، فقد كان خطاب الأحمق الموقع الذي تمارس فيه عملية القسمة والرفض.
3. إرادة المعرفة والحقيقة : وهي العملية الثالثة التي تبين ما هو حقيقي وما هو خاطئ، داخل خطاب معين أو ثقافة معينة. وهنا يرسم فوكو لوحة تاريخية للفكر الغربي، بدء من اليونان حتى العصر الحديث، لوحة يصف فيها مختلف الأشكال التي تظهر فيها إرادة الحقيقة، ومختلف التوزيعات التي تقيمها بين ما هو صحيح و ما هو خاطئ، بين خطاب العقل الأفلاطوني، وخطاب السوفسطائيين، بين خطاب عصر النهضة القائم على القياس والتصنيف، وخطاب العصور الوسطى الغيبي. إنها آلية واحدة، آلية إرادة الحقيقة، آلية سلطوية بالأساس، حاول بعض المفكرين والفنانين مناهضتها، من أمثال "نيتشه" و"ارتو" و"بتاي".

ب. الإجراءات الداخلية

- 12 - Ibid.- p. 23.

16إذا كانت الإجراءات الأولى خارجية تراقب الخطاب من الخارج، فإن فوكو يحلل مجموعة أخرى من الإجراءات الداخلية التي تخص الخطاب ذاته، وهي التي تمارس مراقبتها الخاصة : (إجراءات تعمل بالأحرى على شكل مبادئ للتصنيف والتنظيم والتوزيع، كما لو أن الأمر يتعلق هذه المرة بالتحكم في بعد آخر من أبعاد الخطاب : بعد الحدث والصدفة)12. وهي :

1. التعليق*:* كل ثقافة في نظر فوكو إلا ولها نصوص أساسية، تقوم بقراءتها وتأويلها وإعادة قراءتها، سواء تعلق الأمر بنصوص قانونية أو دينية أو أدبية، نصوص أولية يتم التعليق عليها دائما. فهنالك إذن نصوص أساسية وأخرى ثانوية، وإذا كانت العلاقة بينهما غير ثابتة ولا مطلقة، فإن المؤكد هو وجود تفاوت بين التعليق والنص المعلق عليه، مثلما هو الحال عليه في النص الأدبي. إن هذا التفاوت يحقق وظيفتين، فهو من جهة يسمح بتشكيل خطابات جديدة، ومن جهة أخرى فإنه لا يقول سوى ما كان منطوقا به بصمت ففي النص الأول، يتعين عليه أن يقول لأول مرة ما كان قد قيل من قبل، وأن يكرر بلا ملل ما لم يكن قد قيل أبدا. وهو بهذه الوظيفة يحد من صدفة الخطاب كحدث.
2.

- 13 - فوكو، ميشال : ما المؤلف ؟.- ترجمة فريق الترجمة بمجلة الفكر العربي المعاصر، العددان6-7، 1980.- ص.1 (...)
- 14 - بارط، رولان. : موت المؤلف في درس السميولوجيا.- ترجمة عبد السلام بنعبد العال، تقديم عبد الفتاح كيل (...)

المؤلف*:* سبق لفوكو أن ناقش هذا الموضوع في دراسة خاصة بعنوان :"ما المؤلف" سنة 1969، وفي "أركيولوجيا المعرفة " و"نظام الخطاب"، وفي كل مرة يحاول أن يبرهن على أن المهم ليس المؤلف وإنما الخطاب. لذلك حاول في "الكلمات و الأشياء" أن يحلل تشكيلات

خطابية، دون العودة إلى مؤلفيها، رغم استعماله لبعض الأسماء. وفكرة إنكار المؤلف عند فوكو، تعود إلى كونها تشكل : (اللحظة القوية للفردنة في تاريخ الفكر والمعارف والآداب، وفي تاريخ الفلسفة وتاريخ العلوم)13. إن هذه اللحظة يناقشها من الناحية التاريخية والوظيفية، حيث يرسم مختلف التطورات التي لحقت بمفهوم المؤلف، وبالوظائف التي يقوم بها، والهدف من وراء هذا التحليل هو التخلي عن فكرة المؤلف، والعودة مباشرة إلى الخطابات. لماذا؟ لأنه توجد خطابات بدون مؤلفين، كالأحاديث اليومية، والمراسيم والعقود، والخطابات العلمية التي لم تعد تسند إلى مؤلف بعينه، بالرغم من أنه قبل القرن السابع عشر، كانت الاكتشافات العلمية تسند إلى مؤلفين، ولكن الوضع قد تغير منذ ذلك التاريخ. أما الخطابات الأدبية والفلسفية فمازالت تعتمد هذه الصيغة، صيغة المؤلف .هذا الاعتماد في نظر فوكو يتجاهل الوظائف الاجتماعية للمؤلف، وتورطه في شبكة العلاقات الاجتماعية. صحيح أنه من العبث إنكار الفرد الكاتب المبدع، لكن المؤلف يحقق وظيفة اجتماعية، هدفها الحد من سلطة الخطاب، بواسطة لعبة الهوية، التي تتخذ شكل الفردية وشكل الأنا.

إن موقف فوكو من المؤلف، قريب من موقف "بارط" الذي أعلن عن : " موت المؤلف" باسم النص. حيث يرى أن المؤلف شخصية حديثة النشأة، ووليدة المجتمع الغربي، وبالرغم من كونها جديدة، إلا أن بعض الكتاب حاولوا خلخلتها، أمثال "مالارميه" الذي دعا إلى إحلال اللغة محل من كان، يعد مالكها. (فاللغة في رأيه كما في رأينا [رأي بارط] هي التي تتكلم وليس المؤلف، أن أكتب معناه أن أبلغ، عن طريق محو أولي شخصي...تلك النقطة التي لا تعمل فيها إلا اللغة، وليس "أنا")14. ومن دون شك، فإن الموقف من المؤلف سواء عند فوكو أو "بارط" أملته التأثيرات البنيوية ومفهومها للغة، وموقفها من الذات، ذلك الموقف الذي عبر عنه بقوة "ليفي ستراوس" ولقي استحسانا كبيرا عند فوكو.

.3

- 15Foucault, Michel : L’ordre du discours.- Op.cité.- p. 32.
- 16Ibid.- p. 33 .

الفرع المعرفي : يعمل هذا الإجراء كذلك على الحد من سلطة الخطاب، وذلك بفرضه لمجموعة من المعايير، على انتماء القضايا إلى حقله، أو إبعادها عن مجاله، فهو يعكس بصورة من الصور إرادة الحقيقة. فلكي تنتمي قضية ما إلى فرع معرفي، فإنه :(يتعين عليها أن تسجل نفسها ضمن أفق نظري معين...وأن تستجيب لمتطلبات معقدة وثقيلة حتى تستطيع أن تنتمي إلى مجموع فرع معرفي ما، يتعين عليها أن تكون -و كما يقول كانغيليم- واقعة (ضمن الحقيقي)، قبل أن يستطيع القول بأنها حقيقية أو خاطئة)15.

والمثال الذي يتخذه دليلا على هذا، هو نظرية الوراثة عند "مندل Mendel" الذي كان يقول الحقيقة، ويستخدم منهجا علميا في التحقيق، ولكن نظريته لم تلق القبول والموافقة، بل اعتمدت نظرية أخرى لا علمية ولا حقيقية هي نظرية "شليدنSchleiden" ، لأنها كانت تندرج في الخطاب البيولوجي لعصره، ولأنها تجسدها إرادة الحقيقة، القائمة في تلك المرحلة. و معنى هذا أنه لا يكفي قول الحقيقة كما هو الحال عند "مندل" وإنما لكي يتحقق الخطاب وجب أن يتوفر

على إرادة الحقيقة، وعليه فإن إرادة الحقيقة والفرع المعرفي يشكلان معا مبدءا لمراقبة عملية إنتاج الخطاب. إن : (الفرع المعرفي مبدأ لمراقبة عملية إنتاج الخطاب، فهو يعين له حدودا بواسطة لعبة هوية تأخذ شكل بعث دائم للقواعد)16.

17وهنالك مجموعة ثالثة، تختلف عن المجموعتين السابقتين، ولا تبحث في آليات التحكم في الخطاب، ولا في سلطته ولا في الحد من ظهوره، بل تحدد شروط استخدام الخطاب، وتفرض قواعد على الأفراد الذين يستخدمونه، ويمكن تسميتها بإجراءات الاستخدام والتوظيف .

جـ. إجراءات الاستخدام والتوظيف

- 17 - Ibid.- p. 39.

18يعرف فوكو هذه المجموعة بقوله : (في هذه المرة يتعلق الأمر بالتقليل من عدد الذوات المتكلمة، لن يدخل أحد في نظام الخطاب إذا لم يكن يستجيب لبعض المتطلبات، أو إذا لم يكن مؤهلا للقيام بذلك، منذ البداية. و بدقة أكبر : ليست كل مناطق الخطاب مفتوحة بنفس الدرجة، وقابلة للاختراق بنفس الدرجة : فبعضها محروس وممنوع علانية...في حين أن البعض الآخر يبدو مفتوحا تقريبا أمام كل الرياح...)17. وتتكون هذه المجموعة من إجراءات ثلاث هي :

1. جمعيات الخطاب أو جماعات الخطاب "Sociétés de discours" مهمتها الحفاظ على الخطاب، وعلى تداوله في نطاق ضيق، وجعل مجاله مغلقا قدر الإمكان، كالأسرار التقنية أو التكنولوجية والعسكرية و الاقتصادية.
2. المذاهب الدينية والسياسية والفلسفية "Doctrines PH,R ,P" : على عكس جمعيات الخطاب، يميل المذهب إلى الانتشار، والقاعدة الأساسية التي يعمل بها هي الاعتراف بنفس الحقائق، وهو ما يحقق الانتماء المذهبي. وأما ما يخالف المذهب فيعتبر بدعة، لذلك تعتبر المذاهب شروط وحدود لتداول الخطاب وتعميم لوظائفه داخل المذهب الديني او الفلسفي او السياسي، وهدفه إخضاع الذوات والجماعات المنتمية لخطاب المذهب.
3.

- 18Ibid.- p. 48.

التملك الاجتماعي للخطابات "L'Appropriation Sociale des discours" :تعتبر التربية والتعليم الأداة الأساسية التي تمكن من امتلاك الخطاب، وأي نوع من أنواع الخطاب، إلا أنه وكما هو معروف، فإن المنظومة التربوية لا يمكن فصلها عن الإستراتيجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمجتمع معين. وفي كل الأحوال فإن جماعات الخطاب والمذاهب والتربية هي الأشكال الأساسية الكبرى التي تحدد وظيفة الخطاب وتداوله وملكيته متعاونة مع المنظومة الخارجية والداخلية في مراقبة الخطاب والحد من سلطته. و في نظر فوكو، فإن تحرير الخطاب ومحو الخوف الذي يبعثه في الذات والمؤسسة، يتطلب :(اتخاذ قرارات ثلاثة يقاومها فكرنا اليومي، وهي تقابل المجموعات الثلاث من الوظائف التي ذكرتها منذ لحظة : إعادة النظر في إرادتنا للحقيقة، إعادة طابع الحدث للخطاب، وأخيرا رفع سيادة الدال)18. وهو ما يسمح بالحديث عن مبادئ تحرير الخطاب و هي :

1. مبدأ القلب Renversement : ويعني التخلي عن مبدأ المؤلف والفرع المعرفي وإرادة المعرفة، والنظر في الخطاب كحدث.
2. مبدأ الانفصال أو عدم الاتصال Discontinuité : ويعني دراسة الخطابات كممارسات غير متصلة أي متقطعة، واستبعاد مبدأ الاتصال والاستمرار الذي ثبته التاريخ التقليدي أو التاريخ الكلي.
3. مبدأ الخصوصية Spécificité : ويعني عدم إدراج الخطاب في دلالات ومعان مسبقة، أو إدخاله في لعبة التأويلات اللامتناهية، بل أن ننظر إليه كحدث متميز وكممارسة خاصة.
4.

- 19Ibid.- p. 61.

مبدأ الخارجية Extériorité : يجب دراسة الخطاب من حيث الظاهر دون البحث في المعنى الخفي أو الدلالة الباطنية، أي دراسة ما يظهر من الأحداث وما يرسم لها من حدود19.

19وعليه فان ما يثبته التحليل السابق هو أن الخطاب ليس أداة في يد السلطة، ولا انعكاسا لها فقط، بل يشكل سلطة في ذاته وهو ما يشير إليه نص "إرادة المعرفة" من كون الخطاب ليس مقسما إلى خطاب مقبول أو مرفوض، بل أن المعرفة والسلطة تتمفصل في الخطاب، وأنه يجب النظر إلى الخطاب كمجموعة عناصر تعمل في إستراتيجيات مختلفة. لذلك لا يمكن لنا أن نقول مع "دريفوس" و"رابينوف" أن هنالك فقط بعض الأفعال الخطابية التي تنزع إلى أن تكون ذات سلطة، لما تملكه من جدية، لماذا؟ لأن الخطاب يشكل في مجموعه سلطة قائمة بذاتها، وإن كانت منطوقاته تتفاوت من حيث القوة والقدرة.

20كما لا يمكن أن نوافق على فهم "شريدان" القائل أن فوكو مع "نظام الخطاب" اكتشف مفهوم السلطة، لذلك غير منهجه لماذا؟ لأننا نرى أن فوكو قد حلل دائما الخطابات في علاقتها بالسلطة، دون أن نزعم أن مفهومه للسلطة قد تشكل وتبلور بشكل نهائي، بل نقول إن هذه الدراسات كانت مقدمة تجريبية لمفهوم السلطة وسلطة الخطاب، الذي يظهر فعلا بشكل واضح في "نظام الخطاب"، حيث تمت دراسته داخل حقل إستراتيجيات مختلفة وفي الوضعيات التي يحتلها .

21إن ما لم ينتبه إليه جل الباحثين في فلسفة فوكو، هو أن مفهوم الخطاب لا يمكن فصله عن مفهوم اللغة، وعن ذلك التمييز بين لغة جدلية ولغة غير جدلية، بين لغة خطابية وغير خطابية، حيث تمتاز اللغة غير الجدلية وغير الخطابية بالاختراق والتجاوز والتعدي، وبالطابع الوجودي، بينما اللغة الجدلية أو الخطابية أو الخطاب بصورة دقيقة يمتاز بتلك الخصائص التي حاولنا تحليلها، والتي تختلف عن مفهوم اللغة وإن كانت تلتقي معه في المرجع والطابع الوجودي، فاللغة والخطاب لا يمكن إرجاعهما إلى الذات أو إلى المؤسسة، بل يتميزان بوجود مغاير وهو ما سمح للبعض استنتاج العلاقة البنيوية في مفهومها للغة. ولكن وعلى عكس اللغة التي ارتبطت عنده بتجارب شخصية وفنية، وأدبية، فإن الخطاب ارتبط بالدراسة العلمية، أو

بلغة فوكو بالوضعية، لذا لا يجد أي حرج في أن يدرج في خانة الوضعيين، ألم يكن هدفه هو الكشف عن وضعية الخطابات وعليه يمكن القول انه عمل على :

1. تأسيس مفهوم جديد للخطاب لا يقوم على أصول ألسنية أو منطقية، بل يتشكل أساسا من وحدات سماها بالمنطوقات، هذه المنطوقات تشكل منظومات منطوقية، تسمى بالتشكيلات الخطابية، هذه التشكيلات تكون دائما في حقل خطابي معين، وتحكمها قوانين التكوين والتحويل.
2. على هذا الأساس يختلف الخطاب عن الجملة والقضية، كما يختلف التحليل الخطابي عن تحليل اللغة والتحليل المنطقي، ذلك أن تحليل الخطاب يعتمد على الوصف الأركيولوجي والتحليل الجنيالوجي، من أجل الكشف عن ندرة وخارجية، وتراكم وقبلية الخطابات، أو بتعبير دقيق يقوم على التحليل التاريخي للخطابات.
3. لا تعود مرجعية الخطاب إلى الذات أو إلى المؤسسة أو إلى الصدق المنطقي أو إلى قواعد البناء النحوي، وإنما إلى الممارسة. الممارسة الخطابية وغير الخطابية على أن لا نفهم العلاقة بين الممارسات على أساس السبب والنتيجة، وإنما على أساس العلاقة التبادلية.
4.

- 20 - للمزيد من الاطلاع على هذا الموضوع، انظر كتابنا : مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الاعلى (...)

إن تحليل الخطاب على هذا النحو، كشف عن سلطته وقدرته وفي نفس الوقت عن الآليات التي تحكمه وتحد من سلطته، كآلية المنع والرفض والقسمة وإرادة المعرفة وأشكال التملك والتمذهب...الخ. ولتحرير الخطابات من كل أصناف التأويلات والتحليلات الشكلية يقترح فوكو جملة من المبادئ، كالخصوصية والقطيعة والخارجية...إلخ، أي أن الخطاب مشروط بالصيرورة الاجتماعية ويشكل جزءا من المجتمع رغم ما يتميز به من قدرة وإمكانيات20.

ثانيا – من سلطة الخطاب و اللغة إلى السلطة

22ينتمي بورديو للجيل الناقد للوجودية والظواهرية، جيل"التوسير" و"بارط" و"فوكو" و "دلوز" و"دريدا"، أي ذلك الجيل الذي اهتم بالمفهوم و اللغة و تاريخ العلوم والابستمولوجيا، وكانت خلفيته العلمية تستمد قوتها من أبحاث "باشلار" و"كويري" و"كفايي "و "كونغليم"، من هنا فان المقاربة المنهجية المقدمة من قبل بورديو تجد خلفياتها العلمية في المدرسة الابستمولوجية الفرنسية بالإضافة إلى علماء الاجتماع كـ"ماركس" و "ماكس فيبر" و" دوركايهم" و" ليفي ستروس" وغيرهم، وهي خلفية ساعدته على طرح جديد ليس فقط لعلاقة الفلسفة بالعلوم الاجتماعية بل مكنته من تقديم منظور جديد للكثير من المسائل الفلسفية والاجتماعية، وخاصة في موضوع اللغة الذي سنحاول تقديم الملامح العامة لوجهة نظره.

- 21 - بورديو، بيار : بين كارل ماركس وماكس فيبر، حوار مع بيار بورديو .- في الفكر العربي المعاصر، عدد37، (...)

23لقد ساهمت أعمال ليفي ستروس في إعادة الاعتبار والاحترام للعلوم الإنسانية وخاصة بعد صدور الأنثروبولوجية البنيوية والفكر المتوحش، و دعوته إلى استلهام النموذج الالسني كما صاغه "دي سوسير" و "جاكبسون" و"حلقة براغ" عموما، ثم لحقتها جهود "فوكو" في

الاركيولوجيا و"دريدا" في الغراماتولوجيا و"بارط" في السيميولوجيا. على أن بورديو رغم الأهمية التي أعطاها لفلاسفة وعلماء جيله إلا انه ترك مسافة ما بينه وبينهم، مسافة تنم عن عدم الرضا والتحفظ، فهو يرى إن هذا الجيل الذي تلا الوجودية : ((صحيح انهم أحدثوا قطيعة مع الفينومينولوجية السارترية والنزعة الانسانوية الهشة أو المجردة والمثالية، ولكنهم انضموا نصف انضمام الى المنهجية الابستمولوجية واعتنقوها نصف اعتناق))21. وان عيب الفلاسفة يتمثل في الابتعاد عن الميدان والحياة العملية.

- 22 -المرجع نفسه.- ص.68.

24والنص الموالي يبين حجم وعمق المشكلات التي طرحها هذا الفيلسوف العالم، يقول : ((سوف تتخيلون إنكم في درس فلسفة لا في درس علم اجتماع. ولكن أرجو أن تعرفوا أن ما افعله ليس عملا نظريا بحتا، و إنما هو عمل نظري يجيء بعد انتهاء المعركة، أي بعد القيام بالبحوث الميدانية والتطبيقية ...كان السؤال الأساسي الذي طرحناه هذا العام يخص العلاقة بين السلطة والمعرفة... وقد رأيت انه يجب تجاوز التضاد التقليدي المعروف بينهما ... أريد أن أتجاوز ذلك لابين أن هنالك سلطة للنظرية، أو سلطة نظرية... لقد قمت بهذا التمرين النظري كعالم اجتماع وباحث ميداني، وحاولت تحديد قوانين السلطة النظرية و آليات اشتغالها : ...وهذا ما ينساه الفلاسفة عموما، لأنهم يفكرون دائما بمصطلحات الجواهر الخالصة))22. يطرح هذا النص الأسئلة الكبرى في كل علاقة ممكنة بين الفلسفة والعلوم الاجتماعية، انه يطرح علاقة النظرية بالممارسة وكيفية تحققها، كما يطرح مسالة العلاقة بين العلم والسياسة ومكانة العلم بوصفه سلطة، ومساهمة العلوم الاجتماعية في تحليل هذه القضايا مقارنة بالفلسفة، وعلاقة المعرفة والسلطة كما طرحتها كتابات ميشيل فوكو.

25و للخروج من الطريقة الفلسفية كما وصفها آنفا، يعلن بورديو انتماؤه إلى المنهجية المادية، ولكن ليس أية مادية و إنما المادية الناشطة وليس المادية السلبية، و بذلك يعيد أطروحة ماركس التي يعيب فيها على الماديين الذين تركوا الجانب النشط في المعرفة للمثاليين، وهذا ما يحاول بورديو انه يقيمه من خلال نظريته القائمة على : ((مادية الأشكال الرمزية)). وانه من اجل أن تعرف الذات موضوعها بشكل صحيح يجب أن تجاوز مرحلة النظر إلى مرحلة العمل، وان تدخل في الممارسة الميدانية، من هنا ممارسته للبحث الميداني في اكثر من عشرين وسطا اجتماعيا مختلفا.

- 23 -المرجع نفسه.- ص.70.

26ولقد انتقد بورديو البنيوية،و بين محدودية الطريقة البنيوية، رغم إقراره بأهميتها وخاصة في مسالة اللغة وطريقة معاملتها للأساطير والرموز، قائلا : ((ولكن على الرغم من ذلك جاء وقت أحسسنا فيه بالحاجة لأحداث القطيعة مع الاثنروبولوجيا البنيوية وليفي ستراوس بالذات. ذلك أن ليفي ستراوس قد حصر عمله فقط بتحليل الأنظمة الرمزية وخصوصا الأساطير، أي بالتصورات الفوقية. أما نحن فقد لزم علينا أن نذهب إلى ابعد من ذلك لكي نحلل العلاقات الاجتماعية بصفتها متماسكة وذات دلالة. بمعنى آخر فلقد نقلت البنيوية من مستوى التصورات

والأساطير والمخيال إلى مستوى الممارسات الواقعية والعلاقات الاجتماعية. يوجد فضاء اجتماعي للعلاقات التي تشكل تصوراتها أو التصورات المشكلة عنها التعبير الرمزي)).23

- 24 - المرجع نفسه.- ص.72.

27وفي الوقت الذي انتقد فيه بورديو البنيوية كما صاغها ليفي ستروس، فانه تقرب من فوكو وخاصة في مسالتين أساسيتين هما تحليل المعرفة والسلطة وتحليل اللغة أو الخطاب. ولأننا سنعالج المسالة الثانية بقليل من التفصيل لاحقا، فإننا نريد أن نشير باختصار إلى مسالة المعرفة- السلطة ، كما بينها في هذا النص الذي يقول فيه : ((إن موقفي، في خطوطه العريضة، قريب إلى حد كبير من موقف فوكو، ومع ذلك فهو مختلف جدا؟ لقد حاولت أن احلل منطق وآلية ما كنت قد أسميته بالسلطة الرمزية le pouvoir symbolique، أي السلطة التي تمارس نفسها على هيئة القدرة التي تجعلنا نرى أو نفهم أو نعرف أو نؤمن. وانطلاقا من ذلك يمكننا أن نتحدث عن السلطة النظرية أو سلطة النظرية إذا ما أعطينا لكلمة النظرية معناها الايتمولوجي الأصلي : أي **برنامج الرؤية.** كيف تمارس هذه السلطة دورها؟ كيف تمارس عملها؟ هنا ندخل في منطقة المعرفة/ الجهل، أو المعرفة/ واللامعرفة. ذلك أن السلطة الرمزية هي سلطة تعسفية في الأصل، ولكن الناس يعترفون بشرعيتها لأنهم يجهلون أنها تعسفية. وهذا هو الحال فيما يخص نظام الشهادات مثلا في مجتمعنا الحالي.(...) في الواقع أن السلطة ليست شيئا متموضعا في مكان ما، و إنما هي عبارة عن نظام من العلاقات المتشابكة، ونجد أن كل بنية العالم الاجتماعي (=المجتمع) ينبغي ان تؤخذ بعين الاعتبار من اجل فهم آليات الهيمنة والسيطرة))24. ولقد بلورة بورديو مفهوما أساسيا في تحليل السلطة و السلطة الرمزية بالخصوص وهو الرأسمال الرمزي le capital symbolique.

- 25 -المرجع نفسه.- ص.73.

28قلنا في الفقرة السابقة أن بورديو قد انتقد التمشي البنيوي على مستوى الأنثروبولوجية، هذا النقد في الحقيقة ينسحب بشكل أساسي على طريقة التحليل البنيوي للغة والخطاب والنص، وهو نقد طال بشكل أساسي لسانيات "دي سوسير" و" شومسكي "و مدرسة "اكسفورد" في تحليل أفعال الكلام أو الخطاب و مدرسة "فرانكفورت" وممثلها "هابرماس" في نظريته حول الفعل التواصلي، وهو نقد نقرؤه في مجموعة من الكتب أهمها : "Questions de sociologie" و " dites Chose " و "Ce que parler veut dire" و " Langage et pouvoir symbolique"، نقد يقربه من فوكو و في نفس الوقت يبين تميزه عنه وعن التيار الذي يسمى بما بعد البنيوية و بما بعد الحداثة، يقول : (ليس التحليل البنيوي إلا تنويعا محدثا على التحليل الداخلي القديم الذي يعالج النص كشيء مستقل لا علاقة له بالخارج. (...) اعتقد فيما يخصني انه ينبغي الربط بين الفضاء الذي تتموضع فيه النصوص وبين الفضاء الذي يتموضع فيه المنتجون (أي الكتاب))25.

- 26 - المرجع نفسه.- ص.73.

29من هنا دعا إلى أحداث قطيعة مع القراءة الداخلية كما طبقها ليفي ستروس، والقراءة التي تربط بين الأثر وكاتبه بشكل مباشر، واعتبار النص مجرد انعكاس لحياة الكاتب الشخصية(

منهجية لانسون). و كذلك مع ما يسميه بالطريقة الاختزالية التي تجعل من الأثر انعكاس مباشر للمجتمع أو طبقة معينة (غولدمان على سبيل المثال) ليدعو إلى اعتماد ما سماه بضرورة الكشف عن : (بنية العلاقات بين نصوص فترة زمنية محددة(وليس نصا معزولا بمفرده) وبين بنية المواقع التي يحتلها مؤلفوها داخل الحقل الأدبي)26. و هذا ما سماه فوكو في اركيولوجيا المعرفة، بدراسة التشكيلة الخطابية لحقبة تاريخية معينة، و دراسة بنية النص والمواقع تؤدي إلى الحديث عن مختلف الوسائط التي تتحكم في عملية الإنتاج الثقافي.

- 27 - المرجع نفسه.- ص.74.
- 28 - المرجع نفسه.- ص.77.
- 29 - المرجع نفسه، ص 74.

30بمعنى الاعتراف بالفضاء الخصوصي الذي ينتج فيه الكتاب أعمالهم، دون عزله عن الفضاء الكبير الذي هو المجتمع. أي أن بورديو يعترف بخصوصية الفضاء الثقافي و صراعاته و رهاناته وانه ليس فقط انعكاس آلي أو مباشر للمجتمع. فمصالح الفضاء الثقافي قد لا تكون هي نفس مصالح الفضاء الاجتماعي أو على الأقل قد تكون مصالح مختلفة. من هنا ضرورة تحليل الأثر الثقافي : (لذاته وبذاته قبل أن نربط بشكل عمومي وغامض بين الأعمال الأدبية والتشكيلات الاجتماعية الكبرى)27. أو كما يقول في مكان آخر : (الشيء الذي يفرق منهجيتي عن منهجية هؤلاء هو أنني أدرس عناصر اللعبة التي تتولد فيها المصالح الخاصة للمثقفين والاهتمام الجزئي بمصالح الآخرين معا. إن مصالح المثقفين داخل الحقل الثقافي الخاص بهم لا يمكن أن تختزل إلى مجرد مصالح طبقية)28. لكن بورديو يعترف بان هذه المنهجية تواجه عقبا ت معرفية متصلة بتفسير الموهبة والإبداع والعبقرية، مؤكدا على أن هذه المفاهيم قبلية، تحول دون فهمنا من أن :(المبدع مهيأ سلفا عن طريق أوضاعه الاجتماعية الخاصة والملائمة لكي يحتل موقعا محددا داخل حقل ما. وغالبا ما يكون هذا الموقع غامضا في البداية)29.

31وإذا ما تصفحنا كتابه الأساسي الخاص باللغة" ماذا يريد الكلام ان يقول "، فأننا نجده ومنذ الصفحة الأولى يناقش مختلف أشكال السيطرة التي يمارسها النموذج اللساني على العلوم الاجتماعية، وهو في هذه السياق قريب من حساسية فوكو من اللسانيات البنيوية، مبينا أن الحل الوحيد يتمثل في إظهار انه حتى العمليات اللغوية ذات أساس اجتماعي. وفي نظره فان القبول بنموذج دي سوسير في التحليل يعني معالجة العالم الاجتماعي بوصفه فضاء للتبادل الرمزي وبالتالي اختزال الفعل الاجتماعي إلى فعل الحوار او التواصل، الذي يجب أن ينحل بدوره إلى اللغة والثقافة.

- 30 - Bourdieu, Pierre : Ce que parler veut dire, *l'économie des échanges linguistique.- Paris*, Ed. Faya (...)
- 31 - Ibid.- p. 16

32وللقطع مع هذه الفلسفة الاجتماعية، ـ كما يقول، ما دام قد سبق له وان قدم نقدا ابستمولوجيا للبنيوية في كتابه "الحس العملي" ـ فانه يجب التأكيد على أن التبادل والتواصل يرتكز على علاقات قوى، داعيا في نفس الوقت إلى تجاوز النظرة الاقتصادية الفجة لأشكال التبادل الرمزي، مقدما مفهومه الأساسي في التحليل اللغوي وهو بنية السوق اللغوية structure du

marché linguistique فالنحو لا يحدد المعنى بقدر ما يحدده السوق، السوق اللغوي. وان الرسالة اللغوية لا تفهم ألا بوصفها نتاج لساني، و أن التأويلات تكون على قدر العلاقة التي يقيمها المنتجون. من هنا يعتقد أن (السوق ـ السوق اللساني ـ يساهم في القيمة الرمزية وفي معنى الخطاب معا)30. ولكن ما ذا يقصد بالسوق اللغوية ؟ يقول : (توجد السوق اللغوية عندما ينتج شخص ما خطابا موجها لمتلقين قادرين على تقييمه وتقديره ومنحه سعرا معينا. والسوق اللغوية شيء ملموس جدا ومجرد جدا في آن واحد. فمن الناحية الواقعية، تعتبر السوق وضعية اجتماعية رسمية مطقسنة إلى هذا الحد او ذاك، أنها بمثابة مجموعة من المتحاورين الذين يشغلون مناصب عليا إلى هذا الحد او ذاك في سلم التراتب الاجتماعي)31 .

- 32 - Bourdieu, Pierre : Questions de sociologie.- Paris, Ed. Minuit.- p. 124.
- 33 - Ibid.- p. 125.

33يتصل مفهوم السوق اللغوية بمفهوم الرأسمال اللـغويle capital linguistique الذي يعوض بوجه من الوجوه، الكفاءة اللغوية، وهو ما يعني وجود أرباح لغوية... وعليه فيمكن (للغة أن تقوم بالوظيفة التي يعتبرها اللغويون محايثة لها، أي الوظيفة التواصلية، دون أن تتوقف عن القيام بوظيفتها الحقيقية، أي الوظيفة الاجتماعية، فوضعيات علاقات القوة اللغوية هي الوضعيات التي يمكن فيها الكلام دون تحقيق التواصل. كحالة القداس مثلا)32. فمثلا : يكون للصراعات الدائرة بين الناطقين بالفرنسية والناطقين بالعربية في عدد من الدول العربية التي كانت تخضع للاستعمار الفرنسي سابقا، : (دوما بعد اقتصادي بالمعنى الذي أعزوه لهذه الكلمة، أي أن المالكين لكفاءة معينة يدافعون على يمتهم الخاصة كمنتجين لغويين من خلال الدفاع عن سوق معينة تلائم منتوجاتهم اللغوية الخاصة)33. أي أن النظرية التي يقترحها، بورديو تسمح لنا بفهم انه يمكن ألا تكون للصراعات اللغوية قواعد اقتصادية واضحة، ولكنها تتضمن فوائد حيوية للغاية تكون أحيانا اكثر حيوية من الفوائد الاقتصادية بالمعنى الضيق.

- 34 - Ibid.- p. 20.

34ولكن، إذا كانت اللغة تخضع للسوق اللغوية ويحكمها الرأسمال اللغوي بوصفه رأسمالا رمزيا، فان مشكلة الأسلوب Le style، بما هي دليل على حضور الفرد وتميزه، ذلك أن ما يتحرك في السوق اللغوية ليس اللغة ولكن خطابات متميزة أسلوبيا، سواء في طريقة إنتاجها أو منتجيها أو مستقبلها. فليس هنالك من كلمة محايدة، وكل كلمة يمكن أن تأخذ معاني متعارضة أو متضادة أو متناقضة، وذلك بحسب ما يقدمها المرسل ويستقبلها المستقبل. واحسن مثال على ذلك هو اللغة السياسية والدينية. إن هذه الاختلافات اللغوية لا ترجع في نظره إلى أفراد ولكن إلى بنية الفضاء الاجتماعي الذي يكون لاشعوريا وبنية الفضاء الثقافي لقائلي تلك اللغة. ولكن هذا لا يمنع من أن على علم الاجتماع أن يحترم استقلالية اللغة و منطقها الخاص و قواعدها الذاتية في العمل34. فنحن لا نستطيع فهم الأثر الرمزي للغة ما لم نأخذ بعين الاعتبار الفكرة القائلة إن اللغة هي الآلية الصورية الأولى التي تملك قدرات عامة و لامتناهية. إذ من الممكن أن نتلفظ بكل شيء في اللغة، ولكن في حدود نحوها.

35إذا كان بورديو قد طور قاموسا خاصا به في التحليل مثل مفهوم الحقل، والحقل اللساني، والرأسمال الرمزي، و السلطة الرمزية، والسوق اللغوية والرأسمال اللغوي ...الخ، فأننا نريد أن نتوقف بشكل خاص عند مفهوم سلطة الخطاب وخطاب السلطة. أي ما يجمعه بميشال فوكو، حيث نجده ينتقد أطروحة "اوستين" التي تعطي سلطة لبعض للـكلمات كما طرحها في كـتــابــه" faire Quand dire c'est" أو " How to do things with words "، كما رفض ذلك التمييز "الساذج" ـ كما يقول ـ الذي أقامه دي سوسير بين اللسانيات الداخلية والخارجية، بين اللغة واستعمالاتها من قبل مستعمليها، نافيا فكرة سلطة الكلمات، معترفا بان القوة الخطابية للعبارات لا تكمن في نفس الكلمات. وان كان هنالك حالات استثنائية فقط تختزل التبادلات الرمزية إلى علاقات تواصلية محضة. إن سلطة الكلمات ليس اكثر من السلطة المفوضة لناطقها، وان كلماته، أو مادة خطابه، ليست اكثر من شهادة من بين شهادات أخرى، لضمان التفويض الذي يتم استثماره.

- 35 - Ibid.- p. 105.
- 36 - Ibid.- p. 106.

36يقول : (فليست سلطة الكلام ألا السلطة الموكولة لمن فوض إليه أمر التكلم والنطق بلسان جهة معينة. والذي لا تكون كلماته (أي محتوى خطابه و طريقة تكلمه في ذات الوقت) على اكثر تقدير، إلا شهادة، من بين شهادات أخرى، على ضمان التفويض الذي أوكل للمتكلم (وان) أقصى ما تفعله اللغة هو أنها تمثل هذه السلطة وتظهرها و ترمز إليها)35. فليس هنالك سلطة الخطاب هنالك فقط خطاب السلطة، وان هذا الخطأ ـ في نظره ـ وقع فيه اوستين ولحقه في ذلك هابرماس، وذلك عندما اعتقدا انه من الممكن أن يستخرجا من الخطاب ما يشكل فعالية الخطاب36. إن هذا التحديد يتفق و يختلف في نفس الوقت مع فوكو، فإذا كان فوك يعتبر أن للخطاب سلطته الخاصة وذلك من منطلق فلسفي وجودي، ينحو منحى نيتشه وهيدغر، فانه لا يفصل الخطاب عن السلطة والمجتمع معا، وهو ما بينه في مختلف الإجراءات الخارجية أي : (عمليات المنع والقسمة والرفض وإرادة المعرفة) والداخلية أي : (التعليق والمؤلف والفرع المعرفي) والتوظيف أي : (جماعات الخطاب والمذاهب الدينية السياسية والفلسفية و التملك الاجتماعي للخطاب) والتي تحدث عنها في "نظام الخطاب" وبيناها في العنصر الأول من هذه الدراسة، وإذا كان فوك يقر بأهمية تحديد اوستين للملفوظ او للمنطوق، فانه يختلف معه في طريقة التحليل، تلك الطريقة التي تجد مجال تحققها في التاريخ وفي ربطها للملفوظ بالسلطة مع مفهوم جديد وخاص لها. من هنا فان فوكو وان كان تحليله للخطاب يتفق ومضمون المنطوق كما صاغه اوستين إلا أن منهج التحليل يختلف لأنه يجري في البعد التاريخي وفي إطار العلاقة بين المعرفة والخطاب والسلطة والخطاب، وبذلك يتفق مع تحليل بورديو الذي يلح على الطابع الاجتماعي للخطاب وعلى ارتباطه بالمؤسسة وبالسلطة الرمزية. هذه السلطة الرمزية التي لا يمكن أن تتحقق في غياب الاعتراف الذي يدلي به الخاضع لتلك السلطة.

- 37 - Bourdieu, Pierre : Ce que parler veut dire, l'économie des échanges linguistique.- *O*p. Cité.- p. (...)

37ولكن تحليل الخطاب عند بورديو لا يمكن أن يكون تحليلا لذاته، أي لذات الخطاب، وهو ما يفرقه عن فوكو، لان الوحدات الصورية للخطاب لا تقدم معناها إلا إذا تم ربطها بالشروط الاجتماعية لإنتاجها، بمعنى للمكانة و الوضع الذي يحتله مؤلفوها في حقل الإنتاج، ومن جهة أخرى إلى السوق الذي انتج من اجله، و كذلك الاستحقاقات les echéants المطلوبة. يقول ((إن علم الخطاب بوصفه تداولية اجتماعية يوجد اليوم في مكان شاغر أو غير مشغول، رغم أن هنالك من سبق إلى ذلك لقد بدا مع بسكال في *Provinciales* و نيتشه في *antéchrist* و ماركس في*Idéologie allemande*، ويهتم أو يعمل فعليا على الاكتشاف في الوحدات الأكثر صورية للخطاب، أثار الشروط الاجتماعية لإنتاجها و توزيعها))37. وعلى التحليل أن يبين أو يعين الوحدات الاجتماعية للأسلوب والوحدات الاجتماعية للمؤلف، أي إلى " لسانيات اجتماعية" كما قال بذلك" كوبال و غاردان" في قراءتهما لفوكو.

- 38 - Ibid.- p. 109.
- 39 - Ibid.- p. 115.

38يقول بورديو، مستخلصا النتائج القصوى لتحليلاته، ما نصه : (نتبين الآن أن جميع المجهودات التي بذلت لترى في المنطق اللغوي الذي يتحكم في مختلف الأشكال الاستدلالية والبلاغية والأسلوبية، سبب الفعالية الرمزية لتلك الأشكال، لابد وان تبوء بالفشل ما دامت لا تقيم علاقة بين خصائص الخطاب وصفات من يلقيه وسمات المؤسسة التي تسند إليه أمر الإلقاء)38. فعلى سبيل المثال أن خطابا سلطويا كدرس الأستاذ و خطبة الواعظ الديني، لا يفعل فعله ألا شريطة أن يعترف به كخطاب نفوذ وسلطة. وهذا الاعتراف الذي يصاحب بالفهم أو بدونه، لا يتم بيسر وسهولة إلا ضمن شروط خاصة، وهي الشروط التي تحدد الاستعمال المشروع (فالخطاب ينبغي إن يصدر عن الشخص الذي سمح له بان يلقيه، أي عن هذا الذي عرف، واعترف له، بأنه أهل لان ينتج فئة معينة من الخطابات وانه كفء و جدير بذلك ...كما انه ينبغي أن يلقى في مقام مشروع، أي أمام متلقي شرعي... وأخيرا ينبغي للخطاب أن يتخذ الصورة الشرعية القانونية أي إن يخضع لقواعد النحو والصرف...)39.

- 40 - Ibid.- p. 119.

39وعليه فان القاعدة النظرية التي ستشكل منهج تحليل الخطاب عند بوردية :هي انه (لا تحكم لغة السلطة وتأمر ـ كما يقول ـ إلا بمساعدة من تحكمهم، أي بفضل مساهمة الآليات الاجتماعية القادرة على تحقيق ذلك التواطؤ الذي يقوم على الجهالة، والذي هو مصدر كل سلطة)40. لذا يدعو إلى ما يسميه "تداولية اجتماعية une pragmatique sociologique" ومضمونها انه مادامت اللغة لا تتضمن في ذاتها سلطة، وان كانت تتضمن في ذاتها وفي منطقها الداخلي ما يؤدي إلى تجاوزات السلطة الذي هو البرهان الخاطئ أو القياس الخاطئ le paralogisme، أي القدرة على التضليل وهو ما ينسب إلى السفسطائيين كما ذهب إلى ذلك أفلاطون، السوفسطائيون الذين استفادوا من إمكانية أن اللغة قادرة على أن لا تقول شيئا وان تقول اللامعنى أو أن توجد في الكلمات وبواسطة الكلمات ما لا يوجد في الواقع. نعم للغة هذه الإمكانية ولكن، وباستثناء هذه الإمكانية، فان للغة وجودا اجتماعيا، وسلطتها مستمدة من ذلك

الوجود، وحتى اللغة السوفسطائية مستمدة من قوة السوفسطائيين ،كما بين ذلك مرة أخرى أفلاطون.

40وأن نظام التسمية و عبارة : أننا نسميك دكتورا،على سبيل المثال، تعني التسمية وفي نفس تعني شكلا من الوجود الاجتماعي. مما يعني أن القياس الخاطئ لا يمكن محاربته فقط بقياس منطقي، وإنما بإظهار خطئه اجتماعيا. صحيح انه في العالم الاجتماعي الكلمات بإمكانها أن تصنع الأشياء ولكن هذا لا يتم إلا وفق شروط معينة. وهو ما يعني أن العلم الاجتماعي له أسبابه ومبرراته التي لا يعرفها المنطق نفسه، وانه لمن المفيد أن نحاول تبرير فعالية شكل معين من العبارة كالخطاب السياسي او الأثر الأدبي افضل من هذه الوحدات الصورية.

41من الواضح أن المفاهيم المستعملة من قبل بورديو ذات منشأ اقتصادي إلا أنها مكيفة لتحليل الحقول التي هي ليست اقتصادية بالمعنى الحصري للكلمة. ولكن من دون شك، فإنها النقطة التي تؤدي إلى سوء الفهم وخاصة النظر إلى نظريته بوصفها نوعا من الاختزال الاقتصادي. على انه إذا كان استعماله للمفاهيم الاقتصادية يمكن أن يطرح بعض المشاكل فان فكره من التعقيد ما يبعد عنه شبه الاختزال. ذلك انه لا يقوم برد لجميع الحقول الاجتماعية إلى الاقتصاد و لا كل الممارسات الاجتماعية إلى الاقتصاد كما تفعل الماركسية، ولكنه بالعكس يحدد الاقتصاد بالمعنى الحصري للكلمة بوصفه حقلا من بين حقول متعددة التي لا ترد الواحدة إلى الأخرى. وعليه فان الحقول التي لا تكون اقتصادية لا يمكن أن تعمل وفقا لمنطق اقتصادي أي محكومة فقط بالناحية المالية. ولكن من الممكن أن تخضع إلى المنطق الاقتصادي بالمعنى الواسع وذلك إذا توجهت نحو الزيادة في رأسمال معين كالرأسمال الثقافي أو الرمزي. وهو ما يعني أن بورديو يقيم علاقة بين الأفعال والمصالح بين ممارسات الفاعلين والمصالح، دون الإقرار بالضرورة أن هذه المصالح اقتصادية بحتة. فإذا ما أردنا أن نعرف المصالح التي يلعب بها او هي موضوع رهان في الإنتاج الأدبي أو الفني فيجب تشكيل الحقل الفني في علاقته بالحقل الاقتصادي والسياسي الخ.

42و لا تخرج نظريته في اللغة والخطاب والتبادل اللغوي عن نظريته في الممارسة. فالمنطوقات والعبارات اللغوية هي أشكال من الممارسة، وهي وجهة نظر قريبة من فوكو الذي يتحدث دائما عن الممارسات الخطابية والممارسات غير الخطابية، وبوصفها كذلك يجب فهمها على أنها نتاج العلاقة بين المظهر اللغوي والسوق اللغوية. فالمظهر اللغوي هو مجموعة من الإجراءات المكون للمظهر اللغوي مثل عمليات تعلم اللغة في سياقات معينة كالأسرة والمدرسة. وان المظهر اللغوي مغروس في الجسد ذاته كالصوت مثلا او ما يسميه بالأسلوب في التلفظ. طبعا أن مثل هذه الآثار قد تم دراستها من قبل علم اجتماع اللغة و الانتربولوجيا اللغوية والمهتمون باللغات الشعبية أي ما يدخل في باب الجغرافيا اللغوية. وان أشكال النطق لا تلحق الجسد ولكن تلحق كذلك الطبقات والفئات الاجتماعية. فالنطق عند الفئات الشعبية يختلف عنه عند الفئات الأرستقراطية أو الثرية وكذلك الحال بالنسبة للريف والمدينة.

- 41 - Ibid.- p. 116.

43إن الملفوظات والعبارات اللسانية يتم إنتاجها دائما في سياقات وأسواق خاصة. وان هذه الأسواق تعطي لهذه المنتوجات اللغوية قيمة. والقيمة تخضع بالطبع لمبدأ الكفاءة العملية، وهو مبدأ غير متساوي يخضع لعملية الرأسمال اللغوي. وان كان الرأسمال اللغوي يؤدي إلى الرأسمال الاقتصادي والثقافي. وانه كلما كان رأسمال المتحدث مهما، كلما كان هذا الأخير له المقدرة في استغلاله لصالحه، أي أن هنالك نظام التفارق أو الاختلافات، وضمان بالتالي للمصلحة في التميزprofit de distinction. كما يربط اللغة كذلك بمسالة الرقابة واللغة الشرعية، ففي حديثة عن السلطة الرمزية يتحدث دائما عن الاعتراف والتجاهلreconnaissance et méconnaissance. يقول : ((فالخطاب ينبغي أن يصدر عن الشخص الذي سمح له بان يلقيه، أي عن هذا الذي عرف، واعترف له، بأنه أهل لان ينتج فئة معينة من الخطابات وانه كفء و جدير بذلك ...(كالقس أو [الإمام] والأستاذ والشاعر) كما انه ينبغي أن يلقى في مقام مشرع، أي إمام المتلقي الشرعي... وأخيرا ينبغي للخطاب أن يتخذ الصورة الشرعية القانونية (أي أن يخضع لقواعد النحو والصرف...) و هكذا فان ما يمكن أن نطلق عليه شروطا طقوسية، واعني مجموع القواعد التي تتحكم في شكل المظهر العمومي للسلطة ومراسيم الاحتفالات والقواعد التي تضبط الأعمال والتنظيم الرسمي للطقوس، لا تشكل إلا شرطا واحدا اكثر تجليا من بين مجموعة من الشروط التي أهمها هي تلك التي تهيئ للاعتراف أن يكون، في ذات الوقت تجاهلا وإيمانا، أي التي تهيئ لتسليم سلطة تعطي الخطاب المشروع قوته وتؤمن بنفوذه))41. إن هذه الشروط ليست بعيدة عن مجمل الإجراءات الخارجية والداخلية والوظيفية التي تحدث عنها فوكو.44وعليه فانه و بعيدا عن مسالة أسبقية اللغة عن المجتمع او الخطاب والسلطة التي تظل مسالة مطروحة، فان دراسة العلاقات المختلفة بينهما، ذات أهمية أساسية، وخاصة دراسة علاقة اللغة بالسلطة و بالفاعلين الاجتماعين، وتبدو لنا مساهمة فوكو و بورديو، ذات فائدة منهجية في تحليل مختلف المشكلات اللغوية والرمزية للمجتمع، وذلك من حيث الربط بين الخطاب والممارسة او ما يسميه فوكو بالممارسة الخطابية وغير الخطابية، وما يسميه بورديو بنظرية الممارسة. وعلى الرغم من الاختلاف في القيمة المعطاة للخطاب، حيث نلاحظ اهتمام فوكو بمكونات الخطاب ذاته على حساب اجتماعيته أو اقتصاديته إلا أن تحليلاته وخاصة للجريمة و الجنس قد بينت مدى الأهمية التي يعطيها للمجتمع، وكذلك فانه وعلى الرغم من إصرار بورديو على الطابع الاجتماعي والاقتصادي للغة، إلا انه بين آليات عمل بعض الخطابات وخاصة الخطاب الديني و السياسي والأيديولوجي و أكد على استقلالية الآليات اللغوية. كما أن الجانب الذي يجمع بينهما هو نقد التيارات الأساسية في اللسانيات وفلسفة اللغة، رغم دعوة كل وواحد منهما إلى نظرية خاصة، كدعوة فوكو إلى التحليل الاركيولوجي الجينيالوجي للغة والخطاب، ودعوة بورديو إلى تداولية اجتماعية للتبادل اللغوي، و ما يجمعهم كذلك، هو هذا الإحساس بضرورة نقد النموذج اللساني والعمل على إظهار آليات السلطة والمعرفة في كل خطاب ولغة. 45و إذا كان مجال تفكير وبحث فوكو هو التاريخ فان مجال عمل بورديو هو المجتمع، فان المشترك بينهما هو تحليل السلطة والمعرفة

والخطاب من منظور العلاقات والممارسات، سواء تلك الممارسات التجريبية التي حللها فوكو او الممارسات الاجتماعية للرأسمالي الرمزي التي درسها بورديو، وعليه نستطيع التأكيد على أن ما يجمع المقاربتين، على ما فيهما من خلاف واختلاف، هو النظر إلى اللغة والخطاب بوصفهما شكل من أشكال الممارسة الاجتماعية.

Notes

1 - فيركلو، نورمان : الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية، ترجمة رشاد عبد القادر،في، الكرمل، مجلة فصلية ثقافية،تصدر عن مؤسسة الكرمل الثقافية، العدد 64 صيف 2000.- ص.155.

2 - Foucault, Michel : L'archéologie du savoir.- Paris, Ed. Gallimard, 1969.- p. 156.

3 - ورابينوف، دريفوس ؛ فوكو، ميشيل : مسيرة فلسفية.- ترجمة جورج ابي صالح،مراجعة، مطاع صفدي،مركز الانما القومي، (ب-ت).- ص.47.

4 - Sheridan, Alain : Discours, Sexualité et Pouvoir.- Editeur Bruxelles, Initiation à Michel Foucault, Ed. Pierre Mardaga, 1980.- p. 142.

5 - Foucault, Michel : La volonté de Savoir.- Ed. Gallimard, 1976.- p. 133.

6 - Foucault, Michel : Réponse à une Question.- In Esprit, n° 371, 1968.- p.p. 861-862-864.

7 - Ibid.- p. 864.

8 - Coppalle, Daniel et Gardin, Bernard : Discours Du Pouvoir et Pouvoir(s) du Discours.- In La Pensée, N° 209, 1980.- p. 154.

9 - Foucault, Michel : L'ordre du discours.- Paris, Ed. Gallimard, 1971.- p. 10.

10 - Ibid.- p. 11.

11 - Ibid.- p. 12.

12 - Ibid.- p. 23.

13 - فوكو، ميشال : ما المؤلف ؟.- ترجمة فريق الترجمة بمجلة الفكر العربي المعاصر، العددان6-7 ،1980.- ص.116.

14 - بارط، رولان. : موت المؤلف في درس السميولوجيا.- ترجمة عبد السلام بنعبد العال، تقديم عبد الفتاح كيليطو.- الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، ط02، 1986.- ص.82.

15 - Foucault, Michel : L'ordre du discours.- Op.cité.- p. 32.

16 - Ibid.- p. 33.

17 - Ibid.- p. 39.

18 - Ibid.- p. 48.

19 - Ibid.- p. 61.

20 - للمزيد من الاطلاع على هذا الموضوع، انظر كتابنا : مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2000.

21 - بورديو، بيار : بين كارل ماركس وماكس فيبر، حوار مع بيار بورديو .- في الفكر العربي المعاصر، عدد37، 1985.- ص.66..

22 -المرجع نفسه.- ص.68.

23 -المرجع نفسه.- ص.70.

24 - المرجع نفسه.- ص.72.

25 -المرجع نفسه.- ص.73.

26 - المرجع نفسه.- ص.73.

27 - المرجع نفسه.- ص.74.

28 - المرجع نفسه.- ص.77.

29 - المرجع نفسه، ص 74.

30 - Bourdieu, Pierre : Ce que parler veut dire, *l'économie des échanges linguistique.-Paris*, Ed. Fayard, 1982.- p. 15.

31 - Ibid.- p. 16

32 - Bourdieu, Pierre : Questions de sociologie.- Paris, Ed. Minuit.- p. 124.

33 - Ibid.- p. 125.

34 - Ibid.- p. 20.

35 - Ibid.- p. 105.

36 - Ibid.- p. 106.

37 - Bourdieu, Pierre : Ce que parler veut dire, l'économie des échanges linguistique.- *O*p. Cité.- p. 165.

38 - Ibid.- p. 109.

39 - Ibid.- p. 115.

40 - Ibid.- p. 119.

41 - Ibid.- p. 116.

Haut de page

Pour citer cet article

Référence papier

الزواوي بغوره ,« بين اللغة و الخطاب و المجتمع : مقاربة فلسفية اجتماعية » / *Insaniyat إنسانيات*, 2002 | 18-17 , 33-57.

Référence électronique

الزواوي بغوره ,« بين اللغة و الخطاب و المجتمع : مقاربة فلسفية اجتماعية » / *Insaniyat إنسانيات*, [En ligne], 17-18 | 2002, mis en ligne le 30 septembre 2012, consulté le 16 mai 2023. URL : http://journals.openedition.org/insaniyat/8643 ; DOI : https://doi.org/10.4000/insaniyat.8643

Haut de page

Cet article est cité par

- حساني, أحمد. (2021) سلطة النسق اللغويين اللغة العالمة واللغة المؤسسية. *alwasl university jounal* . DOI: 10.47798/awuj.2021.i61.07

الزواوي بغوره

قسم الفلسفة، جامعة منتوري- قسنطينة.

نقلت المحاضرة عن الموقع: https://journals.openedition.org/insaniyat/8643

المحاضرة الثانية عشرة: معايير تصنيف استراتيجيات الخطاب، العلاقة بين طرفي الخطاب، شكل الخطاب، هدف الخطاب

المحاضرة الثانية عشرة: معايير تصنيف استراتيجيات الخطاب، العلاقة بين طرفي الخطاب، شكل الخطاب، هدف الخطاب

مدارس تحليل الخطاب

تتعدد التخصصات والمدارس اللغوية والألسنية والفلسفيّة وتتداخل، وهي التي اهتمت بمفهوم الخطاب وتحليله واستخداماته ما أدى في بعض الأحيان الى إحداث غموض في إدراك مفهوم الخطاب، والأسس النّظريّة والمعرفيّة لمنهجيّة تحليل الخطاب واستخداماته ومن هنا تأتي أهمية عرض المدارس المتنوعة وتحليلها، في تحليل الخطاب بشكل عام والخطاب الإعلامي بشكل

خاص، وقد اخترنا الوقوف عند أبرز مدارس تحليل الخطاب وهي التحليل السوسيولوجي والتّحليل السيميائيّ والتّحليل البراغماتي.

-1التحليل السوسيولوجي للخطاب

من وُجهة نظر سوسيولوجية، يُعرَّف الخطاب على أنّه أيّ ممارسة يقوم بها الأفراد دامجين الواقع مع المعنى. ومن أجل تحليل الخطاب سوسيولوجيًّا، ينبغي تحليل الخطاب في البداية على ثلاثة مستويات تحليليّة: هي المستوى النّصي، والسّياقي، والتّفسيري(Ruiz ، .(2009

يتيح لنا التّحليل النصيّ للخطاب وصف الخطاب مع تركيزه بشكلٍ أساسي على الكلام، واحتساب الخطاب موضوع الدّراسة. أمّا التحليل السّياقي فهو يتيح لنا فهم الخطاب لأنّه يركّز على اللفظ والنطق، واحتساب الخطاب فِعلًا أو حدثًا فريدًا. وأخيرًا يقدّم التّحليل التفسيري شرحًا للخطاب من خلال معالجة الجوانب السوسيولوجية واحتساب الخطاب معلومات، أو أيديولوجيّة أو منتج اجتماعي(Ruiz ، .(2009

1.1التحليل النصيّ

يركّز تحليل الخطاب، في المرحلة الأوليّة، على التناصّ أيّ التفاعل بين نصين، والعلاقة بين الخطاب والنص واضحة وذات معنى واحد، ولهذا لا ينبغي الخلط بين المفهومَين أو عدّهما مفهومًا واحدًا. يُعِدُّ التحليل النصي أنّ الخطاب موضوعًا ما، ويُضفي عليه صفة الموضوعيّة، ويجعله مثيرًا للاهتمام لمن يُقاربون تحليل الخطاب من وُجهة نظر علمية إيجابية(Ruiz ، .(2009ينطوي التّحليل النصّي على تخصيص أو تحديد تركيبة الخطاب وبُنيته. لا يهدف التحليل النصّي إلى تقديم نسخة مختصرة للخطاب من أجل تسهيل دراسته، بل العكس يتوسّع في تقديم المعلومات ويُسهب في تقديمها عبر تقنيَّتَين هما :تحليل المحتوى، والتحليل السيميائي. تحليل المحتوى هو تجزئة النص إلى وحدات من المعلومات، وذلك بحسب رموزها وتصنيفها. وغالبًا ما يُعدّ تحليل المحتوى طريقة استقرائيّة صارمة حتى أنّه يُسمّى بعملية بناء النظرية. هذا النوع من التحليل تديره فئات نظرية محدّدة هي: أهمّية النص أو قيمته، وكيفية تقسيمه، والأكثر أهمّيّة من ذلك اعتماد كيفيّة تصنيف أجزاء النص على الأهداف النّظرية للباحث. لا ينفي التحليل السيميائي أهمّية المعاني المستخرجة من الخطاب عبر تحليل المحتوى، بل يحوّلها إلى إشكاليّة مفادها أنّه لا يمكن تحديد معنى الخطاب من خلال اللغة، أو على الأقلّ لا يمكن تحديده بأسلوب مطلق وحاسم. لا علاقة هرميّة أو مبرمجة بين اللغة والخطاب، بل العلاقة بينهما جدلية إذ تستخدم الخطابات اللغة كوسيلة للتعبير، ولكنّ ذلك يؤدي أيضًا إلى تعديل اللغة أو تجديدها (Ruiz، .(2009

1.2التحليل السّياقي

يُفهَم السّياق على أنّه الحيّز الذي يظهر فيه الخطاب وفيه يكتسب الخطاب معنىً. وعلى هذا المستوى، يُعدّ الخطاب حدثًا فريدًا قام به أشخاص معيّنون في مكان وزمان محدّدَين، وضمن عالم من الرّموز المحددة ولديهم غاياتهم المنطقية الخاصة. وبناءً عليه، يُقسَم التحليل السياقي إلى نوعين: تحليل سياقي موقفي وتحليل سياقي للعلاقة بين النصوص.

ويتطلّب تحليل الخطاب السياقي وصفًا مفصّلًا للظروف التي صدر فيها الخطاب، وخصائص الأشخاص الذين صدر عنهم الخطاب. ويركّز هذا النوع من التحليل أكثر على الجوانب البراغماتيّة للخطاب، كما أنّه يركّز على التفاعلات، والعمليات الحوارية التي ساهمت في إنتاج الخطاب. يرتكز النوع الثاني من التحليل السّياقي على التحليل المقارن إذ يستنبط معنى الخطاب بالرجوع إلى خطابات أخرىRuiz) ، .(2009

1.3التحليل التّفسيري

ينطوي التحليل السوسيولوجي للخطاب على صناعة الروابط بين الخطابات التي خُلِلت وبين الحيّز الاجتماعي الذي ظهرت فيه الخطابات. وقد تكون هذه الروابط والصلات متنوعة جدًا بحسب التوجّه النّظري الخاص بالمُحلّل. ومن النّاحية العملية تنحصر التفسيرات السوسيولوجيّة للخطاب في ثلاثة أنواع هي :التفسير الذي يُعِدُّ الخطاب معلومة اجتماعيّة، ونوع آخر يُعِدّه انعكاسًا للأيديولوجيات التي يعتنقها الأفراد المشاركين في إعداد الخطاب، ونوع ثالث من التفسير يُعِدّ الخطاب نتاجًا اجتماعيًّاRuiz) ، .(2009

-2التّحليل السّيميائي للخطاب

مصطلح السيميائية هو علم يبحث في دلالة الإشارات في الحياة وأنظمتها اللغوية، لذا نجد أنّ هذا المفهوم له حيثيات وأصول لتسميته ومكوّناته، فالسيميائية والسيميولوجيا تُعنى بالعلامة التي شاع استخدامها كمصطلح غربي في اللفظة السويسرية (Semiologie) والفرنسية (Semiotic)، وكلاهما مشتقّ من الجذر اليوناني(Semeion) ، فهي تسعى إلى تواصل معاني الدّلالات الواسعة من خلال علامات(Signs) ، ونجد أنّ هذين المفهومَين قد أتيا بنفس المعنى وهو العلامة (الدباغ، 2017). العلاماتيّة أو السيميولوجيا هي علم العلامات أو السّيرورات التأويلية، وهي إحدى علوم اللغة التي تدرس الإشارات، أو العلامات، وفق نظام منهجي خاص يبرز ويحدد الإشارة، أو العلامة اللغويّة، أو التّصويرية في النّصوص الأدبيّة، وفي الحياة الاجتماعيّة. والسّيميائيّة كمنهج نقدي هو منهج يهتم بدراسة حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية، ويحيلنا إلى معرفة هذه الدلائل، وعلتها، وكينونتها، ومجمل القوانين التي تحكمها (رضوان ل.، 2017، صفحة 785.(

فالسيميائية إذًا علمٌ يعرّفنا على وظيفة هذه الدّلائل والقوانين، التي تتحكّم فيها ومجال عمله هو اللغة، وهذا ما جعل السيميولوجيا ممارسة استقرائية استنتاجيه، تنطلق في تحليلها للنص الأدبي من عدّ ‘‘النص يحتوي على بنية ظاهرة، وبنية عميقة، يجب تحليلهما وبيان ما بينهما من علائق’’ (رضوان ل.، 2017، صفحة 785) وتقوم على إطلاق الإشارات كدوال حرة، لا تقيدها حدود المعاني المعجميّة، ويصير للنص فعاليّة قرائيّة إبداعيّة؛ تعتمد على الطاقة التّخييليّة للإشارة في تلاقي بواعثها مع بواعث ذهن المتلقي، ويصير القارئ المدرب هو صانع النص. تبحث السّيميائيّة عن المعنى من خلال بنية الاختلاف ولغة الشّكل والبنى الدالة. وهي لذلك لا تهتمّ بالنّص ولا بمن قاله، وإنّما تحاول الإجابة عن تساؤل وحيد هو كيف قال النص؟ وما قاله؟ ومن أجل ذلك يفكك النص ويعاد تركيبه من جديد ليحدّد ثوابته البنيويّة. إنّ التحليل السيميائي

هو ذاته تحليل الخطاب، وهو يميّز بين "السيموتيقا النصية" وبين اللسانيات البنيوية للجملة، ذلك أنّ هذه الأخيرة حين تهتمّ بالجملة تركيبًا وإنتاجًا فإنّ السيموتيقا تهتمّ ببناء نظام لإنتاج الأقوال والنصوص وهو ما يُسمّى بالقدرة الخطابية (يوسف، 1997.(

-3التّحليل التّداولي (البراغماتي) للخطاب

يعرّف طه عبد الرحمان كلمة تداول بقوله: "تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس وأداروه فيما بينهم" فمفهوم النقل والدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة، فيُقال: "نقل الكلام عن قائلٍ بمعنى رواه عنه ويُقال دار على "الألسن" بمعنى جرى عليها والنّقل، والدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل وفي استخدامهما التّجريبيّ على معنى الحركة بين الفاعلين فيكون التداول جامعًا بين التواصل والتّفاعل فمقتضى التّداول يكون القول موصولًا بالفعل (طه، 2007). وجاء في لسان العرب لابن منظور" :التداوليّة: جذورها "دول": الدُولة والدَولة والدولة: اسم شيء يتداول) "منظور، 1997، صفحة 432). والتّداوليّة اصطلاحًا هي "علم جديد للتواصل، يدرس الظاهرة اللغويّة في مجال الاستعمال" (مسعود، 2005، صفحة 16). ويُعدّ الفيلسوف الأميركي "شارل موريس" أول من استعمل مصطلح التداولية (pragmatique)وذلك سنة 1938 فهو يعرّف التداولية على أنّها ذلك العلم الذي يُعنى بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها، والذي استقرّ في ذهنه أن تقتصر على دراسة ضمائر التكلّم والخطاب وظرفَي المكان والزمان "الآن، هنا "والتّعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيًّا خارج اللغة نفسها أيّ من المقام الذي يجري فيه التّواصل" (موشلار و آن ريبول، 2003، صفحة .(29لقد ارتبط مفهوم الخطاب بالاستعمال الفعليّ للغة، وليس بالاستعمال المجرد وفي هذه الدّراسة نقوم بدراسة الخطاب بالنّظر الى سياقه الاجتماعي السياسيّ، ومحاولة فهم الفعل الذي ينتج عن الخطاب وهذا لا يتحقق إلّا من خلال البراغماتيّة التي تحمل معنى الفعل.pragma: action

والبراغماتيّة أو التداوليّة هنا ليست الفلسفة النّفعيّة الذرائعيّة le pragmatisme وإنّما المقصود هنا دراسة المعنى كما يعنيه المتكلم، وكما يفسره السّامع أيّ تحليل ما يعنيه المرسل أكثر من ما تعنيه الكلمات منفصلة، هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم "بل هي دراسة اللامرئي وهي لا تنفصل عن كيفية الإيصال تبعًا لمقاصد المتكلم والسامع" (طنوس، 2014، صفحة 230 .(لسانيًّا تعني البراغماتيّة "دراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب، وبالأفراد الذين تجري بينهم العملية التّواصليّة" (ايوب، 2011، صفحة 239)، وتهتم البراغماتيّة بالمبادئ التي تحكم تأويل العلامات ليس بالاستناد الى المعاجم ، وإنّما على سياق القول وظروفه بما يتخطى المعنى اللغوي الى الحركات والايماءات كحركة الوجه والجسد وطريقة لفظ الكلمات. والبراغماتية تسمح بفهم وقراءة الدّلالات اللغوية وغير اللغوية من تنغيم للصوت أو من حركات الجسد.

ولدت البراغماتية من التقاء العديد من التخصصات والاتجاهات، وهي ليست نظامًا مستقلًا وموحدًا إذ لم يتفق العلماء، والباحثين على تحديدها وتوصيفها توصيفًا دقيقًا تمام كما هو الحال

مع مفهوم الخطاب بشكل عام .تشكّل البراغماتيّة في الحقيقة مفترق طرق متعدد الاختصاصات من لغويين وعلماء منطق، وفلاسفة وعلماء نفس واجتماعيين ما يجعل لهذه المقاربة ثراءً مميزا. ظهرت المقاربة البراغماتيّة للخطاب مع تطور الدراسات حول تحليل الخطاب في القرن العشرين، التي كانت تتناول الخطاب من وجهة نظر علم الدّلالة semantique التي تدرس علاقة الاشارات والكلمات والجمل بالأشياء وحالات الأشياء، يدرس هذا المنهج اذا المعنى والمرجع والحقيقة. ومن ناحية أخرى المنهج اللغوي syntaxique والذي يدرس علاقة الدلالات في ما بينها والكلمات التي تشكل الجملة وتسلسل الجمل، يحاول هذا المنهج صياغة قواعد التعبير وقواعد تحويل العبارات الى عبارات أخرى بهدف إيجاد قوالب للتعبير الأفضل. لكن هذين المنهجين لا يستنفدان مشكلة المعنى، والحقيقة وهنا ظهر المنهج البراغماتي الذي يدرس علاقة الإشارات بمستخدميها والجمل بمطلقيها (Carnap، .(2007ويحدد المنهج البراغماتي ثلاثة مفاهيم أساسيّة في الخطاب:

- الفعل أو فعل الكلام: اللغة لا تخدم فقط تمثيل العالم، وإنّما تقوم بإنجاز فعل فالكلام هو الفعل، إنّه على سبيل المثال تصرف مع الاخرين ، هو إذا فعل الكلام وتوجيه مفهوم الفعل هذا نحو مفاهيم أكثر عدلًا وشمولية للفعل والتّفاعل.
- مفهوم السّياق: الظروف التي حصل فيها نطق الخطاب، والتي تشمل الزمان والمكان والوقت وهوية المتحدثين وكل ما يجب معرفته من أجل فهم وتقييم ما يقال. وتظهر أهمية السّياق عندما تصل رسالة مجهولة من طرف مجهول المكان، والزمان فتصبح الرّسالة غامضة وغير واضحة.
- مفهوم الأداء: يفهم منه وفقًا للمعنى الأصلي للكلمة انجاز الفعل في السياق، أيّ معرفة كفاءة المتحدثين ومعارفهم واتقانهم للقواعد، ويمكن تسميتها الكفاءة التواصليّة.

يرى "فان دايك" أنّ الخطاب مجموعة متكاملة من الأفعال الكلاميّة "فعندما يكون فعلان كلاميان مترابطين، فإنّ الفعل الأول يكون شرطًا ممكنًا لتحقق الفعل الثاني. وكذلك تُربط القضايا المتتابعة بالقضية الكبرى الشّاملة) "ايوب، 2011، صفحة 240.(

في الحقيقة إن الناس لا يتذكرون الأفعال الكلامية التفصيليّة، التي يتضمنها الخطاب إنّما يأخذون الخلاصة من الخطاب، أو الهدف منه أيّ الفعل الكلامي الأكبر والأشمل وبذلك لا يقتصر فهم الخطاب على البعد الشكليّ أيّ البنية التنظيميّة للخطاب، أو على البعد الدّلالي أيّ موضوع الخطاب إنّما صار يشمل البعد البراغماتي الذي يأخذ بالحسبان الفعل الكلامي العام بالإضافة الى أفعال الاتصال الأخرى (ايوب، 2011(

وتهتم البراغماتية بشكل أساسي بفهم المضمر من الكلام، فالمعلن منه هو المعبر عنه مباشرة في الملفوظة أيّ الصريح والواضح الذي لا لبس فيه، أمّا المضمر فهو ما يمكن أن تحتمله الأقوال ويُستَخرج استنباطًا أو استقراء بعد وضع الملفوظة في سياق معين. تستعين البراغماتية بأفعال الكلام من أجل فهم قصديّة التواصل، تبعًا لنظرية الباحث الإنكليزي جون أوستين الذي يُعدّ أنّ "القول يعني الفعل" أيّ أنّ المتكلم عند استعماله اللغة، يقوم بفعل وعند تلفّظه في موقف

يعيّن تنكشف قصديته" (ايوب، 2011، صفحة 240). والمراد من هذه النظرية أنّ المتكلم عند استعماله اللغة لا ينتج كلمات إنما يقوم بفعل، وعند تلفظه في موقف معين تنكشف قصديته "فأفعال الكلام هي الملفوظات المتحققة فعلًا من قبل متلفظ ما في موقف ما" (ايوب، 2011، صفحة 240). في العام 1955 قدّم الفيلسوف البريطاني جون أوستين سلسلة محاضرات في جامعة هارفرد تحت عنوان "ماذا نفعل حين نتكلم؟" وقد أحدثت ضجة كبيرة عند اللسانيين والفلاسفة وعلماء الاجتماع، ونشرت محاضراته في كتاب تحت عنوان "حين نتكلم نفعل" وأصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الدراسات التّداولية. لقد قسم أوستين الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أقسام:

- فعل القولacte locutoire :

ويعني بذلك تأدية الأصوات أيّ القول وصوته، والجهد الذهني الذي يتطلبه والمفاهيم الممثلة بكلمات والربط في ما بينها.

- فعل تحقيقي acte illocutoire :أو فعل قوة القول وهو ينتج مما يؤديه فعل القول الأول من معنى إضافي الى جانب معناه الأول المباشر (ايوب، 2011) وهي بمعنى آخر ما ينتج عن الأفعال الكلاميّة من أمر أو وعد أو تهديد "فالمتكلم حين يتلفظ بقول ما ينجز دلالة قصدية تحدث تغييرًا في وضع المتخاطبين وهو ما سماه أوستين بقوة الفعل" (ايوب، 2011، صفحة 240.(
- فعل أثر القول acte perlocutoire :أو الفعل الناتج عن القول، وهو الأثر الذي يحدثه فعل القول التحقيقي في المتلقي. ويرى أوستين أن المتكلم قد يتسبب للمخاطب بردة فعل فكرية أو شعورية: كالإقناع أو الإرشاد أو التّضليل أو الحماسة أو التثبيط (طنوس، 2014.(

الخاتمة

يُعدُّ تحليل الخطاب الإعلامي حقلًا مليئا بالدلالات العميقة، التي تحتوي على العديد من الإيحاءات والمعاني لاهتمامه بدراسة السّياقات المختلفة للعملية الاتصاليّة، والظروف المحيطة بها وهو يهتم بتعريف المتلقي على ما يدور حول الخطابات الناتجة عن عملية الاتصال من معانٍ إيحائيّة، والكشف عن المعاني الضمنيّة التي تحملها وهو يسعى الى الغوص عميقًا في الرسالة الإعلاميّة المشكلة للخطاب وفهم الرسالة الضمنية المراد ايصالها اي البحث عن المعنى الحقيقي للرسائل الإعلاميّة. فالخطاب الإعلامي يحمل في طياته العديد من التأويلات المختلفة، والأنظمة الدّلاليّة السيميولوجيّة والرسائل اللسانية ذات الأبعاد المتعددة ليقوم متلقي الخطاب بدوره في تفكيكها مستندًا إلى ما يملكه من مخزون معرفيّ، وفكريّ لفهم أحداث الواقع المعاش. وقد استعرضنا في هذه الدّراسة أبرز تعريفات الخطاب بشكل عام، والخطاب الإعلامي بشكل خاص والوقوف على أبرز مدارس تحليل الخطاب، التي تساهم في بلورة صورة واضحة عن تحليل الخطاب الإعلامي واستخداماته المختلفة علّها تشكّل مرجعًا للباحثين في الخطاب الإعلامي والدراسات الإعلاميّة وتساهم في إثراء المكتبة العربية.

المراجع

-1 (تم الاسترداد من). *discourse*. بلا تاريخ. Cambridge. (
dictionary.cambridge.org:
https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/discourse
Dominique Maingueneau. (1998). *Analyser les textes de communication.* Paris: Dunod.2-
Edward w. Said. (1978). *Orientalism.* New York: Routledge & Kegan Paul Ltd.3-
تم الاسترداد من *Sociological Discourse* George Ruiz .(May, 2009) .
Analysis: Methods and Logic. 4-qualitative research: https://www.qualitative-research.net/index.php/fqs/article/view/1298/2882
Rudolf Carnap. (2007). *« La pragmatique est à la base de toute la linguistique »*. 5-Paris France: Presse universitaire de France.
أحمد يوسف6 (1 تشرين الأول, 1997). تم الاسترداد من *مجلة نزوى* :.www.nizwa.com: https://www.nizwa.com/ -
7-ادريس حمادي. (1994). *الخطاب الشرعي*. بيروت لبنان: المركز الثقافي العربي.
8-أشرف محمد عبيد. (2016). *قضية الهوية الوطنية في الخطاب السياسي السوداني*. المكتب العربي للمعارف.
9-السيد ياسين. (1980). *تحليل مضمون الفكر القومي العربي*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
10-اليامين بن تومي. (2015). *محاضرات في تحليل الخطاب*. الجزائر: جامعة سطيف.
11-بسام عبد الحمن المشاقبة. (2014). *مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب*. الاردن عمان: دار اسامة للنشر والتوزيع.
12-بلال حسين محمد الدباغ. (كانون الأأول, 2017). شعر عز الدين المناصرة (دراسة سيميائية). 88. غزّة: الجامعة الإسلامية في غزة.
13-جاك موشلار، و آن ريبول. (2003). *التداولية اليوم علم جديد في التواصل*). سيف الدين غفوس، ومحمد الشيباني، المترجمون) بيروت.
14-جان نعوم طنوس. (2014). *تحليل الخطاب مفاهيم نظرية ونصوص تطبيقية*. بيروت: دار المنهل اللبناني.
15-حامد عبد الماجد. (2000). *مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية* . القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.
16-ديان ماكدونيل. (2001). *نظريات الخطاب*. القاهرة: المكتبة الاكاديمية.

17-صحراوي مسعود. (2005). التداولية عند العلماء العرب. بيروت: دار الطليعة.
18-عبد الرحمان طه. (2007 .(*تجديد المنهج في تقويم التراث* .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
19-عبد الرحمن بدوي. (2017 .(*الخطابة، ارسطو* .القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
20-عمّار طاهر محمّد. (2019). دور الخطاب الإعلامي بالقنوات الفضائية .*مجلّة علوم الإعلام والاتصال، كليّة الإعلام جامعة بغداد*، 1.
21-ليلى شعبان الشيخ رضوان. (2017). المنهج السيميائي في تحليل النص الادبي .*كلية الدراسات العليا للبنات في الاسكندرية*.
22-مارلين نصر. (1990 .(*تحليل القومية العربية في فكر جمال عبد الناصر 1952-1970* . بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
23-محمد شومان. (نيسان, 2004). إشكاليات تحليل الخطاب في الدراسات الإعلاميّة العربية :الدراسات المصرية نموذجا .*المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة المنيا*.
24محمد شومان. (2007 .(*تحليل الخطاب الإعلامي* .بيروت لبنان: الدار المصرية اللبنانية.
25-مختار الفجيري. (2014 .(*مفهوم الخطاب بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللغة العربية* .المدينة المنورة السعودية: جامعة طيبة.
26-معجم المعاني. (بلا تاريخ .(*تعريف و معنى الخطاب في معجم المعاني الجامع* .تم الاسترداد من/ almaany.com: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/
27-ميشال فوكو. (1987 .(*حفريات المعرفة* .بيروت لبنان: المركز الثقافي العربي.
28-نبيل ايوب. (2011 .(*النقد النصي 2 وتحليل الخطاب* .بيروت لبنان: مكتبة لبنان ناشرون. نقلت المحاضرة من الموقع: http://www.awraqthaqafya.com/1846/

المحاضرة الثالثة عشرة: مفهوم الكفاءة التداولية

المحاضرة الثالثة عشرة: مفهوم الكفاءة التداولية

تعد اللغة في مجمل مفاهيمها الاتصالية منظومة من الاستعمالات وفق إنتاج (المتكلم) ذاته ، وهو ما ينعت بـ (القصدية) وتشمل هذه (الحالات الشعورية ، الاعتقادات ، الرغبات ، المقاصد ، والادراكات ، وكذلك ضروب الحب والمكاره ، والمخاوف والآمال بما في موحيات العقل نحو الأشياء أو الحالات الفعلية في العالم)[4]

وتشترط مقولات التداولية ، وفق قصديتها تلك ، أداءً فعلياً لا مناص له أن يتجسد بذاته . ويترتب على ذلك ، انفتاح فجوة بين الذات في رغباتها واعتقاداتها وتأولاتها والقرار الفعلي . وهناك فجوة أخرى بين القرار وأداء الفعل. (5)

وذلك ما يومض بأداء فعلي يتمسرح في فضاء يخص ذاتاً بعينها لها مدخراتها وأفكارها ومنظوماتها السوسو – سايكولوجية ، وهو ما يحايث الأداء الفعلي للدراما القائمة على رغبة في إعادة ترميم الوقائع أو خلق الأشياء كما ينبغي أن تكون ، انطلاقاً من (الملفوظ) (الكلمة) وطبيعة الاتصال بـ (الآخر) (المحاور) ، ما يوسم ذلك في معجم (التداولية) بـ (النقطة التمريرية المعنية في إحداث تغيير في العالم بتمثله وكأنه قد تغيير) (6)

وللنص المسرحي ولقصديته اللغوية ، تناظر وأفعال الكلام في خاصية التوجه والتراسل ، فالنصان في سعي الى قيادة أو / وسوق المخاطب / المتلقي الى غاية بعينها . او فكرة يهدف الى إيصالها أو الاقتناع بها أو السلوك المراد دفع المخاطب الى تقبله ، والجامع بين النصين كونهما نصين أدائيين / فعلين يهدفان الى تغير موقف وتسجيل سلوكاً بذاته . وللفعل الدرامي أبعاده المجسدة في الحوار يناظر الفعل الكلامي فحواه . إن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري ... وغايات تأثيرية actes perlocutoires تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو فعل يطمح الى أن يكون ذا تأثير في المخاطب ، اجتماعياً أو مؤسساتياً، ومن ثم انجاز شيء ما)(7)

يتيح الفعل الدرامي عبر تمثله في الأداء اللفظي ترسم أفعال مائزة لها أبعادها السوسو – سايكولوجية لإحداث أفعال بذاتها في متن النص المسرحي ما يرشح منه فعل أو / و رد فعل في الطرف المستقبل (المخاطب / الشخصية) .

ووفق معاجم النص المسرحي ، فان البواعث والدوافع تتجاور في مسوغاتها وأفعال الكلام ، فالباعث او الدافع يمثل (القوى الدافعة التي تكمن وراء أقوال وسلوكات الشخصيات في المسرحية ، وفيها يمكن تبرير تلك الأقوال والأفعال ، وتتولد تلك القوى عادة من عوامل خارجية مع أخرى داخلية)(8).

ولان الحوار المسرحي يصاغ بثنائية لغوية – (متكلم – مخاطب) في صيغ حوارية بين الشخوص ومحاولة كلا الطرفين إقناع الآخر والتعبير قبل ذلك عن إرادته وأدائه اللفظي ، فان الفعل التداولي ينتج كذلك من (المشاركة) اللفظية بين (المتكلم – المخاطب) والمؤلف المسرحي في أولى مهامه البنائية والتعبيرية والتواصلية في ترسيم شخوص نصه – حملها لبطاقات سوسو – ثقافية تخص كل ذات ، ليخلص البناء النصي الى منظومة أصوات ، أو ما اسماه باختين بـ (البولفونية) حيث تتشارك الشخوص بكل مرجعياتها وأفكارها وتوسلاتها اللغوية / اللفظية في إبراز تفردها الذاتي داخل النص وخارج فضائه الورقي صوب المتلقي الفعلي أو الافتراضي .

وللشخصية – متكلمة – مخاطبة – في النص المسرحي أبعادها التقليدية ، الاجتماعية والنفسية والطبيعية ، مما يسوغ أداءها اللغوي وأفعالها التأثيرية ، لذا فان فعلها اللغوي يستوجب شروطاً

محددة لتحقيقه ، ومن هذه الشروط : وجود دافعية لدى المتحدث sprecher وصحة القول ، والحالة(الموقف الاجتماعي soziale situation والارتباط بجانب اجتماعي محدد)[9] ، وبذلك تتمسرح اداءات الشخوص اللغوية / اللفظية طبقاً لمدارجها السوسو – ثقافية في إنتاج فعل التداول وأنماط التواصل مع ذاتها ومع الآخر (المخاطب) من الشخوص المقابلة لها في فضاء له أبعاده الزمكانية .

والشخوص في متن النص الدرامي ، لها مدخراتها الذاتية ما يحدد معالمها الخطابية وأفعال القول – لديها – وفق ما تحمله من مواقف تخص ذات الحدث في (الآن) أو في ذكرياتها التاريخية السالفة . والشخصية متوسلة بالحوار والدالات الاشارية /الحسية الكاشفة عن ماهيتها تعتمد على الموقف ذاته في الاستجابة والرد ومحمولات اللغة الشاملة

وفي مسارات أفعال الكلام ، يتخذ الموقف فيصلا في إعلاء شأن ملفوظات ما فالموقف في النص المسرحي ، يترسم في المداولة حول ظاهرة أو علامة أو فعل يخص المخاطب والمتكلم مما يحايثها وأفعال الأداء لدى الشخوص في ارتجاعاتها الى موضعة الفعل أو استدعاء حادثة ما حوله ففي (أفعال الكلام بوصفها تعتمد على الموقف الذي يتم فيه التفوه بها لذا لا يمكن دراستها مستقلة عن الموقف . يضاف الى ذلك فأن فعل الكلام لا يتكون من الكلمات المستخدمة وهو بل يشمل المتكلم والمستمع والشيء المعني)(10) .

ويمكن تقويس ذلك وتأشيره في أفعال الكلام في النصوص المسرحية في مجمل اتجاهاتها الفنية والجمالية والتاريخية . فللنص المسرحي ماهيته بفتح مجادلة وخلق مواقف عبر نظم للمواقف التي تسوغها كل شخصية طبقاً لمنطلقاتها الذاتية ومعجمها التعبيري وما يرشح عنه من منظومات كلامية تخصها بغية التأثير على الشخوص الحافة في الموقف لإتخاذ سبل اداءية توافق مقولاتها وهو ما أخذت به نظرية (الحجاج) في هدفية (المتكلم) الى التأثير على المخاطب لإتخاذ موقف أو تغير فكره . وعند اللغوي (أوزفالد ديكرو) يأتي الفعل الكلامي للمتكلم لتحقيق أهداف أو وظيفة حجاجية مؤداها (إننا نتكلم عامة بقصد التأثير)(11) .

فالحوار في النص المسرحي بتنوع الإتجاهات الجمالية للنصوص المسرحية عبر التاريخ يخلق موقفاً وكشفاً للذوات المتكلمة بغية التبرير ودعوة الآخرين الى التثبت من موقف أو استبداله بموقف آخر . في نص مسرحية (القلوب النهمة أو الظمأ) لـ (جبريل مارسل) تذهب الشخوص في مسار جدل البرهنة على كشف ذاتها حيال حادثة غياب (الأم) . فالأبناء (أميدية) و (ستللا) . تتباين عندها سبل المواقف اتجاه الحدث الأكبر في النص (الغياب) وذلك ما يفتح فضاءات لأفعال محتدمة معبره عن رؤية كل ذات الى مصير (ألام) فالابنة (ستللا) تظل في شكوكية ازاء فعل (الغياب) باحثة ومستقصية عن الحدث وهي في ذلك تستجمع جملة أدلة وحجج لرفع دثار عن حدث تتقاسمه ومنظومة العائلة في ظرف زمكاني . ويستدل على أفعال كلام (ستللا) في حواراتها ومجادلاتها مع أخيها (اميدية) وزوجة الأب (ايفيلين) (12)

ايفلين : ولكنك جائرة . شنيعة . وستندمين على ذلك ياصغيرتي ...

ستللا : (الى اميدية) إنني مصرة على أن تخبرني بالحقيقة ماذا حدث لماذا لم نرها ثانية على الإطلاق .
إيفيلين : (إلى اميدية) ... ليس من حقك ...
أميدية : لا تخافي . يا إيفيلين ..
ستللا (إلى إيفيلين) وأنت أيضاً ، تتخلين عن ... آه هذا فظيع ... أمي ! أمي (إلى أميدية) إذا رفضت الكلام . فسأرحل ... سأختفي ولن يختفي من ذلك إنسان .
أميدية : أصغي لي يا ستللا . للمرة الأخيرة . إنك بهذا الطلب الشاذ .
ستللا : لا أريد عبارات مقنعة !
أميدية : تزعجني – دون أن يخامرك الشك . وهذا ما أسلم به .... اتهام ضميري بإرتكاب عمل شائن .
ستللا : ضميرك ! ليتك تعلم أن الأمر يستوي لدي .
أميدية : انك تتحملين بهذا العمل مسؤولية شديدة الخطورة .
ستللا : وداعاً .
إن النشاط اللغوي (الحوار) هنا ، يتأسس على إداءات ذاتية في مكونات الشخوص الثلاثة . الإجتماعية منها والنفسية والمقامية . لتتأرجح الفعالية الكلامية بين الدفاع والإتهام والزجر والتهديد وإتخاذ موقف فعلي حيال الحدث عبر الملفوظ في مغادرة (ستللا) للمكان السجالي كما تتفتح مستويات (المقامية) ، فأسلوبية وطبيعة الفعل الكلامي بين الشقيقين – ستللا – أميدية . له أبعاده الدلالية تخص فعلاً كلامياً في مقام واحد . إما إداء زوجة الأب (إيفيلين) فأنه حاملٌ لفعل زجري وتهكمي منذ البداية في محاولة إتهام (ألإبنة) و (تحريض) (ألابن) بدءاً من مفتتح الحوار(ولكنك جائرة . شنيعة) النص المسرحي . هنا في تمرحلات وتنوعات تخص النشاط اللغوي للشخوص المتباينة في المواقف والمتصورات يكون النص بدلالة الفعل أللغوي (ممر وإنتقال) (13) وفق بارت .
وتتخطى تداولية اللغة المسرحية آليات النموذجية والتمذهب الفني والجمالي ، فالحمولة اللغوية لها حضورها في مجمل النصوص بإختلاف متونها من مستويات تجنيسية (شعر / نثر) أو بنائية أو أسلوبية (كلاسيكية / رومانسية / واقعية / تعبيرية / لامعقول / ملحمية) ومرد ذلك،أن اللغة في النص المسرحي ، لا تعنى أصلاً بإبعاد التواصل المباشر . فهي لغة شكلية مأسلبة لها قصيدتها في فتح معابر للتواصل الفني والجمالي وأن أقترنت في بعض آلياتها الإتصالية بما يدعى بـ (لغة الطبيعة) .
إن النشاط اللغوي لنصوص (اللامعقول) رغم إحتفائه أحياناً بلغة (الصمت) وما لذلك من أثر في أفعال التوصيل والاستجابة ، فأن اللغة معنية بإنتاج بعدها الاشاري / والسيميائي متعدية الى مظاهر خاصة في التواصل (في المكتوب ، المنطوق ، الاشاري) يكون فيها الهدف تأسيس بناء فكري عميق تندمج فيه أبعاد المتكلم والمستمع والمقام) (14)
كما يبدو في حوار النص التالي(15).

استراجون : هل استطيع أن أساعدك ؟
بوزو : لو طلبت مني ... ربما .
استراجون : لماذا ؟
بوزو : لو طلبت في أن أجلس
استراجون : أتكون هذه مساعدة ؟
بوزو : أظن ذلك .
استراجون : حسناً تفضل وأجلس يا سيدي . أرجوك
بوزو : كلا . كلا . لا أريده (فترة صمت ، جانباً) أطلب في مرة أخرى .
استراجون : هيا . هيا . أجلس أرجوك ستصاب بألتهاب رئوي .
بوزو : أتظن ذلك حقاً ...
استراجون : ماذا ... هذا مؤكد .
بوزو : قد تكون على حق (يجلس) أشكرك يا صديقي .

وأفعال الكلام في النص أعلاه ، رغم صعوبة الإدراك والتدارك بين الشخوص وبينها وبين المتلقي ، فإنها معنية بالأساس بمضمرات النص أو سماته الإيحائية وذلك شأن السمات القارة في مقولات إحدى التداوليات الأساس . ويقصد بها (التداولية الحوارية Conversation Nellie prngmarique) والتي تهتم بدراسة اشتغال هذا النمط في التفاعلات التواصلية (الحوارات) بإعتبارها تبادلات كلامية تقتضي خصوصيتها أن تنجز بمساعدة دوال تلفظية (Signifianrs verbauy) ولفظية موازية (Para – Verbaux) (16)

وتبقى قيمة الحوار المسرحي معززة فعلية / توليدية / لأفعال الكلام من متون نصوص مسرح (اللامعقول) رغم جملة الإهتزازات الاتصالية والقطوعات المتواترة والبياضات اللفظية (الصمت) إلا ان الحوار المسرحي لا يزال رهين توتر آخر : يؤشر نص موجة لكي يكون ليس معقولاً فقط ، ولكن لكي يكون متصرفاً في الموقف ، إنه يشكل دائماً تسوية بين هذين الموقفين للتواصل) . (17)

وثمة آلية تشميلية لأداء الحوار وفق ذلك في متون النصوص المسرحية تلك التي تحفل بالمقولات (ألارسطية) وما سمي في (فن الشعر) ذاته بـ (الفكر) حين يندرج تحته على تأثير ينشأ عن إستعمال اللغة ويدخل في ذلك : (18)

أ- الرهنة
ب- والتنفيذ
ت- وإثارة الإنفعالات (الشفقة . والخوف . والغضب وما شابه ذلك) .
ث- وكذلك جعل الأمور تبدو مفخمة هامة أو تافهه منتقصة .

أما محمولات النصوص (الملحمية) فأن تواصلاتها وأفعال كلامها تشاع بتوترات الحبكة المشطرة إلى ألواح متوالية تتيح للأحداث ومن ثم المتلقي إتخاذ موقفاً من دون (الاهتمام)

بمجريات الأحداث . فالنص الملحمي يحتشد بإداءات تخص النص ومتلقيه ومنتجه . معنية وهادفة إلى . (19)

1- إثارة (شعور جماعي بفضل ممارسات النشاطات الجمالية) .
2- إيقاظ (الحس الجماعي و ((الوعي الجماعي))) .
3- أو ما يقوله برخت : التعليم عبر التعلم .

وللحوار سبل متنوعة في إنتاج فعل ما . فما يحدث بين المتكلم والمخاطب يحمل دلالات أدائية وتواصلية تتباين فيها نتائجه وفقاً لطبيعة الحوار فالراشح في أفعال الكلام في محاوره بين طرفي – المتكلم – المخاطب . تتباين في مستويات الأداء الفعلي عن حوار الذات مع الذات أو ما أصطلح عليه بـ (المونولوج) حيث تتمارى ذات بمرآة ذاتها وتتوحد ثنائية المتكلم – المخاطب في شقي الذات في فضاء له دلالاته الثقافية والبيوئية (حيث يكون الشخص متوزعاً بين عاطفتين متعارضتين وقوتين تدخلان في صراع . وهنا يستبطن الشخص نفسه ساعياً إلى تحليل ذاته والتعرف إليها . أما لأجل إتخاذ قرار ..... وأما للحصول على رؤية واضحة بشأن قرار أتخذ بتأثير عاطفي)(20)

وتسجل متون النصوص الشكسبيرية مثل (هاملت ، ماكبث) أفعال كلامية تخص فضاء الذات المتوارية دون حضور و (الآخر) (المخاطب) مما يتيح أفعال أكثر بأبعاد ومديات (بوحية) تخص الذات ودون تحسب لـ (مقامية) ما . كما في مناجاة (هاملت) حين يستأنس بذاته أثر إغترابه الحياتي داخل المملكة بكليتها الفضائية .

هاملت : أكون أم لا أكون هذه هي المسألة :
أيهما الأنبل في العقل : أن يتحمل
قوس ونشاب ربة الحظ الطائشة
أو يجرد السلاح بوجه بحر من المصائب
وفي كليهما موت يريحه من متاعبه
أن نموت – ان ننام . لا أكثر من ذلك [21]

ورغم ما تحمله افعال الكلام من محدودية وكما يبدو أول وهلة . فأنها ذات فعالية لها خاصيتها في مستوى الإداء الفعلي . فالمناجاة الذاتية رغم غياب المخاطب فأنها ذات قدرة تفعيل الذات . فهي في نص (هاملت) صائتة بقوة حيال (حيرة وجودية تتعطل معها كل إمكانيات الفعل . اللافعل هو الفعل الحقيقي) (22)

والحوار الذاتي (المونولوج) ووفق الموقف الدرامي يستتر به (هاملت) (المتكلم) بشفرات مضمرة تخصه هو . فالإجهار به يبقى محض تفوهات لدى (المخاطب) (إحدى الشخوص) لتأتي أفعال الكلام دون تحقيق (شروط النجاح) بين المتكلم (هاملت) واي (مخاطب) (شخصية) أخرى مقابلة .

ويحقق (المونولوج) واحدة من أهم اشتراطات التداولية . ممثلة بدرجة (الصدق) فالذات (هاملت) هو الأقرب إلى ذاته من أي (مخاطب) آخر مهما بلغت درجة صدق العلاقة والتبادل

والتواصل الوجداني والإجتماعي (غرترود . أوفيليا ، روزنكرانتز ، غلدنسترن ، هوراشيو) . إن أفعال الكلام في مدونة (المنولوج) لها فعلها الناجز وإشتراطات الإداء رغم إستفراد (المتكلم) في الفعل اللفظي حيث تتوافر ما أشترطته مقولات التداولية لإنجاح التواصل بين المتكلم – المخاطب ممثلة بـ :

1- معرفة العالم الذي تؤول فيه العبارة .
2- معرفة المقامات المتنوعة للسياق .
3- معرفة اللغة المستعملة .[1]

ان النجاح التداولي في نص (المنولوج) يؤشر قدرة الملفوظ في إنجاز فعلٍ ما يخص الذات دون حضور لـ (المخاطب) شرط وفرة لغة إدائية ذات دفق فعلي ممسرح .

الفصل الثالث :البعد التداولي للنص المسرحي

يتهيكل نص مسرحية (حالة مستعصية) للمؤلف العراقي (جبار صبري العطية) على (اثني عشر) مشهداً . تتخذ (العيادة) النفسية فضاء الأحداث . بدخول شخصية (الزائر) (المريض) (العيادة) دون استئذان معلناً فعل (القتل) ليتم أداء (الطبيب) لدوره في الفحص والمعالجة والإقناع بحضور مفاجئ لشخصية (الشبح) مما يؤدي في النهاية الى فرار "(الزائر) وبقاء حالته قيد الفحص .

لذا تبدو المشتركات التواصلية وأفعال الكلام بين شخصيتي (الطبيب) و (الزائر) المريض متقدمة في سبقها الحدثي ، كونها قد شرعت قبيل الظهور الاتصالي القائم في فضاء العيادة. فحالة المريض لها جذورها التاريخية السابقة لحضورها في الفضاء الورقي للأحداث إلا أن أفعال الكلام بشتى أنواعها لها امتداداتها في أحداث النص وهي أكثر أداءاً من أفعال وحوارات شخصية (الزائر) مع (الشبح) .

فكلا الشخصيتين يتواصل أحدهما والآخر وفق شفرات وسنن ينقطع تواصلها مع (الطبيب) فكان في حالة استفهام وتعجب . فأفعال الكلام تتوقف بفورية (آن) حضور(الشبح) وحواراته مع (الزائر) ولم يتح النص طرح معاكسات الحالة بقطع التواصل بين (الزائر) و (الشبح) بحضور (الطبيب) داخل فضاء (العيادة) .

وتظل مساحات الاستفهام أوسع لدى (الطبيب) في تعقب الأسئلة المتبادلة في حوارهما ـ البرقي ـ علماً أن الحوار ذا تراتب ومراجع وأحداث ووقائع ومسميات (آن) أداءه بأفعاله الكلامية المتبادلة بين (الزائر) و (الشبح) إن دلالات (الرفض / الصمت / إدعاء عدم الاطلاع / التعرف) في أفعال كلام (الطبيب) (الزائر) أكثر تفشياً في وقت تتسارع الاستجابات من تذكير / رفض/ فضح / وإنكار في حوارات (الشبح) و (الزائر) مما يجعل الإداء الدرامي في مشاهد حضور (الشبح) أكثر امتداداً وانتاجاً لأفعال من مشاهد (الطبيب) و (الزائر) :

الزائر : بلمسة قاتلة

الطبيب : بالسيف

الزائر : بالسكين

الطبيب : بالسكين !

الزائر : سكين من نوع آخر .

الطبيب : أكاد أفهمك

الزائر : (يعمل حركات لاعب كرة)

الطبيب : مراوغ

الزائر : اركل بالقدمين

الرؤوس المتحجرة .....

لا تهز شباك الهدف

بل تمزقها .
الطبيب : (يصفر)
الزائر : تظنني .....حا
الطبيب : تفضل استرح
الزائر : ألم تفهمني بعد . !
الطبيب : أحاول . ص/ 66
وتتعرض شخصية (الزائر) الى مصدرين للاتصال والتأثير ومن ثم الاستجابة . يمثل(الشبح) مصدرها الأول والأكثر تأثيراً . إذ كان قد شرع قبيل الأحداث في مسارات المتن الحكائي للنص . ويبدو ذلك بمفردة المفتتح النصي أو المشهد الأول المعنون بـ (الزيارة)
الزائر : (فجأة يفتح باب العيادة)
(قتلته)
(يوصد الباب خلفه بقوة)
(يقف متسمراً وهو يلهث) ص /62
وتتداعى أفعال الكلام بين (الطبيب) و(الزائر) بأثر (الشبح) الحاضر والمغيب في المشهد الثالث المعنون بـ (الشبح)
ويرشح (الطبيب) مصدراً ثانياً للاتصال مع (الزائر) في فضاء العيادة . حيث يتواصل الأداء الكلامي بينهما مع بعض الاختراقات لـ (الشبح) الى لها ديموميتها في المشاهد الثمانية المتبقية حتى مشهد الاختتام (المشهد الثاني عشر) (تقرير المصحة) وفيه ينفرد الطبيب في أفعال كلامية تقريرية يوصى فيه المؤسسة الصحية باستحالة واستعصاء تطبيب حالة (المريض) .
ويندر تواصل (الطبيب) مع (الشبح) إلا بعد أشواطٍ من أفعال واحتدامات وسجالات بين (الطبيب) و(الزائر) ليتم الاتصال في المشهد (الحادي عشر) قبيل الاختتام . وما يؤشر فواصل تواصلية بين معطيات العلم وامبريقيته وأفكار العلل النفسية المنفلتة .
ويتعرف (الطبيب) الى رسائل أداءية / فعلية . فبعد إهماله أو عدم إحساسه بحضور (الشبح) كونه خاصة تواصل مع (المريض / الزائر) وطوال المشاهد التسع . فانه وبأثر أفعال (الزائر) الكلامية وقبلها السلوكية وأخذه بمبادرة زرق الإبر في جسده ، يتحول من مستمع (مخاطب) الى مشارك نتيجة لطبائع (الزائر / المريض) الخارجة عن السلوكيات الإنسانية السوية .
ويحمل عنوان المشهد وفق ذلك دلالة اتصالية (سمعت ـ رأيت) وذلك الاتصال الأول بين (الشبح) و(الطبيب) ألا أن الكشف يتم عبر وسيط اتصالي هو (الزائر) وليس بعدة الكلام وأفعاله المباشرة بينهما ، وهو فعل ذو دلالة فكرية فاصلة بين العلم والأوهام . وفي ذلك توكيد (مقامية) رجل العلم والفكر التجريبي والرؤية المختبرية قبالة الأفكار المعلولة بالوهم الخاصة بـ (المريض / الزائر) . وإعلان طبيعة (الزائر) وفق يافطة العنوان الأكبر (حالة مستعصية) فان شخصية (الزائر) لا تعتد في (مقامية) اتصالها بين (الشبح) الموهوم أو الطبع الغالب ـ والقيمي الذي يلتزمه ، وبين (الطبيب) بمكانته العلمية والإنسانية والاجتماعية.

ويتم التعرف الاتصالي لدى (الزائر) بوسيلتين : يتقدمهما ، الطبع الأخلاقي المهيمن حد الاحتراف لديه وهو الغالب رغم تواصل التعرضات القيمية والأخلاقية والسريرية من قبل (الطبيب) الذي يأخذ بالوسيلة الثانية من الاتصال عبر الفحص والتحليل والقراءة والفعل الكلامي .

وتقف شخصية (الزائر) في ثبات إرسالي صوب المصدرين دون تفريق معياري / مقامي سواءً في استجابتها أو في منظومتها الكلامية والأدائية فهي دون اثر لتلك التعرضات لتنتهي وفق (تقرير المصحة) (المشهد الثاني عشر) والأخير :

الطبيب : (يئن ويتألم)

شخص مسكون بالعدوان

جمجمته جحر أفاع

صدره مأوى ذئاب

نفسه مرعى وحوش

يا زملائي

لا اسقط هذه الحالة

جربوا حظكم

استنفروا علمكم وتجاربكم

لعل أمركم يفلح

(يقف كالمغشي عليه) ص / 105

و(تقرير المصحة) في انشطار بين معرفة أو اتصال (الطبيب) بـ (الزائر / المريض) وتجربته إياه والمنتهية في فعل استسعافي أو رجاء أو نداء (يا زملائي .....) والتي تنصب فاصلة اتصالية ـ وتأثيرية ودعوة الى الملاحقة والاستمرارية والفعل بإشارة (جربوا حظكم ....استنفروا علمكم وتجاربكم .....) ويتم تواصل أفعال الكلام عبر آليات (المكتوب) وهو خارج التواصل المباشر (الملفوظ) القائم مع (الزائر / المريض) منتقلا من آليات التلقي / السماع الى مرسل (ورقي) يخص المؤسسة الصحية المستقبلة بكل حضورها المؤسساتي و(مقام) ها العلاجي . كما يتحول أداء أفعال الكلام من ما هو ذاتي أو / وثنائي (الطبيب الزائر) الى اتصال أحادي وفعل تقريري (الطبيب المؤسسة) في دعوته ـ أي ـ الطبيب ـ الى الاستجابة الفعلية لملاحقة حالة (الزائر) وذلك اعتراف بالعجز في أداء فعل ما مع (الزائر ـ المريض) الذات المقفلة على ذاتها بعلتها وأمراضها دون الاستجابة لأي تأثير أو مؤشر ناموسي أو قيمي أو علاجي .

وتبدو استجابة (الزائر) لتأثيرات أو أفعال كلام (الطبيب) دون نتائج ، وفيها عادة ما يرد (الزائر) تصويبات (الطبيب) وكأنها حوارات أو تلفظات تخصه هو ، فالحوارات تستدعى من (الزائر) الى فضائه الذاتي والقيمي والسايكولوجي وكأنه في (حجاج) وشخصية (الشبح) حتى في أوقات غيابها من ميدان النشاط اللغوي في المواقف الدرامية .

إن ما يراه (الطبيب) دالة ما ـ أخلاقية / سايكولوجية تنعكس / ترد من ذات (الزائر) بما يناقضها مما أوقف جهود (الطبيب) العلاجية في النهاية ووصفها بـ (الحالة المستعصية)

الطبيب : مني نفسك بالأمل

الزائر : سراب

الطبيب : الحياة ربيع دائم

الزائر : خريف ابدي

الطبيب : لا تسقط نجاحاتك

الزائر : لم أحقق شيئا

الطبيب : النجاح مطلوب

ولا يأتي من تلقاء نفسه

الزائر : لا يستحق سعياً

الطبيب : ازرع الحب

الزائر : ازرع الحقد

الطبيب : تحصد ما لا تحب

الزائر : لا أحب شيئاً

الطبيب : متشائم

الزائر : وأنت متفائل

أذن نحن الاثنان ملتقيان . ص /97 .

إن تواصلية (الزائر) تبدو اقرب الى الذات في حواره وأفعاله الكلامية ، منها الى تواصله مع (الطبيب) فكان (الشبح) المفعل الأكبر والمعزز(لفعل الفعل) المنتهي بزرق (الإبرة) في جسد (الطبيب) من قبل (الزائر ـ المريض) وهي حالة تعكس قواعد التأثير والاستجابة ، ذلك أن سبل التواصل في تباين قباله منظومتان لهما من الأفكار والمراجع والتجارب والحضور الحياتي ما يوسع فضاء (المراتبية) السوسو ـ سايكولوجية ففعل الأداء اللغوي والجسدي لـ (الطبيب) في جهده لتفحص (المريض) واستقصاء حالته عبر أفعال بذاتها وتساؤلات واستفتاءات تخص فعلاً تقليديا يؤديه أي (طبيب) لأي (مريض) . نؤشر جملة مقطوعات في تواصل (الزائر ـ المريض) المدافع والمنسحب الى فضاءات ذاتية تخصه . سيما في مشاهد النص بدءاً من المشهد (الثالث) الى (الحادي عشر) .

إذ لا تنجز الاستجابة من قبل (الطبيب) لما يعلنه (الزائر) عبر هلوساته الراشحة بأثر حضور (الشبح) الحاضر لديه والمغيب عند (الطبيب) حيث لا يتم بفعل ذلك وفي اغلب مشاهد النص المسرحي اداءاً فعليا بين حضور حضور . الزائر ـ الطبيب بل بين حضور غياب فالشبح مثابة هدف أفعال الكلام لـ (الزائر) وليس الطبيب ذاته . ففي مجمل مشاهد النص المسرحي يتم استدعاء الذكريات من قبل (الزائر) لتبقى خارج تسديدات التأثير . أن غياب وحضور(الطبيب) عند (الزائر) يدخلهما في شتات من أفعال الكلام عبر الحوار فما يراه

(الزائر) أي (الشبح) غائب عند (الطبيب) مما يفعل أداء النشاط اللغوي وأداءه البنائي في تحولات النص المسرحي :

الزائر : أرجوك ... أنا مريض

الشبح : ارني مكروها لم يحق بصاحبه

الزائر: دكتور أين أنت

أبعده عني ....خلصني ...

الطبيب : اطمئن ...لا أحد سوانا

الشبح : اكبر موهبة في الدنيا

لا تستطيع تحويل الكذب الى حقيقة

الزائر : أتسمعه ؟

الطبيب : أسمعك فقط

الشبح : من لم يصدق في أقواله

أو في علاقته مع الناس

لا يستطيع التعبير عنه

(بتصرف) ص/93 .

أن مبدأ المشاركة وفق تكسرات التواصل لم يتح له أنتاج فعل أو / وتأثير ما بين مرسلات (الطبيب) اتجاه (الزائر) لعدم توسمها بـ (شروط النجاح) ما ختم النص بالعجز عن معالجة (الحالة المستعصية) !!.

وفيما يعنى بمفهوم (القصدية) في معجم التداولية وما ينفتح على منظومة حسية من ، (مخاوف / رغبات / اعتقاد / حب ، وآمال . تأتي شخصية (الزائر) ببعد أحادي في مسارها الحدثي أو/ وفعلي ونواميسها في الأفعال القيمية والطباع ، فليس لها في مجمل التعرضات التي تواجهها أن تستجيب / تتأثر لتنتهي (مسكوكة) قيمية وبايولوجية ، تبدأ بفعل ـ جسدي ـ دخول العيادة ومغادرتها بذات الفعل دون تحول أو استجابة ما يجعل درجة قصديتها ثابتة دون تبدل على مستويات الفعل والشعور والاعتقاد . فما يتم من تواصل بين (الطبيب) و (الزائرـ المريض) يدخل في عينة التبادل الكلامي دون تفاعل تأثيري ، وفعل (القصدية) له تحققه مسجل بتحقق الاتصال المشترك ، عبر التعرف على نواميس اللغة الاتصالية المحكية وأبعادها التعبيرية لدى (المتكلم) و (المخاطب) بيد أن تلك الثنائية في انقطاع وقصدية (الطبيب) فليس له أن يوصل (قصده) الى (الزائر) لتكون أفعال التعرض الكلامي دون إجراء أو فعل لدى (الزائر) .

إن قصدية (الطبيب) بكليتها هو (الإصلاح / العلاج / النصيحة) وهي أفعال كلامية تتوزعها مساحات النص المسرحي لأدائها ، إضافة الى توافر درجة (الصدق) في مناولاتها الكلامية مع (الزائر) ، إلا أن مرد عدم التأثر أن الجامع النصي والفضائي والمعرفي لم يتيسر لكلا الذاتين ، فالفضاء (العيادة) خاصية لها عائديتها الى (الطبيب) في حين ينقطع (الزائر) عن

التواصل بأثر ما يطرح من أفكار ومعلومات في فضائها . ففي مقولات التداولية ما يصطلح بـ (محيط عرفاني متبادل) فالمتكلم ينتج فعلاً قولياً وفق المحيط المشترك بينه و (المخاطب) وهو ما يترشد به السجال الكلامي بين (الطبيب) و (الزائر) . الأمر الذي يذهب بتحولات فعلية أثر اختلاف المرجعيات المتباينة ، إذ لا جامع بين (الطبيب) و (الزائر ـ المريض) حتى يذهب بالنص المسرحي الى مستويات صراعية محتدمة ، ففي مشهد المسرحية الخامس المعنون (لعبة كلمات) تسدد أدوات الاتصال الى فضاءات خارج مقاصدها لدى (الطبيب) وتنحرف بدورها من قبل (الزائر) وطباعه الأحادية :

الطبيب : تعال . عد الى مكانك .

(يقوده برفق الى الأريكة)

الزائر : ليتك تمسكه

الطبيب : أمسك من

الزائر : مثله تماماً

ببم باه ... ببم بوه ... ببم بيه

أعمى أصم أبكم

الطبيب : قل لي : أين هو وأنا أفعل

الزائر : تأخرت . عبر مدينته

الطبيب : أيبغضك ذلك .

الزائر : أنت معي أم معه .

الطبيب : لست ضدك

الزائر : يعني أنت معه

إذن أنت ضدي

الطبيب : دعك من تخريجات الكلمات

الشبح : (يظهر وهو يحمل كتاباً ولوحةً)

مولع بلعبة الكلمات . ص84-85

فالكلمات ذات (قصدية) زائفة في عرف (الشبح) فيما يتواصل (الزائر ـ المريض) مع (الطبيب) محض كلمات متواترة دون (صدق) ويتأسس على ذلك ما أسماه بعض التداوليون بـ (التواصل النفي) وفيه فعل الاتصال الكلامي لم يتوافر له بعد مهداً وعتبات وذلك ما يشيع في مجمل حوارات (الزائر) مع (الطبيب) ويتأتي أيضا من أن أداء الكلام من (الزائر) وحواراته جاء خارج قوانين (الاتفاق اللساني) . فثمة أفعال ولعب لغوي وصوتي وفي متون (الملائمة) التداولية تشترك جملة عناصر لخلق فضاء للتواصل والفهم أو التأويل . فلكل عنوان ثلاث أفعال :

أ. المدخل المعجمي : يخص جميع المعلومات المتعلقة بعنصر معجمي ما ....حيث يضم المعلومات الصواتية والتركيبة .

ب. المدخل المنطقي : يتضمن معلومات عن بعض العلاقات المنطقية .

ت. المدخل الموسوعي : يضم كل المعلومات التي نكونها حول موضوعات أو أحداث أو خصائص تقترن بمفهوم معين(25)

ويؤشر تبوء المدخلين (المنطقي ـ الموسوعي) في تواصل (الطبيب ـ الزائر) فهما في فسحة مشتركة من القصدية والدفاع عن مفهوم بذاته مثل (الرقم 13 ، كرة القدم ، بطاقة المعلومات الفرد والجمع) .

فيما هما في تقاطع في فضاء (المدخل المعجمي) فالشخصيتان (الطبيب ـ الزائر) دون تفاهمات معجمية فثمة مستترات ذاكراتية تخص (الزائر) ومنظومته الصوتية كما هي في تكررات تفوهات :

1 ـ دم ، دم . دم

تك تك تك ص/ 63

2 ـ ببم باه ـ ـ ببم بوه . بيم بيه . ص/ 74

3 ـ ببم باه . ببم بوه . ببم بيه . ص/ 84

4 ـ ببم باه ـ ـ ببم . ص / 98

5 ـ ببم باه . ببم بوه ـ ـ ببم بيه ص / 105

أن تواصلات (الطبيب) مع (الزائر) في مسار متقطع . إضافة إلى عدم قدرة (الطبيب) وإجهاده من بعد في (الإقناع) بتعزيزات واحتياطات لغوية مما صيَّر من ذلك درجةً أكثر ضعفاً أو ما يؤشر بـ (الملائمة الضعيفة) بينهما فما يتلفظه (الزائر) من أفكار وإدارات فعلية ، تظل بعيدة المنال من تخوم الاستقبال لدى (الطبيب) فهو ـ أي ـ (الطبيب) وفي مجمل أفعال الكلام موقوفٌ بالتساؤل والتعجب والاستفهام . اتجاه (الزائر ـ المريض) رغم وضعه اليد على ملفه الصحي لما لشخصية (الزائر) من ذات مقنعة وفق أفعال درئها عن أفكارها الأحادية ، واستمرارها في ارتكاب معاصي وجرائم ضد القيم الإنسانية . فيما بقيت شخصية (الطبيب) ذات معايير وسلوكيات ثابتة .

ولعل تفوهات (الزائر) والعابة اللغوية تلتزم واحدة من أهم تواصلات الأفعال الكلامية في بعدها الإنساني ، فالمتكلم وهو في سبيله لطرح حقائقه الذاتية يلتزم جهوزية في بنية لغوية سليمة ، لفظاً واداءا وتواصلاً طبقاً لنسق القيم اللغوية السائدة . ليكون (المخاطب) في حاضنة اتصالية واحدة مرشحة بمعنى أو فضاء أو فعل تفاهمي ما .

أن تفوهات (الزائر) تستبقى خارج حدود (التقعيد اللغوي) و (التوافق الاتصالي) ووفق (فيتجنشين) ثمة قيمتا الصدق والكذب . فقد لا يكون القول صادقاً ولا كاذباً ... وإنما قد يكون خالياً من المعنى . فإذا كان الأول يمكن التحقق منه . أما الثاني ، القول الخالي من المعنى ،فهو غير قابل للتحقق منه،إلا أنه غير قابل للتأييد ولا للتنفيذ ما دام لا يصور شيئاً (26)

ورغم تواصل (الزائر) مع (الطبيب) طوال أحداث النص المسرحي . فإنها ذات سمة قيمية تتعدى حدود الصدق ، غير أنها في حواراتها وأفعالها الكلامية مع (الشبح) تبدو أكثر صدقاً ،

ذلك أن (الشبح) هو ظل لصديق أو أخ له أشواطه الحياتية الطويلة مع (الزائر) ودخول الشخصية هذه في عتبة النص الأولى هو بتأثير شخصية (الشبح) وهي الأكثر تأثيراً وإنتاجا للأفعال من (الطبيب) رغم حضوره المؤسساتي والفيزيقي . أن صدق (الزائر) وكذبه يمكن الاستدلال عليه في أفعال كلامه وشخصية (الشبح) غير أن تفوهاته مع (الطبيب) لا يمكن الوقوف عند حدودها الاتصالية باعتبارها تلفظات خالصة لا تهدف الى اتصال ما

1 . فرفر ...فرفر

2 . ور ...ور ..ور ..ور

3 . وز .. وز ..وز ..وز ..ص/ 29

ورغم إن (الصوتيمات) لم تذهب الى نقطة ابعد من الأداء الصوتي ، غير أننا وعلى مستويات الطبقات (المقامية) في درجة (ملائمة) متعادلة بين شخصية (الزائر) و(الشبح) فثمة تاريخ ثقافي ـ جامع بينهما بدلالة مدونات سجل العلاقة القائمة قبل استئناف المتن الحكائي ولأفعاله ويتشاطر (الزائر) و(الشبح) علاقة صداقة من قارب من معابر الاتصال والاستجابة والتفاعل . فالأداء الدرامي يكون في أعلى مدياته بدءاً من المشهد (الثالث) حتى (الحادي عشر) وتنفتح (تعادلية)(مقاميه) في التخاطب بين (الزائر) و (الشبح) فكلاهما في معايشة للآخر مما جعل من تلك (الصوتيمات) ذات تواصل وتأثير لدى (الشبح) . وتظل موضع (تعجب)لدى (الطبيب) بأثر السلم المقامي بينهما

الزائر : (يفزمن مكانه .....ينهض

يمشي خلفه)

افيدك بعض الشيء

فرف فرفر .....

الشبح : كاذب

الزائر : (يطلُّ عليه من زاوية ثانية

ور ور ور ور

الشبح : منافق

الزائر : (من زاوية ثالثة)

وز وز وز وز

الشبح : محتال

الزائر : (يقف مغشيا عليه)

لم يسمعني أحدٌ

كل الوجوه تحمل وجهه

عييت

(يئن .....يتألم)

الشبح : تستعدي على الآخرين

الى هذه الحالة وصلت . ص/ 92 ويتأسس على هذا ، إن وظيفة الاتصال تتم بحوارات الشبح ، كاشفة عن عمق ما يتقنع به (الزائر) حيث لم ترد في أفعال الكلام بينه و (الطبيب) دلالات قيمية وإدانات خلقية مثل (كاذب ، منافق ، محتال) ويأتي ذلك فيما يتجاور (الزائر) مع(الشبح) الحامل لتاريخ والمسجل لوقائع تخص صديقه السابق (الزائر) . وتبقى تلك (تفوهات) دون رد سايكولوجي من قبل (الشبح) في وقت أوقفت ذاتية (الطبيب) في أفعال كلامية عمادها الاندهاش والتعجب ، وفي فضاء (شروط التوافق) التي تعني إن كل فعل كلامي يجب أن يربط بمضامين قضوية ، فان تلك (التفوهات) لا تحمل بعداً ينشد فعلا له أداؤه من التواصل عبر أفعال كلامية .

وبإحصاء تلك التفوهات .نجد أنها أكثر عدداً في تقابلات (الزائر) مع (الشبح) وعند (جاك دريدا) (يأتي مفهوم (الشبح) حاملا ومدونا لصور الأشخاص الماضية في اللحظة الراهنة ، انه تحقيق العائد في هذه اللحظة من ماضٍ سحيق . كما أنها المقلوب أو المعكوس ، المقلوب هو (القلب) بالمعنى الحقيقي والمجازي لمفرده (القلب) : لب الشيء ومقلوبه . أو جوهر الشيء) (27)

وتقارب مستويات (المقامية) بين شخصية (الزائر) وصديقه السابق (الشبح) ومساحة (الملائمة) بينهما يحقق درجة متقدمة من (النجاح التداولي) (وعلى ذلك فان الشروط المناسبة والملائمة يجب أن تعطى في حدود أو ألفاظٍ ألخواص المجردة للسياقات المحدودة في البنيات النموذجية التداولية) (28)

ان الفعل الكلامي لشخصية (الشبح) في محاولاتها القائمة على (الإقناع) بتخلي شخصية (الزائر) عن الماضي الشائن ، تعد أكثر حراكاً وتأثيراً في أفعال (الزائر) مقارنة بأداء شخصية (الطبيب) المتوافرة على مستويات (مقامية) تتقدم بها على شخصية (الزائر ـ المريض) . أما شخصية (الشبح) فأنها ذات إشارات معلومة وكامنة في ما تحمل شخصية (الزائر) من أفكار وتاريخ عماده الانحراف والخيانة والتقنع .

وفي ثنائية (القول) و (فعل القول) تشترك شخصيتا (الطبيب) و (الشبح) كل على انفراد في أداء (فاعل القول) اتجاه (إقناع) (الزائر) بالعدول عن أدائه القيمي .

وتنوعت رسائل القول بين (الملفوظ) و (المكتوب) فعند النهاية يدون (الطبيب) رسالة / توصية إلى زملائه في المؤسسة الصحية بملاحقة (الحالة المستعصية)

كما تتنوع سبل الاتصال أو (فعل القول) فثمة تواصل ثنائي ، شخصية شخصية عبر تقانة الحوار الشكل الأكثر هيمنة في تاريخ الاتصال بين الأفراد .

ويتخذ النص نمطا تواصليا يوقف داخ ل الشخصية حين تتشوف في دواخلها محققه درجة من الكشف . ويمثل (المونولوج) دالة ذاتية ذاتية يتقدم فيها فعل الاتصال مع المتكلم في مرآته في السايكولوجية ويزدوج فيها (فاعل القول) مع (فاعل فعل القول) كما في (مونولوج) (الزائر) مع ذاته في مشهد المسرحية (الحادي عشر) (رأيت وسمعت) :

الزائر : عربتي مقعده

لا استطيع زحزحتها
كلماتي اضعف من ان
تعيد إليها الحياة
لولاكم يا من أبغضكم
ما كانت وكنت
صدري مملوء
سيتحول ما بداخلي
الى سم قاتل
على من أفرغه ص/102

ويسجل النص أعلاه جمله أعمال لغوية منها (الوعد) باتخاذ فعل ما إزاء (من يبغضهم) كما في فعل (سيتحول ما بداخلي) وهو ما يصطلح عليه لدى (اوستن) بـ (الوعديات) التي تلزم المتكلم بالقيام بتصرف بطريقة ما مثل (الوعد والموافقة والتعاقد والعزم والنية والقسم والأذن والتفضيل) (29)

وللنص الراشح من ذات (الزائر) قيمته من (الصدق) فالحوار الذاتي اقرب الى البوح والإعلان مع الذات إزاء حضور (الآخر) (المخاطب) .

أما تحقيق الغرض (الوعد) فان (الفاعل) (الزائر) لم يأتي بعد في تحقيق النجاح الكامل (لوعده) في جملة (على من أفرغه) أن فعلا مثل (الوعد) يعد فعلا مركبا داخل النص المونولوجي ويشترط في تحقيقه الاستعانة بأفعال (مسانده) لتحقيق (الوعد) . فثمة (شكوى) حيال عطب الأشياء والوسائل المعدة للفعل

عربتي مقعده
لا استطيع زحزحتها .

كما أن جسم (الفاعل) (الزائر) في عجز ووهن لإنتاج فعلٍ تأثيرا على (من يبغضهم)

كلماتي اضعف من أن
تعيد إليها الحياة
.....
صدري مملوء
سيتحول ما بداخلي
الى سم قاتل
.....

وعلى مستوى قوة (فعل الكلام) فإن لقيم (الصدق) كونه وسيلة انطلاق لاستجابات وأفعال . فإن النص يطرح ما تعارفت عليه متون (التداولية) بـ (نسبة الصدق) يجد التداوليون ليس ثمة صدق مطلق او كذب مطلق وفق إشارة سوسيولوجية تسجل (أن لكل مقام مقال) . إلا أن درجة ونسبة الصدق في نص المونولوجي تبدو ملحوظة في تبني حوار الذات لذاتها دونما

اشتراطات للتخاطب ومسميات الملائمة / المقامية ، النجاح ، الفاعلة في تواصل (الأنا) مع (الآخر) .

ونص مسرحية (حالة مستعصية) يعتمد بعداً شاملاً في تثبيت طرق التراسل بين الأقطاب الثلاثة :

الطبيب ⇄ الزائر

الطبيب ← الشبح

الزائر → الشبح

الزائر ⇄ الزائر

فلشخصية (الطبيب) أفعالها القولية من المعلومات والمقاييس ولها نصيبها من (الصدق) أما شخصية (الزائر) فأنها مختومة بمدونات سلوكية مائزة هي اقرب الى (الكذب) في تواصلاتها مع محيطها السوسولوجي وشاغلية (الطبيب) (الشبح) .

أن أشواط (العلم) في تجريبية وتبدل وتصحيح فهي في حكم اللا ثبات . أما نواميس (الزائر) وقيمته فأنها مقيدة وثابتة كونها اقرب الى الفكرة المتبناة أو الأعراض المستعصية العلاج وهو ما يلزم الذات بتعاطيها وفضاء الأدائي / لفظ وفعل . أن اعتبار الإنسان خطاء (لا يستلزم ألبته أن الخطأ محتوم وانه دائم ، أو أن الشك معصم ودائم) (30)

ونص مسرحية (حاله مستعصية) بدءا من العنوان يدون حركات الأفعال الكلامية الموزعة بين (العلم) و (الفكرة) وفي توقير (العلم) إزاء أفكاره الهلوسة والرثاثة السلوكية . فالشرير (الزائر) يبقى لدى معطيات وتجاذبات النص دون إزاحة قيمته . بدلالة (تقرير المصحة) ومناشدة (الطبيب) لمتابعة حالة (الزائر ـ المريض) (المستعصية) وامتلكت شخصية (الزائر) كفاءة أدائية في تصارعاتها وعلى أكثر من جبهة قولية (الطبيب) و (الشبح) إضافة الى تنوعها القولي بين الحوار الموضوعي وبين الحوار الذاتي (المونولوج) معلنه عن منتجها لأفعال الكلام المتوزع على خارطة النص المسرحي من (اعتراف ، درء ، ندم ، تشفى ، طلب ، المعونة) :

الزائر : عزلة قاتلة

أردت عزلة فعزلت نفسي

سهامي ردت الى صدري

اقبع في مكاني

اثخنت روحي

بعيداً عن أخواني

أصحابي ....أحبابي

مدوا إلي أيديكم

خلصوني مما أنا فيه

اكتشفت أن حواسكم حية

وأنكم في الطريق الصحيحة
لو أكون بينكم
تعالوا
لعلكم تفلحوا معي هذه المرة
أو اصدق مع نفسي ص/ 101

ولان الذات في تكافئ وذاتها في أفعال الاستجابة والتخاطب والمقامية ، أتت منولوجات (الزائر) مع ذاته الأقرب الى الاعتراف / البوح / والكشف مقارنة وحواراته مع (الطبيب) و (الشبح) وإذا ما اعتمدت شخصية (الزائر) دالة (قولية) في أفعالها الكلامية في رد أفعال (الطبيب) و(الشبح) فأنها في منولوجاتها لا تعتمد المجازات قدر التصريح فاحتكام الذات الى سياقها يستبعد تلك الأفعال أو الدلالات الى لا تجاور منسوبها ومستوياتها (المقامية) إن تواصلية (فاعل الكلام) (الزائر) مع ذاته وفق نمط ال (بين ـ ذاتي) حاملا لدلالات اسلوبية فارقة وحواراتها وفاعلي الكلام (الطبيب) و (الشبح) إضافة إلى ما اسماه التداوليون بـ (المبدأ التعاوني) في تبادل المتكلم والمخاطب أساليب عرفية مشروطة من حيث (الإقناع ـ القصد ـ الهدف) فان شخصية (الشبح) وفق ذلك الأقرب الى (الزائر) من (الطبيب) .

وللنص المسرحي منتجه ومفهوم (المنولة) ، غاية أداء فعل ما وتواصله في متن النص ، فان فعل مثل (الإقناع) فعل له تمركزه في تنشيط منظومة أفعال الكلام وتنوعها . فكان المشترك الفعلي لحوار وحجج الشخصيات الثلاثة ، وله ديمومية في مبنى ومتن النص الحكائي بدءا من المنفتح القولي والفعلي (قتلته) وحتى نهاية النص الى اتخذت سمة مفتوحة ، حين يسلم (الطبيب) بعدم نجاحه في علاج (الزائر ـ المريض) مما يؤكد ديمومة زمانية لأفعال أخرى متوقعه كما يدل متن العنوان الأكبر للنص (حالة مستعصية)

وفعل (الإقناع) الأكثر حضوراً في متن النص ، له تناسله الدلالي (إقناع الذات ـ إقناع الآخر ـ قيمي ـ إقناع سريري) .

نقلت المحاضرة من الموقع:

https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwielrHb5Pr-AhWFUqQEHUvYAwoQFnoECBkQAQ&url=https%3A%2F%2Fwww.ahewar.org%2Fdebat%2Fshow.art.asp%3Faid%3D709128&usg=AOvVaw33Wi5VnW0zjKl-TNJIG1Ok

المحاضرة الرابعة عشرة: مبدأ التأويل المحلي

المحاضرة الرابعة عشرة: مبدأ التأويل المحلي

-الاتساق

ـ تعريف الاتساق ـ الاتساق الدلالي والتركيبي مثال الانطلاق:

"شاع في النقد الحديث البحث في الأصول الاجتماعية للعمل الأدبي أو تفسير الأدب بالنظر إلى أصوله الاجتماعية وتعليل نزعة الأدب بالنظر إلى موقعه الاجتماعي .وفي عملية التفسير هذه

،يوجه أنصار هذا الاتجاه اهتمامهم نحو مضمون الأثر ،لأنه أقدر على إبراز الدلالات الاجتماعية أو التاريخية أو النفسية فيه ،ومن هنا كان بحثهم في مسألة تأثير البيئة والوسط الاجتماعي في مضمون الأثر الأدبي الذي لا يعدو أن يكون تعبيرا عن موقف اجتماعي محدد،واستجابة لموقف الطبقة التي يجد الأديب نفسه فيها ،ولذا لا يمكن أن يعد الأدب حدثا فرديا ، بل هو حدث اجتماعي يرتبط في شكله ومضمونه واتجاهاته الفنية بظروف المجتمع وتياراته المختلفة"

-ملاحظة الأمثلة:

جمل النص تخضع لعملية بناء منضمة ومترابطة تركيبيا ودلاليا، كل جملة تؤدي إلى الجملة اللاحقة وقد تحقق هذا التعالق بواسطة أدواة ووسائل لغوية ،ويعرف هذا الترابط المنظم بين الجمل بالاتساق وهو الذي يضمن تماسك النص وتمييزه عن اللانص وقد ساهمت في عملية الاتساق مجموعة من الوسائل والأدوات النحوية والدلالية وهذا ما جعل الاتساق يكون تركيبيا ودلاليا.

فالاتساق التركيبي تم عبر عملية الوصل بين الجمل إما بالعطف (و ـ أو)أو بالموصولية (الذي ـ التي)أو التعليل (لأنه ـ لذا)أو الاستدراك (بل.(

والاتساق الدلالي فقد تم عبر الإحالة ووظف فيها الكاتب الضمائر (الهاء ـ هو- هم) وهي تحيل على ما سبق أي إحالة قبلية ،وأسماء الإشارة (هذا ـ هذه ـ هنا)وهذه الأسماء منها ما أحال على سابق (وفي عملية التفسير هذه)أي إحالة قبلية،ومنها ما أحال على لاحق (يوجه أنصار هذا الاتجاه)أي إحالة بعدية.

فالضمائر وأسماء الإشارة حققت اتساق النص بربط السابق باللاحق واللاحق بالسابق، كما أنها تحيل على عنصر موجود داخل النص(عملية التفسير هذه) وتسمى إحالة نصية أو مقالية ، وقد تحيل على عنصر خارج النص (يوجه أنصار هذا الاتجاه)وتسمى إحالة مقامية.

خلاصة:

الاتساق ذلك التماسك الحاصل بين المفردات والجمل المشكلة للنصّ، وهذا التماسك يتأتّى من خلال وسائل لغويّة تصل بين العناصر المشكلة للنص ، وهذه الوسائل اللغوية حققت الاتساق التركيبي والدلالي بين عناصر النص.

الاتساق التركيبي:ويتحقق بوسائل لغوية كالوصل الذي يكون بأدوات الربط (و ـ أو ـ ف ـ ثم (... والأسماء الموصولة(الذي ـ التي ـ الذين ...) وحروف التفسير (أي ـ أعني ـ أقصد...) وتحقق الربط عبر عملية الوصل بين متواليات النص .

الاتساق الدلالي :ويتحقق بالإحالة وهي علاقة دلالية بين عنصر محيل وعنصر محال إليه وبهذا تكون إحالة قبلية عندما تحيل إلى ما سبق ، وإحالة بعدية عندما تحيل إلى العنصر اللاحق،كما تكون الإحالة مقامية عندما تحيل إلى عنصر خارج النص وإحالة مقالية أو نصية عندما تحيل إلى عنصر داخل النص.

ومن الوسائل اللغوية المعتمدة في الإحالة نجد الضمائر وأسماء الإشارة.

-2الانسجام

تعريف الانسجام ـ مبادئ الانسجام ـ عمليات بناء الانسجام أمثلة الانطلاق:

"إن مؤرخي الآداب العرب ، وإن اتفقوا على القول بتأثير الوسط الاجتماعي في الأدب العربي الذي يظهر فيه ، لم يتفقوا على أي العوامل الاجتماعية يؤثر أكثر من غيره في الآداب ،فذهب زيدان والزيات إلى أن العامل السياسي هو المؤثر الأقوى في الأدب (...) ولكن طه حسين لم ير في ذلك رأيهما ، إذ العامل السياسي عنده لا يعدو أن يكون مؤثرا من بين مؤثرات أخرى عديدة في الأدب (...) وأما الرافعي فإن العامل السياسي عنده يؤثر في الأدب حينا ، ولا يؤثر فيه حينا آخر .

حسين الواد " في تاريخ الأدب ـ مفاهيم ومناهج " المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت 1993 ط3 ص 76

-ملاحظة الأمثلة:

بقراءة النص يتبين أنه تحققت فيه شروط الاتساق تركيبيا ودلاليا ومعجميا عبر روابط ووسائل لغوية.

وبتمعن مضمونه نعرف أنه نص نقدي يتناول قضية تأثير الوسط الاجتماعي في الأدب العربي ،فمكونات النص تجمع بينها علاقات متينة يدركها المتلقي، ويستطيع تأويلها تأويلا مناسبا ،وهو ما يحقق انسجامنا مع النص.

وهذا الانسجام تم عبر عدة مستويات أو مبادئ وعلى رأسها:

مبدأ السياق :فعند قراءة النص عرفنا أنه نص نثري نقدي ويركز على قضية نقدية محددة وهي أي العوامل الاجتماعية أكثر تأثيرا في الأدب العربي.وهذا قربنا من النص وجعلنا ننسجم معه

وهناك أيضا التأويل المحلي :ويتجلى ذلك من خلال قدرتنا على تأويل ما جاء في النص من مفردات تجمع بينها علاقات جعلتها منسجمة مع بعضها ومع القارئ فمؤرخي الأدب العربي نجد منهم في النص (طه حسين وأحمد الزيات وزيدان ثم الرافعي)وكلهم اهتموا بقضية تأثير الوسط الاجتماعي في الأدب العربي.

وبقراءة النص نجده يتشابه مع نصوص نقدية أخرى تهتم بالجانب الاجتماعي في الأدب العربي ،كالتي رأينا في درس النصوص ("علم اجتماع الأدب" ، لحميد لحمداني(،فتحقق الانسجام من خلال مبدأ التشابه.

وبقراءة النص نجده يتمحور حول تيمة مركزية تتكرر عبر النص وهي الأدب العربي محور الدراسة في النص وفيه تصب كل المحاور الجزئية المطروحة في النص ،فتحقق الانسجام عبر هذا المبدأ مبدأ التغريض)الكلمة المحور.(

وبتتبع مبادئ الانسجام المحصلة نجد أنها تحققت عبر مجموعة من العمليات التي قربت بين النص والمتلقي وأول هذه العمليات المعرفة الخلفية ،وهي المخزون الفكري والثقافي الذي يجعلنا نفكك ونأول المفردات المختزلة في النص فنتعرف دلالاتها وأبعادها الفكرية (تاريخ

الأدب ـ الوسط الاجتماعي ـ طه حسين ـ العامل السياسي.(..
وهذه المعرفة الخلفية تمكننا من تنظيم أفكار النص من العام إلى الخاص حسب الأهمية فالنص دراسة أدبية نقدية تهتم بتاريخ الأدب العربي ،واختلاف المؤرخين حول أي العوامل الاجتماعية يؤثر أكثر من غيره في الآداب ،وكل هذه الخطوات تمت عبر العملية التنظيمية.

خلاصة:

الانسجام في اللغة هو ضم الشيء إلى الشيء، و في الاصطلاح هو مجموع الآليات /العمليات الظاهرة والخفية التي تجعل قارئ خطاب ما قادرا على فهمه وتأويله،وهناك مجموعة من المبادئ والعمليات التي تساهم في تحقيق الانسجام:

مبدأ السياق :ويتشكل من علاقة النص بالقارئ مما يمكنه من تحيد ظروف القضية وزمانها ومكانها...

مبدأ التأويل المحلي :ويرتبط بقرائن النص التي يؤول بعضها بعضا ،فنعرف موضوع النص والعلاقات والقرائن التي تربط بين عناصره .

مبدأ التشابه :ويتم ذلك عبر تشابه النص مع نصوص أخرى في القضية التي يقاربها.

مبدأ التغريض :ويقصد به الموضوع الرئيسي/ [النواة الرئيسية] الذي يتمحور حوله الخطاب المدروس.

وهذه المبادئ ساهمت في تحققها عمليات أساسية ساهمت في بناء الانسجام منها:

ـ الخلفية المعرفية :وهي ما يحمله المتلقي من معلومات ومعارف تمكنه من التأويل والتفسير والتحليل.

ـ الخلفية التنظيمية : وهي ما نستحضره من تمثلات حول النص مرتبة بانتظام كتحديد مجال النص وجنسه ونمطه وخلفيته النظرية، مما يساعد على فهم النص والانسجام مع معطياته.

انظر الرابط:

https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwjL0dDg5fr-AhUmUaQEHQ7rBU0QFnoECAsQAw&url=https%3A%2F%2Fwww.startimes.com%2F%3Ft%3D17655506&usg=AOvVaw0KKfMQYn9D_cfguE-AZjzz

المحاضرة الخامسة عشرة: المعرفية الخلفية،ـ الأطر،ـ المدونات،ـ السيناريوهات.

المحاضرة الخامسة عشرة: المعرفية الخلفية،ـ الأطر،ـ المدونات،ـ السيناريوهات.

بالعودة إلى الألفية الجديدة، من بين الحقول المعرفية السريعة التطور في اللسانيات المعاصرة نجد اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب. فكلا الحقلين حديثان ومبتكران، نسبيا . وكلاهما يزعمان أنهما يمنحان توجها جديدا جذريا في دراسة اللغة والتواصل .وهما يحققان هذا المسعى من خلال توسيع التصور التقليدي للغة باعتبارها مجالا يدرس لذاته. وكلاهما انبثقا من

الدراسات البينية التي جعلت اللسانيات في صلب الاهتمام، ويتميز كلاهما بحماس روادهما، وبإحساسهم بعدم ملاءمة المقاربات الأخرى للغة. نتساءل من خلال هذه الدراسة عن مدى تقاسم التخصصين لأي أساس مشترك، وما إن كان بالإمكان التوفيق بينهما. ومن بين مسوغات هذا البحث السعي نحو استعمال المنهج المقارن من أجل إبراز المجالات الخاصة التي ينتمي إليها كلا التخصصين، وأيضا استثمار إجراء المقارنة لفحص بعض المزاعم المتبناة في كلا التخصصين.

تتجسد اللسانيات المعرفية بشكل أفضل في أعمال فوكونيي 1997-1994*Fauconnier* وجيرارتس *Geeraert*ومع كروندلارس 1994 *Grondelaers*وباكما وجيبس1994*Gibbs*وجونسون 1987 *Johnson*ولايكوف *Lakoff*وجونسون1980، 1999، ولايكوف 1987، ولانكاكر1987 *Langacker*، 1991، وسويتسر *Sweetser* 1990، فوكونيي وسويتسر 1996، وتورنر1991 -1987*Turner*، ولايكوف وتورنر 1989 من بين آخرين. وتعتبر مقدمة أنجرر*Ungerer*وشميد 1996*Schmid*جيدة، وإن كنت أزعم في هذه الدراسة حصول بعض المعرفة بالتخصص (لدى القارئ)، غير أنه لا مناص من تقديم بعض الأفكار المفاتيح. وهي كالتالي:

تتبنى اللسانيات المعرفية في وصفها للعلاقة بين العالم واللغة من جهة، والفكر من جهة أخرى، موقفا تجريبيا .وبالتالي ضد-موضوعي، ولهذا الموقف نتائج بعيدة المدى بالنسبة إلى مسائل الإحالة والعائد والإشارة والقوة التداولية والمقُوَلَة والمعْجَمَة والدلاليات المعجمية. والكثير من هذه النتائج بصدد التطور في الوقت الراهن .تقتضي إعادة التقييم الأساسية التي قدمتها اللسانيات المعرفية رفض الثنائية الديكارتية، وتوحيد الذهن والجسد، مع النظر إلى اللغة والفكر -والصياغة التصورية نفسها- باعتبارهما مجسدنين. تجد تجربة الجسدنة تحققا وظيفيا في البنيات الاستعارية (النماذج المعرفية المؤمثلة، واختصارا: ن م م) التي تتحقق في الاستعارات المشتركة والجديدة وفي العبارات. يقتضي التواصل المواضعاتي الاحتكام إلى نماذج معرفية مؤمثلة (قد تكون كلية (وخطاطات الصورة، من خلالهما نبنين فهمنا للعالم، ومن خلالهما نبنين تصورات جديدة. وهكذا تتكون معرفتنا بالعالم بواسطة ومن خلال هذه الاستعارات التصورية. إلى حد أن التصورات المجردة والجديدة تُفْهَم بشكل متشاكل من خلال تلك الاستعارات التصورية. كما أن سيرورةَ المقُوَلَةِ ذاتها تتشكل من خطاطات المستوى الأساس. وتُنَظَّمُ بكيفية تبرز آثارا طرازية. والوحدات من قبيل المقولات الشعاعية يمكن الحكم عليها باعتبارها مركزية أو هامشية، وتُصَنَّفُ استنادا إلى درجة "تمثيليتها". لقد صاغت اللسانيات المعرفية قيودا بخصوص الترابطات الاستعارية، وغدا هذا الإطار قادرا على ملامسة حدوس الاستعمال اللغوي. ومن بين التطبيقات البينية المتعددة للسانيات المعرفية نجد المجال الفرعي المسمى بالشعريات المعرفية الذي يستكشف نتائج أفكار اللسانيات المعرفية في إطار التحليل الأدبي.

(1989) وكالداسك يتجسد التحليل النقدي للخطاب في أعمال كل من بيرش

كولتهارد(1996)وفيركلاف (1995،1989، 1995 ب) وفاولر وهودج وكريس وتريو

(1979) ، فاولر (1981،1986،1991)، كريس هودج (1979)، هودج وكريس 1988)،تولان(1996) من بين آخرين. وبخصوص القضايا المفتاحية في التحليل النقدي للخطاب فهي كالتالي:

تعتمد المقاربة بشكل أساس على اللسانيات الوظيفية النسقية لدى هاليداي1985 Halliday، بغاية فحص بلاغة وإيديولوجية المؤسسات من قبيل الإعلام والحكومة والسياسيين وأجهزة التحكم والنصوص ذات التأثير الشعبي من الروايات الخيالية إلى اللوحات الإشهارية. لقد تطور التحليل النقدي للخطاب انطلاقا من حركة النقد اللساني لسبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، واتسع مداها إلى سيميائيات اجتماعية وتنويعات من مقاربات نقدية لمجموع شامل من الخطابات. يعتبر تحليل فيركلاف ذا توجه ماركسي ظاهر، حيث يشدد على مسؤولية الممارسة الأكاديمية في الكشف عن الإيديولوجيات الكامنة للمؤسسات المهيمنة والمتحكمة. يتأسس ذلك على إطار مستند إلى ثالوث تحليلي:

- تحليل النص المنطوق والمكتوب
- تحليل الممارسة الخطابية للفعل الإنتاجي والتأويلي
- تحليل مموضع سياسيا للممارسة الاجتماعية (فيركلاف 1995أ: 133.(

يعد التحليل النقدي للخطاب حليفا (تحديدا في عمل تولان (1996 Toolanللتوجه الإدماجي (تبعا لهاريس1981 Harris، .(1987مما يعني أن أبعاد التجربة التواصلية من قبيل السياق وعلائق السلطة والمعرفة الخلفية لا توضع جانبا، كما هو الشأن مع اللسانيات التقليدية المبنية على أنساق القواعد، لكنها تعتبر جزء من دراسة كلية مدمجة.

تعتبر جذور وأسلاف اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب مسألة ذات دلالة. تتضمن اللسانيات المعرفية ممارسين بدؤوا باعتبارهم توليديين يشتغلون على النحو التوليدي التحويلي والكليات اللغوية في سبعينيات القرن العشرين. فبالرغم من دحض كثير من الكتاب الراهنين لتوجههم السابق، إلا أن البحث عن الكليات واللسانيات الكليانية والبحث عن البنيات التصورية ما زال توجها سائدا في اللسانيات المعرفية. غير أن هذا القلق الأوديبي تخْفُتُ حدته مع المنحى التطوري للتحليل النقدي للخطاب، فجذوره تمتد نحو الجناح اليساري في السياسة واللسانيات الوظيفية-النسقية، وما زال ذلك هو جدول أعمال كتاب هذا الاتجاه. ولقد أبان التحليل النقدي للخطاب عن اهتمام مستمر بالكشف عن الإيديولوجيات المحافظة والمعادية للديمقراطية في المؤسسات التحكمية، وفيالإعلام والنصوص ذات التأثير الشعبي. وإن كانت الأعمال اللاحقة للتحليل النقدي للخطاب قد أعادت مساءلة مسألة مدى صحة أو خطأ دراسة التحريفات النصية للواقع. وذلك استجابة لنقد نابع من التيار نفسه (من قبيل دراسة باترمان1981 Pateman، ريتشاردسن.(Richardson 1987

عموما، للسانيات المعرفية حلفاؤها في القارة الأوروبية و فيالولايات المتحدة، بينما تجد التحليل النقدي للخطاب شائعا بين الأكاديميين المشتغلينفي بريطانيا وأستراليا، وبالرغم من هذه الاختلافات الجغرافية والتاريخية لا نعدم نقاط التقاء على المستوى النظري.

2. .2مقارنة القضايا النظرية

ثمة اهتمام مشترك بين اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب يتمثل في اقتراح البنيات العميقة التي تجعلها العبارات اللغوية ظاهرة ومكشوفة، فحيث يجري التركيز في التحليل النقدي للخطاب على كيف تكون الملفوظات الفردية والعبارات تعبيرا عن الممارسات الخطابية الإيديولوجية (من قبيل تحليل مقالات المجلات النسائية، وتقارير الجرائد وقوانين الجامعة... وهلم جرا). نجد اللسانيات المعرفية توجه اهتمامها نحو كيفيات تعبير الملفوظات والعبارات الفردية عن استعارات تصورية (نحو "يغلي إناءه"كمثال عن استعارة " الغضب وعاء لسائل ساخن"). ويشدد التقليدان معا على مسألة مفادها أن المواضعات اللغوية ليست أمثلة للممارسة الاجتماعية فحسب، وإنما"يُشَكِّلُ" الاستعمال اللغوي الممارسة الاجتماعية (فيركلاف 1995أ: 131). يسلط التحليل النقدي للخطاب اهتمامه على كيفية بنينة مؤسسات الهيمنة لتفكيرنا المواضعاتي، وتركز اللسانيات المعرفية على إبراز الاستعارات التصورية المتحكمة في الاستعمال اليومي.بالرغم من كون التحليل النقدي للخطاب ذا توجه تدخلي (يسعى إلى إبراز الوعي بالتحكم من أجل مقاومته نقديا)، ومن كون اللسانيات المعرفية تهدف إلى أن تكون وصفية المنزع (تسعى إلى أن تكون مجرد أداة ميتودولوجية قابلة للاستعمال بكيفيات إيديولوجية متنوعة)، غير أنه ما من سبب يمنع من استعمال الإجراءات اللسانية للسانيات المعرفية لخدمة التحليل النقدي للخطاب. ولنا عودة إلى هذه المسألة لاحقا.

كل من اللسانيات المعرفية (تحديدا لايكوف (1987والتحليل النقدي للخطاب (فيركلاف 1995: أ) يعتبران توجها ضد-موضوعي للسلطة المؤسسة تصوريا للغة، وكلتا المقاربتين تشددان على التجربانية، غير أنه ثمة اختلاف في التعريف وفي تمثل مصطلح التجربانية. ففي اللسانيات المعرفية يستخدم المصطلح من أجل موضعة الصياغة التصورية في الجسد (لايكوف وجونسون 1980، 1999، لايكوف 1987، تورنر 1987، 1991)، والإعلاء من شأن التجربة المجسدنة في النماذج المعرفية المؤمثلة (ن م م). فمثلا المفهوم المجرد للزمن يجري تصويره كمقياس بشري ومكان ملموس، والمشاعر تُصَوَّرُ استعاريا بطريقة اتجاهية بواسطة حروف من قبيل "أعلى" و"أسفل" و"فوق" و"تحت "في علاقة بشروط أوضاع أجسادنا البشرية. فحيث إن المقولات والتصورات يتم تقاسمها بموجب النظام اللغوي نفسه الذي نشترك فيه، إلا أن الفرد يكون قد تعلم المواضعة بطريقة تجريبية، وإن كان ثمة عنصر مقترن بنظرية اجتماعية معينة يمكناستخلاصه من هذا الطرح،إلا أن التركيز يجري على الأفراد وعلى فضائهم الذهني المطبوع سلفا بالمواضعة الثقافية الصحيحة. يعد فهم التحليل النقدي للخطاب للتجربة أكثر دينامية وتفاعلية مقارنة بفهم اللسانيات المعرفية لها (ينظر تولان 1996 Toolan وإشاراته بخصوص المشاكل التي تعترض اللسانيات المعرفية في تعاطيها مع الاستعارات الجديدة والمبتكرة، وأيضا ستوكويل 1999 Stockwellبهذا الخصوص). لقد بيَّن تولان أن إقصاء اللسانيات المعرفية للنزعة الموضوعية لا يستقيم. يقول: "من الواضح أن إقصاءه (لايكوف (للنزعة الموضوعية المجردة ليس إقصاء للمقْوَلَة الجماعية نفسها، لكن بمثابة تشديد

على الجذور المختلفة للمَقْوَلة (التجربة، في الجسد) وكذلك على نمط مختلف من المَقْوَلة (طرازي... وليس مطلقا)، فباعتبارها إطارا ذهنيا مشتركا، تخضعالمَقْوَلة، بشكل حاسم، للمراجعة... ففي واقع الحال، قَدّم لايكوف "العنصر الأساسي في المَقْوَلة البشرية، بالنسبة إلى أشياء العالم بشكل مماثل لما قدمه النحو الكلي لدى تشومسكي بالنسبة إلى البنيات التركيبية للغات الطبيعية... ويسرد كتاب لايكوف (1987) مراجعات لما به تتحدد "العضوية في المَقْوَلة" (المقاييس المحدِّدة) إلا أنه لا يتخذ الخطوة الجذرية لمواجهة إمكانية أن تكون "العضوية" (المقولية) عرضية، تتنوع من حالة إلى أخرى استنادا إلى معايير قد تختلف من حالة إلى أخرى" (تولان 1996.(87-8 :

ثمة تعارض بخصوص ما يمكن للتجريبانية أن تعنيه، وكيف يمكن إخضاعها لبحث ميتودولوجي استقصائي.

تعتبر النزعة الإدماجية مدار كتاب تولان بشكل أولي، وهو غير معني بشكل مباشر بالتحليل النقدي للخطاب، وفي الواقع هناك تماثلات بخصوص استعمال مصطلح الطرازات والمَقْوَلة في اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب. فالنماذج المعرفية المُؤَمثلة هي بنية معرفية تتراكم بشكل تجريبي وبالتالي فهي مفتوحة دائما على معلومات جديدة، وهي كذلك مقترنة بمجالات أخرى للمعرفة في شبكة، كما أنها مطلقة الحضور في النشاط المعرفي (أنجرير وشميد 1996: 9-48). والمصطلح صيغة جديدة (لايكوف (1987لمصطلح الأطر وخطاطات المعرفة التي تطورت في أحضان البحث في الذكاء الاصطناعي في سبعينيات القرن العشرين. هكذا يربط فيركلاف التحليل النقدي للخطاب بهذه الأفكار، يقول: "من المفيد أن نفكر في الإيديولوجيا بدلالة الكيانات ذات المحتوى المتجسد في شكل سمات صورية متنوعة من قبيل الإطار أوالخطاطة أو المدونة، فمثل هذه المفاهيم لا تخلو من قيمة في هذا المقام) "شانك وأبلسون1977Schank and Abelson، فيركلاف 1995 Faircloughأ: 75.(

لقد بلور فيركلاف (1989) في بواكر أعماله الأولى مصطلح "موارد الأعضاء". و"موارد الأعضاء" ليست سوى بنيات معرفية تراكمية" يمتلكها الناس في رؤوسهم ويحتكمون إليها عندما ينتجون أو يؤولون نصوصا، بما فيها معرفتهم باللغة، تمثيلاتهم للعالم الطبيعي والاجتماعي الذي يقيمون فيه، قِيَمُهُم، معتقداتهم، مزاعمهم، وهلم جرا" (فيركلاف 1989 : .(24من الواضح هنا أن مصطلح "موارد الأعضاء" عند فيركلاف هو نفسه الصيغة التجريبية للنماذج المعرفية المؤمثلة. ولقد سبق فيركلاف(1989: 10) أن أحال على مصطلح موارد الأعضاء باعتباره مجموعة من "الطرازات" ضمن فقرة معنونةبـ"علم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي" رابطا تلك البنيات الذهنية بالبعد المعرفي. يقول: "نعتبر موارد الأعضاء التي يحتكم الناس إليها في إنتاجهم وتأويلهم للنصوص ذات صبغة معرفية، بمعنى أنها موجودة في رؤووس الناس، غير أنها اجتماعية، مما يعني أن أصولها اجتماعية". (فيركلاف .(1989:24 : ما يحظى باهتمام فيركلاف بالدرجة الأولى هو المظهر الاجتماعي، حيث يوظف انشغاله ذاك لدحض ما يجري التشديد عليه في اللسانيات المعرفية .يقول: "لا يفاجئنا عدم اهتمام علم النفس

المعرفي والذكاء الاصطناعي بالأصول الاجتماعية وبدلالة موارد الأعضاء. سنزعم لاحقا أن الاهتمام بسيرورة الإنتاج والتأويل مسألة لامناص منها من أجل فهم التعالقات البينية للغة، بين السلطة والإيديولوجيا، وذلك لأن موارد الأعضاء محددة اجتماعيا ومصاغة إيديولوجيا، وإن كان "الحس المشترك" والطابع الآلي الذي يميزها يخفي هذا المعطى. يعتبر اللجوء الاعتيادي واللاواعي لموارد الأعضاء في تعاملاتنا الخطابية العادية آلية قوية لدعم علائق السلطة التي تنطوي عليها(موارد الأعضاء)" فيركلاف1989:11.(

يلتقي النقد الذي صاغه فيركلاف في البداية مع ما دعت إليه اللسانيات المعرفية في تسعينيات القرن العشرين.وبيان ذلك أنه على المنوال ذاته الذي نظرمن خلاله فيركلاف(91:1989) إلى"الحس المشترك "باعتباره ' تطبيعا' مع مجموعة من الافتراضات الإيديولوجية، وبالتالي لا تُدرك على أساس أنها إيديولوجية البتة (بحكم آلية التطبيع)، نظرت اللسانيات المعرفية، كذلك، إلى النماذج الثقافية باعتبارها استعارات تصورية مشتركة، تشتغل باعتبارها نظريات شعبية تبنين علاقتنا بالمجتمع (هولاند وكوين .(Holland and Quinn 1987وإن حَرِص فيركلاف على مساءلة الاهتمامات المبكرة للسانيات المعرفية، يبدو لي أن مكمن الاختلاف مؤسس على تباين بؤرة الاهتمام، وهي إضافية ومكملة لا يرقى معها التباين إلى درجة الأطروحة المضادة. ويبدو أن فيركلاف يفضل إطارا يتم بموجبه تحويل الاهتمام من النماذج المعرفية المؤمثلة نحو النماذج المعرفية الإيديولوجية.

أشار فيركلاف إلى أن "الأطر والخطاطات والمدونات" كلها:"جزء من موارد الأعضاء تشكل إجراءات تأويلية ... وتتقاسم خاصية كونها تمثيلات ذهنية متغيرة إيديولوجيا" (فيركلاف1989:158). ما يمكن أن يشكل جوهر المقارنة بين اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب هو الوعي بالإيديولوجيا،بالإضافة إلى وضعية التحليل اللساني باعتباره منهجا علميا أو التزاما نقديا. وإن كانت بعض الأعمال المنضوية تحت لواء الفرع المعرفي للسانيات المعرفية المسمى بـ"الشعريات المعرفية" (تورنر1987 Turner، 1991، لايكوف وتورنر1989 Lakoff and Turner، دافيد فريمان 1993 .D. Freemanأ، وفريمان1997 (M.H. Freemanقد وجهت اهتمامها نحو التجلي الأسلوبي للاستعارات اللغوية، غير أن اللسانيات المعرفية عموما قد انشغلت أساسا بمسألة الترابطات الاستعارية الكامنة خلف العبارات الاستعارية. يعترف فيركلاف بِكَوْن الاستعارة مطلقة الحضور، وبالرغم من اهتمامه بالوظائف الإيديولوجية الكامنة غير أنه من خلال إطار اللسانيات النسقية قد أبدى اهتماما بالإيحاءات الإيديولوجية لمختلف الاختيارات الأسلوبية. يقول:"تعد الاستعارة أداة لتمثيل مظهر من مظاهر التجربة بواسطة مظهر آخر، وهي تنحصر في نمط من الخطاب تُقْرَنُ به عادة يتمثل في الشعر والأدب. لكن أي مظهر من التجربة يقبل التمثيل بواسطة عدد من الاستعارات، والذي يسترعي الاهتمام هنا هو العلاقة بين البدائل الاستعارية، لأن الاستعارات المتباينة تحمل ارتباطات إيديولوجية متباينة" (فيركلاف 1989: 119.(

يبدو لي أن ثمة اختلاف في الممارسات الراهنة لكلا التخصصين، لكن ذلك ليس مدعاة كي نمايز بينهما، فكما يتبدى من خلال أعمال الشعريات المعرفية يمكن توظيف اللسانيات المعرفية بشكل موفق، لمناقشة التنوع الأسلوبي بصورةتتوافق مع التحليل النقدي للخطاب.

يكمن الاختلاف الأكثر إشكالية في نظرة كل من اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب لماهية تخصصيهما. تنظر اللسانيات المعرفية بشكل واضح لا غبار عليه إلى نفسها باعتبارها علما يصبو إلى استكشاف ظاهرة طبيعية متجسدة في اللغة، وإنتاج أفضل رصد ممكن راهن لاشتغال نظام تلك الظاهرة الطبيعية في الذهن. يزعم فريمان (1993 ب) أن اللسانيات المعرفية في ذاتها منهج وليست ميتودولوجيا؛ أي أداة خالية من أي افتراضات إيديولوجية كامنة، يمكن توظيفها لخدمة مجموعة من المقاربات الإيديولوجية. تفسر اللسانيات المعرفية التفاصيل المتعلقة بمجموعة من التأويلات مُقْصِية بعض القراءات التي تفتقر إلى أساس معرفي. لكن ليس بإمكانها الاختيار بين تأويلات مختلفة لكيفية تطبيق استعارة تصورية معينة .يؤكد فريمان في ارتباط بالتأويل الأدبي مايلي: "بطبيعة الحال لا وجود لتأويل مطلق وكامل لعمل أدبي، سواء أكان الدليل لصالح التأويل مصدره الاستعارة المعرفية أم أي شيء آخر. ولا وجود سوى لتأويلات محتملة، والتأويلات الصحيحة متفاوتة في سلمية صحتها"(فريمان 1993أ:17.(

يكمن التحدي الذي صاغه فريمان في التساؤل بخصوص أي جزء من اللسانيات المعرفية إيديولوجي المنزع بشكل محايث. وبطبيعة الحال عندما ننظر إليها باعتبارها نظرية "خالصة"، حينئذ لا تملك إجابة عن هذا السؤال إلا بصيغة شديدة العمومية. بمعنى أن ثمة مسوغ إيديولوجي ضمني وراء اختيار ذلك الإطار المعرفي، غير أن الزعم أن اللسانيات المعرفية خالية من الافتراضات الإيديولوجية غير ذي أساس بحسب ظني. وهناك توافقات أساسية بخصوص استعمال مصطلحات من قبيل النماذج الثقافية والترابطات المواضعاتية للنماذج المعرفية المؤمثلة والطرازات المشتركة، وهلم جرا. والمنهج المشترك في أدبيات النقاش في اللسانيات المعرفية يتمثل في فحص العبارات المفردة بطريقة مفصولة عن المجتمع. وحتى إن لم تستبعد اللسانيات المعرفية البعد الاجتماعي، يبدو أن اهتمامها منصب على مسائل أخرى، وعمليا يعد ذلك اختيارا إيديولوجيا في ذاته. قد يصح القول إن ما يمكن اعتباره إيديولوجيا هو التطبيق وليس الإطار النظري، لكن بما أن الصيغة الوحيدة لمناقشة اللسانيات المعرفية لا تتحقق إلا بتطبيقها، فإننا بذلك لا نكون مسيئين للإطار إلا بشكل محدود جدا. وكما أشار إلى ذلك غروس(Gross(1997، تسعى التخصصات الجديدة إلى المبالغة بخصوص نزوعها الراديكالي وجدتها وابتكاريتها، ومن المحتمل أن تكون اللسانيات المعرفية، بهذا الخصوص، ضحية دعايتها الخاصة.

لقد قدم فريمان (1993 أ) منظورا صارما وإن كان ملطفا في صيغته: "غالبا ما يتم نعتي بنعوت من قبيل شمولي وجوهراني .أحسب أن هذه المصطلحات تعني التعميم وتجاهل الخصوصيات التي لا تنسجم مع النظرية". لقد تأسس عمل تشومسكي منذ البداية في النظرية اللسانية على دعائم هذا الخطأ... الذي بدونه لم يكن بالإمكان أن يحدث أي تطور في اللسانيات

المعاصرة... ألم يكن تشومسكي ذلك "الشمولي" غير الثائب من البداية. لم تكن لأية نظرية من قيمة ما لم تكن قد بدأت شمولية وجوهرانية وكليانية، ثم بعد ذلك تشرع في تأهيل مزاعمها تدريجيا نحو مراتب أخرى مع تطور البحث" (فريمان .(18 :1993

من المؤكد أن السيرورة الموصوفة أعلاه هي الممارسة المعمول بها مؤسساتيا في العلوم (حيث يتنافس العلماء للحصول على تمويل ذاتي جيد). لكن لنقل إن هذا المنهج العلمي لا يصنع سوى علم سيء. من المؤكد أنه قد سجل تاريخ العلم انتقالا من إطار تفسيري إلى آخر، لأجل تحسين الإطار المعرفي. غير أنه لا مفر من خلفية إيديولوجية وحافز لممارسة العلم، مثلما هو الشأن بالنسبة إلى أي نشاط إنساني. ذلك ما يجعل الوثيقة الموالية المنتمية إلى اللسانيات المعرفية مثارا للاستغراب، يتعلق الأمر بتعليق لمحكم (مجهول) بخصوص ورقة اقترحها أحد زملائنا لندوة حول اللسانيات المعرفية. وإليكم تعليق المحكم: "يبدو أن الورقة الحاملة لعنوان "اللسانيات المعرفية والمقاربة الماركسية للإيديولوجيا" قد أخطأت طريقها. فمدارها نقد للسانيات المعرفية من منظور ماركسي، وقد يكون ذلك مناسبا لندوة لماركسيين يقدمون نقدا ماركسيا للأشياء. تجهل هذه الدراسة الفرق الجوهري بين اللسانيات المعرفية والماركسية، فاللسانيات المعرفية اشتغال علمي، إنها فرع من العلوم المعرفية. فهي ليست نظرية قبلية كما هو شأن الماركسية. ينبغي، ما دام الأمر متعلقا بندوة حول اللسانيات المعرفية، أن تكون الدراسة المناسبة متعلقة بالتحليل المعرفي للفكر الماركسي. وفي واقع الحال أن الملخص يجب أن يكون في ذاته موضوعا مهما يستوجب التحليل. الشيء الوحيد الواضح من الملخص (والذي اتضح منذ سنوات خلت) يتمثل في كون نتائج البحث التجريبي المحصلة حول الذهن في العلوم المعرفية، عموما، واللسانيات المعرفية، خصوصا، غير متوافقة مع الإيديولوجيا الماركسية. وليس ذلك مدعاة للاستغراب، فكما برهن على ذلك لايكوف وجونسون في كتابهما الجديد "الفلسفة في الجسد" فإن معظم الفلسفة الغربية غير متوافقة مع نتائج العلوم المعرفية .يمكن وضع ماركس جنبا إلى جنب مع كانط وأرسطو وديكارت. ومن وجهة نظر الإيديولوجيا الماركسية، تعد اللسانيات المعرفية مثالا "للوعي المزيف "ويشمل هذا الوصف كل ما يتعارض مع النزعة الماركسية، سواء أكان ذا دعامة علمية أم كان مفتقرا لها.

أقترح رفض الملخص. ويمكن تقديمه في ندوة خاصة بالماركسيين، أو جمعه مع دراسة تشتغل على النظريات الشعبية والاستعارات. إنها ندوة تجمع الملتزمين بقضايا اللسانيات المعرفية، ولا مكان لدراسات لا تنتمي إلى هذا الإطار. وما نقوله ليس الغرض منه تثبيط همم صاحب الورقة، بل دفعه للمزيد من فحص العلاقة بين اللسانيات المعرفية والماركسية بشكل مناسب."

أن يكون الزعم بِكَوْنِ اللسانيات المعرفية علما، مدعاة لعدم إخضاعها لتحليل نقدي سواء أكان ماركسيا أم ما شاكل ذلك، هو زعم لا يستقيم. إن إدماج البعد الإيديولوجي المتضمن للعوامل الاجتماعية والمعرفية. لا يقلل من علمية التخصص. فالاستكشاف العلمي للظواهر الفيزيائية الطبيعية ليس مطابقا لاستكشاف السلوك الإرادي والوعي الإنساني .مما يجعل التعاطي مع الظواهر بشكل متماثل تعاطيا غير علمي.

ناقش فيركلاف فكرة كون التحليل النقدي للخطاب غير معني، بشكل مبسط، بمسألة الصحة والخطأ، فبدل هذه الثنائية القطبية المبسطة يحاجج لصالح مقاربة تحليلية محفزة سياسيا، لكنها واعية بالتزامها الخاص. وفي سياق سجاله ضد نظرية النقد ما بعد البنيوي، يزعم فيركلاف(1995 أ: 17) أن النظرية ما بعد البنيوية لا يمكن أن تكون نقدية حتى تتبنى منظورا للإيدولوجيا باعتبارها أداة يعاد من خلالها إنتاج العلاقات الاجتماعية للسلطة.

السؤال الأبرز يقترن بفهم ما الذي يعنيه الخطاب. ولقد كان فيركلاف حذرا (1989) في تعريفه للمصطلح، ليس فقط باعتباره أعلى في بينة الهرمية اللسانية، كما يذهب إلى ذلك سينكر وكوتهارد (1975(، ولكن بالمعنى الذي يستعمله ماكارثي وكارتر (1994) الذي بموجبه يقتضي "الخطاب" إعادة تقييم لـ"اللغة باعتبارها خطابا" في كل مستوى من مستوياتها . ويلخص فيركلاف محتويات تصوره على المنوال التالي:

- خطاب (اسم مجرد): استعمال اللغة منظورا إليها باعتبارها ممارسة اجتماعية
- حدث خطابي: تحقق استعمال لغوي ما، يُحلل باعتباره نصا، ممارسة خطابية، ممارسة اجتماعية
- نص: لغة مكتوبة أو منطوقة يتم إنتاجها في حدث خطابي
- الممارسة الخطابية: عملية إنتاج وتوزيع واستهلاك النص
- التداخل الخطابي: تكوين النص بواسطة خطابات وأجناس مختلفة
- خطاب (اسم كم): كيفية للتعبير عن تجربة دالة من منظور خاص
- نوع: استعمال للغة مقرون بنشاط اجتماعي خاص
- نظام الخطاب: مجموع الممارسات الخطابية لمؤسسة معينة، والعلاقات بين تلك الممارسات (فيركلاف 1995أ: 135.(

إن النقطة الأساسية الفارقة بين اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب نتاج لمجموع التحديدات الاصطلاحية السالفة. فمعظم الممارسات التحليلية في إطار اللسانيات المعرفية تتمثل في لوائح من الجمل (يتم اختلاقها، غالبا، أو تستدعى من ذاكرة الكاتب)، فتوضع ضمن خطاطة من الاستعارات التصورية. وهناك نزوع واضح نحو تشييد مبادئ عامة وتعيين كليات لسانية معرفية وتأويلات قابلة لإعادة التطبيق والاستعادة ذات قيمة تفسيرية. والأمثلة المجسدة للإطار منتزعة من لغة الاستعمال الحالي، وذلك خلافا للتحليل النقدي للخطاب حيث يأخذ لغة الاستعمال الحالي (تكون في الغالب عبارة عن نصوص وليست جملا) كفرصة لنقد مؤسساتي خاص محدد في نقطة تاريخية مخصصة. تُقْرَن القيم التجريبية للمحتوى والمعرفة والاعتقاد بواسطة بعدين وصفيين في التحليل النقدي للخطاب، يتعلق الأمر بالقيم العلائقية للعلاقات الاجتماعية التفاعلية من جهة، والقيم التعبيرية للتقييم والذاتية من جهة أخرى (فيركلاف 1989: 2 -112). لا تغطي اللسانيات المعرفية البعدين المشار إليهما أعلاه والمتضمنان لسمات أسلوبية هامة من قبيل الصورية والصيغية.

3. **نقطة التقاء عملية**

بعدما تم إبراز مكامن اختلاف الانشغالات، يمكن أن نجعل النقاش النظري أكثر تحديدا من خلال فحص التحليلات التطبيقية للسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب. لقد وظف كل من لايكوف وفيركلاف إطارهما المعرفي لتحليل التمثيل اللغوي للحرب والصراع في حرب الخليج الإيرانية في أوائل تسعينيات القرن العشرين.

يناقش فيركلاف(1995: 102-94) التغطية الصحافية البريطانية في يناير 1993 لحملة جوية قادتها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا على العراق، مميزا بين تشكلات الخطاب في التقارير الصحفية التي تكون إما متوافقة أو استعارية. ويكون الاستعمال متوافقا: "عندما يستعمل الخطاب ليدل على أنماط التجربة التي اعتاد أن يدل عليها، بينما الاستعمال الاستعاري هو توسيع للخطاب كي يدل على نمط آخر من التجربة مغاير للذي اعتاد أن يدل عليه" (فيركلاف 1995 ب: 94). تمثل الفقرتان المواليتان للتشكل المتوافق والاستعاري على التوالي:

- نسفت أكثر من مائة طائرة مواقع صواريخ عراقية، وتم ذلك الليلة الماضية، بعد أن نفذ صبر الحلفاء، وهكذا كُسِّرت أخيرا شوكة تحدي صدام حسين" (ديلي تلغراف) (فيركلاف 1995 ب: 95.(
- القضاء على الخطر المجنون: وأخيرا، قصفت طائرات الحلفاء جحيم صدام حسين. لقد دفع العراقي المجنون الغرب إلى أبعد مدى. لعب لعبة خطيرة وآن الأوان أن يدفع الثمن. لقد أرسل صدام حسين حملاته على حدود الكويت أربع مرات.
- التهديد: لقد كان اعتزاز صدام بكون العراق خطط لاستعادة الكويت القشة التي قصمت ظهر البعير.
- لا يمكن السماح لذلك الطاغية أن يتشبث بالسلطة بعد الآن. إنه إرهابي دولي، وتهديد مستمر للسلام. والمأساة أننا لم نتمكن آخر مرة من تصفيته.
- هيا ياشباب لنقبض عليه" (سان) (فيركلاف: 1995 ب: 1-100.(

يحدد فيركلاف في الفقرة الأولى المعجم -تركيب باعتباره مشكلا لخطاب الحملة العسكرية. لقد استعمل هنا بشكل متوافق، والاستثناء الوحيد هو الاختيار المعجمي المتمثل في الفعل "نسف" والمتوافق مع رصد روائي تخييلي لنشاط عسكري. وفي الفقرة الثانية نجد استعراضا "لخطاب الفتك الشديد" (فيركلاف 1995 ب: 101). وهنا تم تكثيف الخطابات، من بينها ما دل على الخطاب الشرعي (ينبغي أن يدفع الثمن) ورواية الحرب (ليُقْصَف وإلى الجحيم) ولغة أفلام الويسترن الغربية (لنقض عليه، هيا يا شباب لنقبض عليه.(

في التحليل الذي قدمه فيركلاف، وفي تحاليل أخرى عديدة، يترصد مسارات التمثيل الاستعاري لصدام حسين باعتباره تلميذا منحرفا، مستبدا، فتى مشاكسا يعاقبه آباء ساخطين، خَطَّاء غير ثائب (ليتم فرض الخطاب المسيحي على رئيس دولة إسلامية) ومجنونا.

فالتحليل المقدم رصد لساني دقيق يستند إلى جهاز هاليداي الاصطلاحي وإطار الوظيفية النسقية. ومدار اهتمام فيركلاف(1995 ب: 94) هو التشكيلات الاستعارية للخطابات، حيث

يزعم بشكل مقنع أن التشكيلات الاستعارية "محفزة اجتماعيا، فبإمكان استعارات مختلفة أن تكون متوافقة مع اهتمامات ومنظورات مختلفة، وذات حمولة إيديولوجية مختلفة."

تعد التفاصيل المرتبطة بالتحليل، عموما، ذات طابع وصفي، وإن كانت توظف لفائدة نقاش نقدي حول التمثيل الإعلامي. أنهى فيركلاف الفصل بالإشارة إلى أنه بإمكان المناقشة أن تلتزم باستعمال جهاز اصطلاحي متنوع وأطر لسانية أخرى. يقول بهذا الشأن: "توجد مصطلحات أخرى مكافئة تقريبا لـ"الخطابات" لكنها تنحدر من أطر نظرية وتقاليد مختلطة وهي مستعملة على نطاق واسع من قبيل الخطاطات والأطر والمدونات(من علم النفس المعرفي) والاستعارات" (فيركلاف 1995 ب: 101.(

يعتبر الفارق ضئيلا بين كتابة فيركلاف ولايكوف وذلك في تعاطيهما مع الموضوع نفسه، سواءعلى المستوى التحليلي أم بالنظر إلى الهدف العام للتحليل.

لقد حَدَّد لايكوف في مقال معنون بـ"الاستعارة والحرب: نظام الاستعارات المستعمل لتبرير الحرب على الخليج- "وهو مقال تدوول بواسطة الفاكس سنة 1991 وروجع ونُشِرَ سنة 1992 وإن كنت أستعمل النسخة الأولى منه هنا-عددا من الاستعارات التصورية المستعملة بغرض شرعنة الحرب باعتبارها صفقة، أو باعتبارها توسيعا للسياسة، أو باعتبارها لعبة، أو باعتبارها حجاجا دائرا بين الشعوب وليس بين الدول. ولقد كان مدار الاهتمام في المناقشة حول عبارات فردية وليس حول نصوص كاملة. لكن على غرار المادة التي يستعملها فيركلاف، يستقي لايكوف مادته من التمثيلات الإعلامية ويتم التأليف بين عناصرها كي تشكل نسقا متسقا من الاستراتيجيات الاستعارية .وعلى منوالفيركلاف، يضع لايكوف نفسه في موضع المعارض للإيديولوجية المهيمنة التي تضفي الشرعية على الحرب. أشار لايكوف(1992) إلى أن قصة الحرب قد تم تقديمها استعاريا باعتبارها حكاية خرافية. فلأن الحكاية الخرافية نموذج معرفي مؤمثل فهي تصلح كمجال أساس قوي لإجراء عملية ربط *maping* استعارية. يعرض لايكوف، بشكل مختصر، إطارا سرديا مقتبسا من بروب (1970(، موظفا إياه في مناقشة عدد من السيناريوهات التي تقدمها وسائل الإعلام. من بينها "سيناريو الإنقاذ" حيث تبدو فيه الكويت ضحية،و يبدوالعراق شريرا، وتبدو الولايات المتحدة بطلة، و تبدو الجريمة اختطافا واغتصابا. و كذلك"سيناريو الدفاع عن النفس" حيث يبدو العراق شريرا والولايات المتحدة بطلا، لكن الضحية بمثابة تهديد بالقتل (قد يطال الصحة الاقتصادية)، وهذا وضع يستلزم المواجهة بالتعاون مع الحلفاء.

بالرغم من كَوْن المعالجة التي يقدمها كل من فيركلاف ولايكوف يتم الإقرار بانتمائها إلى إطارين، وهما التحليل النقدي للخطاب واللسانيات المعرفية، إلا أن الاختلافات في الممارسة التطبيقية ضئيلة. فثمة اشتغال على التفاصيل في الوصف اللساني الذي ينجزه فيركلاف، وإن كان التحليل الذي يقدمه ليس شاملا. بينما يناقش لايكوف الاستعارة التصورية التحتية، وإن كان ليس بالكيفية التي تجعل التحليل النقدي للخطاب على طرف نقيض. ويبدو على مستوى الممارسة أن ثمة تشابه بين اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب. والحال هنا أن الاهتمام

منصب على استقصاء الخطاب الذي يرفع من شأنه، نظرا للاعتبار الإيديولوجي والسياسي الذي يحظى به.

وقبل أن نستمر في دراسة المزيد من النقاشات حول حرب الخليج، حري بنا أن ندرج في النقاش دراسة أنجزها شلتون1985)Chilton،1986، (1988والتي قدمت توليفا بين أعمال التحليل النقدي للخطاب واللسانيات المعرفية في المجال السياسي. لقد طور شلتون مصطلح الاستنتاج الانتقائي لدى هوبزselective inferencing(1981)Hobbsفي عملية الربط الاستعاريmetaphorical mappings، وذلك بهدف النظر إلى اللغة الاستعارية في مجال السياسة الدولية،باعتبارها تشتغل بطريقة التناسبات الرياضية التي تقرن بين مجالين معينين (تعود جذور هذا الضرب من الدراسات المستعملة هنا إلى البحث في الذكاء الاصطناعي، والذي يتناسب بصورة جيدة مع نموذج ترابطات النماذج المعرفية المؤمثلة في اللسانيات المعرفية.(

يقول شلتون: ‘‘يوجد تناسب عندما تبرهن أو تقوم بحساب شيء من خلال إجراء عملية ربط بين مجموعة من الأشياء في مجموعة بأشياء مجموعة أخرى، حيث تقوم بحسابك أو ببرهنتك في مجال آخر، لتعود بعد ذلك إلى المجال الإشكالي الذي كان مدار اهتمامك في البداية كي تقيم فيه عملية الربط’’ (شلتون 1988: 63.(

فعلى سبيل المثال، يحيل شلتون على دراسة غلين هوك (1984)Glenn Hookللإعلام في اليابان، في مرحلة أبدت فيها اليابان توجسا من زيارة سفن الولايات المتحدة التي من الممكن أن تكون حاملة لأسلحة نووية. وتم تمثيل هذا التوجس استعاريا باعتباره حساسية (مرضية). فالمصطلحات الاعتيادية للمجال الأساس هي المريض، الحساسية والطبيب. تُرْبَط بالمجال الهدف وعناصره: الشعب، والأسلحة النووية، والحكومة. تُنْتِج العلاقات الحملية بين هذه العقد (العناصر) عبارات مركبة،والتي تعتبر تعبيرا عن ترابطات بين الأطر: يبدي المريض رد فعل تجاه الحساسية، وهكذا يحقنه الطبيب كمية ضئيلة، حينئذ لم يعد المريض يبدي رد فعل تجاه الحساسية. ويتم الترابط على المنوال التالي: يبدي الشعب رد فعله تجاه الأسلحة النووية، وهكذا كانت الحكومة تدخلها بشكل تدريجي حتى لم يعد يبدي أي رد فعل. (شلتون 1986: 9(، فعندما تم الاشتغال من خلال هذه الخطاطة، كانت حصيلة ذلك نتائج سياسية فعلية، كان للاستعارة دور في بنينتها، تتلخص تلك النتائج في أنه ليس ثمة ضرر يمكن أن تلحقه الأسلحة النووية بالناس العاديين. قام شلتون (1986) بالتوليف بين أطر تحليلية متعددة لمناقشة مسألة ‘‘نضالية’’ اللغة. لقد أحال على الأعمال المبكرة للتحليل النقدي للخطاب التي كانت بحوزته (كريس وهودج 1979، طومسون (Thompson1984، وكذلك مجموعة من الأعمال المبكرة في تقليد اللسانيات المعرفية (شانك وأبلسون 1977، لايكوف وجونسون 1980، وجونسون ليرد 1983 .(ولقد تبنى أعمالا من التداوليات (سورلSearle 1969، براون وليفنسون Brown and Levinson 1978، ومصطلح ‘‘الأفعال المهددة للوجه’’)، وذلك بغاية وصف اللحظة التي يقدم فيها النص للقارئ تمثيلا إيديولوجيا معارضا، باعتبارها ‘‘لحظة خطابية حرجة’’.

وبإمكان كل من فيركلاف (1995ب) ولايكوف (1992) التعرف من خلال تحاليلهما على ما يَوَدُّ شلتون إبرازه. وأخيرا، قياسا على قطبي الاستعارة والكناية البنيويين عند ياكوبسون (1956)، يطرح شلتون قطبين وظيفيين للخطابات الإيديولوجية، ويتعلق الأمر بالنزعة الاستعارية *metaphorism* والنزعة التلطيفية *Euphemism*.

فحيثما يشتغل الخطاب الإيديولوجي استعاريا يبني وضعية سياسية في نظام تمثيلي معقد، ومن ثمة لا يخلو من إكراه، فعندما يشتغل بشكل ملطف فإنه يجعل البدائل التأويلية صامتة، ومن ثمة يكون قمعيا .يشرعن الاستعمال الاستعاري وجهة نظر، أما الخطاب الملطف فيقوم على الإخفاء.

وبخصوص الموارد اللسانية التي بحوزة الخطاب الاستعاري، نذكر مايلي: التأطير، التوجيه، السرد. أما الموارد التي يتوفر عليها الخطاب الملطف فهي: البناء للمجهول والتأسيم والاستبدال المعجمي، وهلم جرا (شلتون: 1986 : 15). من السهل ملاحظة كيف أن تحليل لايكوف (1992) يركز على المجموعة الأولى من السمات، بينما يتضمن تحليل فيركلاف (1995 ب) نقاشا مفصلا لمجموع السمات اللسانية الثانية المشار إليها أعلاه. ويمكن اعتبار عمل شلتون مزيجا من النزعة المعرفية والتحليل النقدي.

وأخذا بعين الاعتبار ما سلف ذكره، أعود إلى الحكاية الخيالية لحرب الخليج بحسب لايكوف(1992)، وذلك بغاية عرض ما يمكن أن تبدو عليه اللسانيات المعرفية النقدية في الممارسة. تعد السمات التالية مخصصة للحكاية الخيالية بناء على النموذج المعرفي المؤمثل الذي نملكه حولها (وبالاستناد كذلك إلى تجربتنا في قراءة الحكاية الخيالية باعتبار ذلك الطفل الذي كناه، وكذلك بالاحتكام إلى مقروئنا لأعمال من علم السرد إلى اللسانيات التعليمية: (

- الافتتاح الرسمي (كان يا مكان في قديم الزمان(
- النهاية الرسمية (وعاشوا في سعادة دائمة(
- ذات ميزة تداولية مغايرة للخطابات المحيطة بها
- حكاية الأطفال
- تراجيديا محتملة/ فعل الشر
- نهاية سعيدة
- التموضع في سياق العصور الوسطى أو السياق الإقطاعي
- مكون أمثولي allegorical
- المظهر السحري (سبب ونتيجة(
- الحيوانات باعتبارها كائنات بشرية
- البطل الصالح
- الشرير / الوحش
- الضحية البريئة / الفتاة في محنة
- الخلفية المجتمعية

ارتباطا بتحليل لايكوف(1992) لحرب الخليج المشار إليه أعلاه، شكلت الطريقةُ التي تُملأ بها العناصر المتحكمة في استعارة الحكاية الخرافية سيناريوهاتِ وعباراتِ معقدة مختلفة، فسيناريو الدفاع عن النفس الذي يهدد فيه الشرير بالقتل (وفي استعارة فرعية ملحقة يعتبر النفط شريان حياة الدولة والفرد على حد سواء)، أضحى أقل شعبية مع تطور أزمنة الخليج، ما دامت العبارات المعقدة لهذا السيناريو تعيدنا إلى المجال السياسي حيث تسري عبارة مقايضة الأرواح بالنفط.

ولقد حل محل السيناريو السابق سيناريو المنقذ (لايكوف 1992). وهنا تصير الكويت بمثابة الفتاة في محنة، لذلك أضحى من الملائم الحديث عن اغتصاب الكويت، لقد سُفِك دمها وصار غزوها بمثابة اختراق (إيلاج). والعبارة المعقدة التي تعبر عن هذا الصنيع تتمثل في أنه أصبح سعي الولايات المتحدة نحو تحرير الكويت من العراق الشرير أمرامسوغا. غير أن ملأ خانات هذا السيناريو ليس هو جوهر المسألة، فمن أجل إجراء تحليل دقيق لاستعارة حرب الخليج كحكاية خرافية، يلزم فحص التفاصيل اللسانية وفق طريقة فيركلاف.

يمثل غزو الكويت في أغسطس 1990 البداية الرسمية للقصة. لقد اعتبرت معظم تقارير الجرائد والتعليقات وقرارات مجلس الأمن ذلك بمثابة نقطة انطلاق الأزمة الراهنة. وبداية صناعة العراق للشر، وهكذا يتم إبراز فعل الشر باعتباره بؤرة، والسبب الجذر لكل الاضطرابات اللاحقة، ويتم جلب الانتباه في مفتتح الحكاية نحو خبث المعتدي. ولا مشاحة في أن الحكاية الخرافية متميزة عن الخطاب المحيط، ويعتبر ذلك نتاج صيغة افتتاح ونهاية الحكاية، ففي الفصل الدراسي، عندما تُحكى حكاية تكون صيغة الافتتاح هي: " كان يا مكان"، وتمكن هذه الصيغة الافتتاحية من جعل السرد اللاحق مستقلا تداوليا عن محيط الفصل الدراسي، وتتم استعادة ذلك المحيط بواسطة الصيغة الختامية: " وهكذا، عاشوا بعد ذلك في سعادة وهناء..." وتشكل كل من بداية الحكاية ونهايتها الحدود التي تشتغل ضمنها قواعد الاتساق والانسجام النصي. يظهر الاستقلال التداولي للحكاية في الاستعمال " العادي "لأدوات التنكير المصاحبة للمركبات الإسمية (في يوم من الأيام ... كان هناك تنين...). وحتى وإن رُوِيَتْ هذه الحكاية مرات متعددة، ستظل الجملة الافتتاحية ثابتة، مستلزمة إحالة جديدة (كوبنيك.(Gopnik 1989 : 234

وعندما تُنْسَخُ تلك السمة من ميدان الحرب، فهي تنحو نحو عزل مرحلة الحرب عن التاريخ المحيط بها. لقد كان سبب الحرب متمثلا في غزو العراق للكويت، غير أن وقائع سابقة عن هذه الحكاية قد حُجِبت ولم تُذْكَر من قبيل: نكث الكويت لوعدها بتمويل حرب العراق على إيران، أو زيادة الكويت في إنتاجها للبترول متجاوزة بذلك الحصة المخصصة لها في عملية الإنتاج، وذلك في سعيها نحو إفلاس العراق بخفض سعر البترول، أو سرقتها للنفط العراقي عن طريق الحفر الجانبي في حقل الرُمَيْلَة، أو المعاملة اللاإنسانية للعمال المهاجرين (ومعظمهم من العراقيين) (كل الإشارات المذكورة هنا وردت في : لايكوف 1992). وبالموازاة، وعلى الرغم من إشارة عدد من السياسيين المناهضين للحرب إلى المبيعات الغربية من الأسلحة للعراق، إلا أنه غالبا ما

يتم التغاضي عن تلك الإشارة، على اعتبار أن ذلك لا صلة له بالوضعية الجديدة، لأن ذلك حصل قبل غزو العراق للكويت. كما تخدم النهاية الرسمية للاستعارة السردية تبرئة الحلفاء من أي لوم مرتبط بالكارثة البيئية، وما ترتب عنها من مجاعة وتشريد للأكراد والعراقيين اللاجئين الذين طردهم الجيش العراقي المهان من بلد دمرته القنابل. تقتضي الاستعارات الفرعية من قبيل: " الضربات الموضعية " و" الحصول على وظيفة" أن استسلام العراق سيضع حدا للمشكلة.

تعتبر الحكاية الخرافية قصصا موجهة للأطفال، لأنه غالبا ما يرويها الكبار للأطفال. تستند معظم تجربتنا مع الحرب إلى محكيات الصحفيين والسياسيين، غير أن من بين ما تستلزمه استعارة الحكاية الخرافية أن فهمنا طفولي مقارنة بفهم الخبراء والناضجين. وتزعم استعارة الحكاية الخرافية لنفسها مرتبة لا تقبل الطعن. وإن كانت تلك الصياغة تندرج بحسب فيركلاف(1994 ب :94) في إطار ما يصطلح عليه بالاستراتيجية الخطابية الاستعارية، إلا أنها من فرط استعمالها يتم التطبيع معها، الشيء الذي يجعل إبطالها أمرا عسيرا. ويضفيذلك عليها وضوحا منقطع النظير، حيث تصير بمثابة استعارة تفسيرية، بتعبير غينتنر(1982)Gentner، فيبدو مستعملها عقلانيا. وهكذا يبدو المتلفظ بتوظيفه لهذه السمات الأقل وضوحا، وإن كانت لا تخلو من إيحاءات غنية (التموضع القروسطي، السحر والإنسان، الحيوان على النحو الوارد أسفله)، مستعملا لاستعارة معبرة تنقل غضبا مُبَرَّرا من الزاوية الأخلاقية.

ولقد كانت مسألة الحصول على نهاية سعيدة حاسمة في قبول الجمهور لإرسال الحلفاء لجيوشه إلى العراق. لكن لِنَعْلم، أن النهاية السعيدة حسب ما تحدده الاستعارة تتمثل في انتصار الحلفاء، ويعد انتصارهم تصورا شديد الاقتران بما تقتضيه الاستعارة، وإن كان معناه محصورا في الانتصار العسكري، وتمثل هذه النتيجة المجيدة ذروة الحكاية مصحوبة باستسلام العراق. وكما تمت الإشارة إلى ذلك سابقا، تشكل النهاية الرسمية للحكاية باعتبارها كيانا محتوى سلفا في بنية الحكاية إغلاقا لإمكانية استحضار الشوائب الناتجة عن الانتصار، من قبيل استمرار سيادة صدام وتدمير الكويت واحتمال هجمات إرهابية وكراهية العرب للغرب وهلم جرا. يُملأ السياق القروسطي والإقطاعي بشكل جيد عبر إدراك المِلكية كشرط مسبق للحديث عن الغزو والسرقة. كما يصير أمرا مقبولا بحسب استعارة الحكاية الخرافية كَوْن الحلفاء قد حاربوا من أجل استعادة المَلَكِيَّة إلى الكويت. ولقد كانت التصورات القروسطية من قبيل الشرف والمجد والحقيقة والحرية بارزة في خطاب السياسيين الحلفاء، كما استعملت الولايات المتحدة، بشكل خاص، الصراع من أجل الحق لتعديل الصورة غير العادلة التي تشكلت عنها في حرب الفييتنام. فعندما أعلن جورج بوش قائلا :" لقد تخلصنا من متلازمة الفييتنام، وذلك أفضل لنا"، فإنه رسم بذلك صورة مؤقتة للهزيمة، كما لو كانت مرضا عابرا أو عادة تم التغلب عليها. (لايكوف : 1992).

يعد المكونالأمثولي للحكاية الخرافية سمة تسويغية أساسية تشير وتشرعن قراءة حرب الخليج باعتبارها حكاية خرافية .مثلما تسمح بتصور أخلاقي مبسط قائم على ثنائية الخير والشر التي

يمكن انتزاعها من الأحداث السياسية المعقدة، وتتجسد تلك الثنائية في فكرة مفادها أن ثمة جانب يمثل الخير المطلق ومقابله يمثل الشر المطلق. وثمة عِبَر يمكن استخلاصها من قبيل عبرة :" لنتصدى للاستبداد". وعلى ذلك المنوال، يسمح المكون الأمثولي للحكاية الخرافية بالنظر إلى مجال السياسات الدولية على أساس أنها تشتغل بالضوابط العامة نفسها التي تحكم ميدان لعبة ما أو قواعد إدارة المنزل. ولا يخلو هذا التصور من خطورة، خاصة عندما يتعلق الأمر بالحديث عن الأسلحة النووية. ويقترح تصور الأمثولة بقوة أن ثمة عبرة وراء تلك الحرب، تشكل تلك العبرة خلفية للقول إن الجنود والطيارين الذين قُتِلوا لم يكن أبدا موتهم سدى.

يُنظر، عادة، إلى قوانين السبب والنتيجة في الحكاية الخرافية باعتبارها نتيجة للسحر، حيث يوضع نظام من التوقعات مختلف. ففي قصة حرب الخليج نُحِّيَّت جانبا المواضعات "العادية " للديبلوماسية والسياسات الدولية، وصارت قواعد أخرى جديدة تعمل بقوة، وهكذا صارت أمور من قبيل المجاملات الديبلوماسية واختراقات المجال الجوي والبحري الوطنييين والهجمات على المدنيين العُزَّل وتفجير وقتل الناس في المدن أمورا متوقعة في مجرى الحرب. هكذا، يُنْظَر إلى التفوق التكنولوجي للحلفاء) غالبا، ما يتم تأطيره باعتباره " سحرا تكنولوجيا") كضرب من السحر.

من السمات البارزة في الحكاية الخرافية سمة الحيوانات الناطقة، وهكذا ترد بكثرة سمة استعارات الحيوان في حرب الخليج، فمن الثعابين إلى الأفاعي المخادعة والجينيرالات باعتبارهم طيورا حكيمة والقوات المسلحة باعتبارها آكلة ثعابين وباعتبارها صقورا وحمائم، وطارق عزيز باعتباره الكلبة الماكرة وجون ماجور باعتباره " ثعلب الصحراء "ذا " الشعر الأشقر"، وكل هذه الاستعارات تندرج في إطار استعارة الحكاية الخرافية لتسهم في التطبيع معها، مشكلة " صيغة الحس المشترك" للأحداث.

4-تسويات لازمة

بالرغم من كون التحليل التطبيقي داخل نفس المجال سمح لمعالجات التحليل النقدي للخطاب وللسانيات المعرفية أن تكون متكاملة، إلا أن معظم النقد المنصب على التحليل النقدي للخطاب واللسانيات المعرفية قد ركز على المشكل الميتودولوجي المتعلق بتنظيرهما معا لمسألة الحقيقة والزيف في التمثيل النصي (ينظر بهذا الخصوص : دوونز 1993 Downesوكروس Gross 1997في مجال اللسانيات المعرفية، وباتمان 1981 Patemanورشاردسون Richardson 1987في مجال التحليل النقدي للخطاب). لقد بدت الأعمال المبكرة في التحليل النقدي للخطاب قائمة على تقديم نصوص وسائل الإعلام باعتبارها " تحريفات" للوقائع الحقيقية، وهكذا كان سيكون شكل تركيبي معين ذا مصداقية تمثيلية لو وُظِف مقارنة بالشكل التركيبي المستعمل في الجريدة .وعلى سبيل المثال، تجري المقارنة بين البناء للمجهول ومقابله المبني للمعلوم، فتُعتبر بموجب المقارنة صورة المبني للمعلوم الصيغة الأكثر دقة لنقل الأحداث. من الواضح أن " نزعة موضوعية" من هذا القبيل تقوض المقاربة .وإن كان رواد اللسانيات المعرفية يسمون ممارساتهم بسمة " الأسطورة التجريبية" (لايكوف 1987). وهكذا يشير فيركلاف إلى ذلك

بشكل صريح في عمله الأخير في إطار التحليل النقدي للخطاب، يقول: " بزعمنا أن الحدث الخطابي يشتغل إيديولوجيا، فإننا للوهلة الأولى لا ندعي بمقتضى ذلك الزعم أن الحدث الخطابي خاطئ، ولا نزعم كذلك أن ثمة موقعا مفضلا يجب انطلاقا منه صياغة أحكام الحقيقة والزيف. لكننا نزعم أن الحدث الخطابي يسهم في إعادة إنتاج علائق السلطة. ففي إطار منظور للتحليل الإيديولوجي من هذا القبيل، يخطئ الهجومُ على النقد الإيديولوجي هدفَه وذلك بسبب تفضيله المزعوم لادعاءات الحقيقة "(فيركلاف: 1995 أ :18)

يبدو أن كلا من التحليل النقدي للخطاب واللسانيات المعرفية يلتقيان حول هذه النقطة، وإن أمكن التوليف بين التخصصين، أو على الأقل أن يشتغلا بشكل تكاملي، فوجب على كل محاولة لتسوية الخلاف بينهما أن تتم في مستوى انعدام الاتساقات النظرية. ويبدو لي أن هناك العديد من المجالات التي يمكن انطلاقا منها الاستدلال على هذا الطرح.

فعلى سبيل المثال، بالرغم من أن عمل فيركلاف، وبشكل عام، متوافق بشكل صريح مع المنظور الماركسي للمجتمع والاقتصاد، فإنه ما من سبب يدعونا إلى عدم فصل مبادئ التحليل النقدي للخطاب عن هذا التوجه. ويعتبر ذلك أمرا ممكن التحقق على نطاق واسع، كما يتبين من خلال التعليق المقتبس أعلاه لفيركلاف(1995 أ: 18)، والذي يبيح للمنهج أن يستعمل ليس لخدمة " الحقيقة"، ولكن لتعيين مختلف الممارسات الخطابية الإيديولوجية.

وثانيا، وإن كان التحليل النقدي للخطاب ذا صلة وطيدة بإطار التحليل النسقي الوظيفي لدى هاليداي، فإنه، ومرة أخرى، نقول ما من سببيدعو إلى ذلك. فها هو ذا فيركلاف يعترف بذلك، من خلال دعوته إلى ربط الحقل المعرفي بنظريته (نظريةفيركلاف) الاجتماعية، يقول : " تعتبر النصوص فضاءات اجتماعية تتوارد فيها سيرورتان اجتماعيتان أساسيتان بشكل متزامن: المعرفيةcognition وتمثيل العالم من جهة، والتفاعل الاجتماعي من جهة أخرى. ومن ثمة يغدو المنظور التعددي الوظيفي للنص أمرا لا مناص منه) "فيركلاف 1995 أ:6.(

يشير فيركلاف إلى أن استعمال التحليل النقدي للخطاب للسانيات النسقية الوظيفية ليس أكثر من مجرد مواضعة مؤقتة " :يقتضي التحليل النصي مسبقا نظرية لغوية ونظرية نحوية، تتحدد مشكلة التحليل النقدي للخطاب في مسألة انتقاء ما يمكن عده مناسبا منها. لقد أحلت في مواضع شتى إلى كون اللسانيات النسقية ذات نقط قوة عديدة من منظور التحليل النقدي للخطاب... فبينما نعتبر اللسانيات النسقية نظرية مناسبة للاشتغال بها، إلا أنه وعلى المدى البعيد ينبغي على التحليل النقدي للخطاب كما استدل على ذلك كريس (1993)Kressأن يكون على علم بكل تطورات النظرية الاجتماعية الجديدة للغة، والتي يمكن أن تتضمن نظرية نحوية جديدة"(فيركلاف 1995 أ.(10 :

من الممكن أن نتخيل نظرية معرفية اجتماعية متطورة بما يجعلها مطاوعة لكل من التحليل النقدي للخطاب واللسانيات المعرفية. ويمكن تخمين بعض سماتها الأساسية، وإن كان ذلك يتجاوز حدود هذه المقالة. فعلى سبيل المثال، يعتبر نزوع اللسانيات المعرفية نحو صياغة كليات تصورية شيء يجب مزاوجته بحساسية أكثر تجاه السياق والشروط المادية المرتبطة

بالإنتاج والتلقي التي تمنح للخطاب معناه المباشر. ولقد كان تولان(1996) محقا في إشارته إلى أن تنحية تلك العوامل ووضعها جانبا بغاية استكشاف المبادئ العامة، لا يعني سوى أن تلك المبادئ العامة لم تكن في بداية الأمر وفي منتهاه مبادئ موضوعة لأي شيء واقعي. ومن خلال تبنينا للفكرة الموجهة التي مفادها أن اللغة لا يمكن أن تُحَلَّل بصورة سليمة سوى باعتبارها خطابا، يستلزم إعادة توجيه لازمة للسانيات المعرفية نحو تحليل مموضع سياقيا وبعيد عن التصنيف المجرد عن السياق للجمل. ولا يقتضي ذلك التخلي عن الأطر المؤسسة سلفا، ولكن يتطلب استعمال التصور اللساني المعرفي للخطاب المجسدن، وهو تصور موجه أكثر نحو التلقي، خلافا لما كان عليه الأمر سابقا. وعلى كل حال، تحيا الأذهان المعرفية في أجساد مادية، وتقتضي إعادة صياغة مسألة الذهن- الجسد عند لايكوف وجونسون (1999) الاعتراف بالقيم الاجتماعية المشتركة والصراعات التي ينطوي عليها التواصل البشري.

يمكن، في التحليل التطبيقي، تحسين الكثير من المسائل في اللسانيات المعرفية، وبشكل خاص، تطوير حساسية واهتمام أكثر بالتمظهرات الأسلوبية للاستعارة التصورية، فعندما سيتحقق ذلك المبتغى في إطار التخصص الفرعي للشعريات المعرفية، يمكن حينئذ إنتاج استبصارات مركبة ودقيقة بخصوص المعنى المموضع في السياق (ينظر بهذا الشأن: مناقشة م .فريمان: 1997 لشعر إميلي ديكنسون Emily Dickinsonأو تحليل ويبر 1995 Weberلقصة قصيرة لدوريس ليسنغDoris Lessing، وذلك بخصوص بعض التطبيقات الأنيقة للسانيات المعرفية ذات الحساسية تجاه الأسلوب). ويكمن الخطر في أن أي إهمال لهذا البعد ستنتج عنه قراءات خطاطية محافظة، وببساطة غير ذات أهمية.

لقد أشار كروس (1997) Grossإلى أن التخصصات الجديدة، نسبيا، تميل نحو تقليص الإشارة إلى ما تدين به للتقاليد السابقة، وتفرط في إبراز جوانب جدتها. وتنحو اللسانيات المعرفية هذا المنحى حيث تعلي من شأن فرادتها، وتسلم بطريقة غير نقدية بالسُلَط الفكرية. فعلى سبيل المثال يتم تقديم تصور التجربة المجسدنة، والذي يعتبر محددا للصورة التصورية واللغوية، دون الاعتراف بكون التيار النسائي الراديكالي قد تأسس على هذه الفكرة تحديدا، والتي وصفتها فيرجينيا وولف Virginia Woolfمنذ ستين سنة خلت. ومن المؤسف ذلك النزوع نحو انتزاع عمل واحد من مجموعة أعمال علمية مشتركة وتقديمه بمعزل عن العمل المشترك الجماعي الذي تشكل في كنفه .النتيجة معلومة ومؤسفة تتمثل في كون الحصيلة العلمية تبدو رديئة ومفتقرة للإلمام بالموضوع. كما يغلب توجه غير مرغوب فيه نحو النزعة النقدية بدل الانخراط الجاد في الاشتغال بالحجج المضادة. وباختصار فإن أهم شيء يمكن للسانيات المعرفية أن تتعلمه من التحليل النقدي للخطاب هو أن تكون أكثر تأملا لذاتها، ومالكة لوعي اجتماعي وأقل نزوعا نحو الكليانية. وبالمقابل أهم امتياز تمنح اللسانيات المعرفية للتحليل النقدي للخطاب يتمثل في تخصيص حيز أكثر اتساعا للمنهجية، وأدوات تنظير التمثيلات الاستعارية، ومفاهيم أخرى من قبيل: الإبراز والخلفية والمقولات الاجتماعية والعرفية والانتباه . ولا تعوزنا أمثلة لمثل هذا الائتلاف بين المقاربتين، وذلك عندما يتم اجتلابهما للاشتغال على

المجال نفسه، أو في إطار العمل البي-تخصصي الذي تقوده الشعريات المعرفية. وأظن أن هذا الفرع المعرفي للسانيات المعرفية سيثبت تأثيره النظري في المستقبل، على عكس ما يبدو في الوقت الراهن.

إنني أعي، وأنا بصدد عرض النتائج العامة، أن التوليف بين اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب بالكاد يكون ممكنا في مجال محدد، ويتعلق الأمر بالنص السياسي الذي يوظف الاستراتيجيات الخطابية الاستعارية. ولا يمكن أن نقول عن العلاقة الجامعة بينهما أنها جدلية، طالما نستشعر، بشكل عام، أن على اللسانيات المعرفية أن تأخذ من التحليل النقدي للخطاب أكثر مما يمكن أن يأخذ هو منها. وذلك ما يجعلني في نهاية المطاف أحس أن صياغتي للعنوان: " نحو لسانيات معرفية نقدية؟ " أفضل من الصياغة التالية: " نحو تحليل نقدي للخطاب معرفي". على الرغم من شعوري بما يكفي من الثقة لحذف علامة الاستفهام.

المراجع:

- – Birch, D. (1989) *Language, Literature and Critical Practice: Ways of Analysing Text*, London: Routledge.
- – Brown, P. and Levinson, S. (1978) 'Universals in Language Usage: Politeness Phenomena', in E.N. Goody (ed), *Questions and Politeness: Strategies in Social Interaction*, Cambridge: Cambridge University Press, pp.56-289.
- – Caldas-Coulthard, C.R. and Coulthard, M. (eds) (1996) *Texts and Practices: Readings in Critical Discourse Analysis*, London: Routledge.
- – Chilton, P. (ed) (1985) *Language and the Nuclear Arms Debate*, London: Pinter.
- -Chilton, P. (1986) 'Metaphor, euphemism, and the militarization of language'. Paper presented at the Biannual Meeting of the International Peace Research Association, Sussex.
- – Chilton, P. (1988) *Orwellian Language and the Media*, London: Pluto Press.
- – Downes, W. (1993) 'Reading the language itself: some methodological problems in D.C.
- – Freeman's "'According to my bond' *King Lear* and re-cognition"', *Language and Literature* 2(2): 121-8.
- – Fairclough, N. (1989) *Language and Power*, London: Longman.
- – Fairclough, N. (1995a) *Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language*, London: Longman.
- – Fairclough, N. (1995b) *Media Discourse*, London: Edward Arnold.
- – Fauconnier, G. (1994) *Mental Spaces: Aspects of Meaning Construction in Natural Language*, Cambridge: Cambridge University Press.
- – Fauconnier, G. (1997) *Mappings in Thought and Language*, Cambridge: Cambridge University Press.
- – Fauconnier, G. and Sweetser, E.E. (eds) (1996) *Spaces, Worlds and Grammar*, Chicago: University of Chicago Press.
- – Fowler, R. (1981) *Literature as Social Discourse*, London: Batsford.
- – Fowler, R. (1986) *Linguistic Criticism*, Oxford: Oxford University Press.
- – Fowler, R. (1991) *Language in the News: Discourse and Ideology in the Press*, London: Routledge.

- – Fowler, R., Hodge, R., Kress, G. and Trew, T. (eds) (1979) *Language and Control*, London: Routledge& Kegan Paul.
- – Freeman, D. (1993a) '"According to my bond" *King Lear* and recognition', *Language and Literature* 2(2): 1-.81
- – Freeman, M.H. (1997) 'Poetry and the scope of metaphor: toward a cognitive theory of literature', Paper presented to ESSE conference, Debrecen, Hungary, Sept. 1997.
- – Geeraerts, D., Grondelaers, S. and Bakema, P. (1994) *The Structure of Lexical Variation*
- *A Descriptive Framework for Cognitive Lexicology*, Berlin: Mouton de Gruyter.
- – Gentner, D. (1982) 'Are scientific analogies metaphors?' in D.S. Miall (ed) *Metaphor: Problems and Perspectives*, Brighton: Harvester Press, pp.106-32.
- – Gibbs, R. (1994) *The Poetics of Mind: Figurative Thought, Language and Understanding*, Cambridge: Cambridge University Press.
- – Gopnik, M. (1989) 'The development of text competence', in Conte, M-E., Petofi, J.S. and Sozer, E. (eds) *Text and Discourse Connectedness: Proceedings of the Conference on Connexity and Coherence, Urbino, July 16-21, 1984*, Amsterdam: John Benjamins, pp.225-44.
- – Gross, S. (1997) 'Cognitive Readings; or, The Disappearance of Literature in the Mind (Mark Turner, *Reading Minds: The Study of English in the Age of Cognitive Science*)', *Poetics Today* 18(2):271-97.
- – Halliday, M.A.K. (1985) *Introduction to Functional Grammar*, London: Edward Arnold.
- Harris, R. (1981) *The Language Myth*, London: Duckworth.
- – Harris, R. (1987) *Reading Saussure*, London: Duckworth.
- – Hobbs, J.R. (1981) 'Metaphor interpretation as selective inferencing', *Proceedings of the Seventh Joint International Conference on Artificial Intelligence*: 85-91.
- – Hodge, R. and Kress, G. (1988) *Social Semiotics*, Cambridge: Polity Press.
- – Holland, D. and Quinn, N. (eds) (1987) *Cultural Models in Language and Thought*, Cambridge: Cambridge University Press.
- – Hook, G. (1983) 'The nuclearization of language', *Journal of Peace Research* 21(3): 259-.57
- – Jakobson, R. (1956) 'Two aspects of language and two types of aphasic disturbance', in R. Jakobson and M. Hallé (eds), *Fundamentals of Language*, The Hague: Mouton, pp.55-.28
- – Johnson-Laird, P.N. (1983) *Mental Models*, Cambridge: Cambridge University Press.
- – Johnson, M. (1987) *The Body in the Mind: The Bodily Basis of Meaning, Imagination and Reason*, Chicago: University of Chicago Press.
- – Kress, G. and Hodge, R. (1979) *Language as Ideology*, London: Routledge& Kegan Paul.
- – Lakoff, G. (1987) *Women, Fire and Dangerous Things: What Categories Reveal about the Mind*, Chicago: University of Chicago Press.
- – Lakoff, G. (1992) 'Metaphors and war: the metaphor system used to justify the Gulf War', in M. Pütz (ed) *Thirty Years of Linguistic Evolution. Studies in Honour of René Dirvenon the Occasion of his Sixtieth Birthday*, Amsterdam: John Benjamins.

- – Lakoff, G. and Johnson, M. (1980) *Metaphors We Live By*, Chicago: University of Chicago Press.
- – Lakoff, G. and Johnson, M. (1999) *Philosophy in the Flesh*, Chicago: University of Chicago Press.
- – Lakoff, G. and Turner, M. (1989) *More than Cool Reason: A Field Guide to Poetic Metaphor*, Chicago: University of Chicago Press.
- – Langacker, R.W. (1987) *Foundations of Cognitive Grammar. Vol. 1: Theoretical Pre-Requisites*, Stanford: Stanford University Press.
- – Langacker, R.W. (1991) *Foundations of Cognitive Grammar. Vol 2: Descriptive Applications*, Stanford: Stanford University Press.
- – McCarthy, M. and Carter, R. (1994) *Language as Discourse: Perspectives for Language Teaching*, London: Longman.
- – Pateman, T. (1981) 'Linguistics as a branch of critical theory', *UEA Papers in Linguistics* 14/15: 1-29.
- – Propp, V. (1970) *The Morphology of the Folktale*, Bloomington: Indiana University Press.
- – Richardson, K. (1987) 'Critical linguistics and textual diagnosis', *Text* 7(2): 145-.36
- – Schank, R.C. and Abelson, R.P. (1977) *Scripts, Plans, Goals and Understanding*, Hillsdale NJ: Lawrence Erlbaum Associates.
- – Searle, J. (1969) *Speech Acts*, Cambridge: Cambridge University Press.
- – Sinclair, J. and Coulthard, M. (1975) *Towards an Analysis of Discourse*, Oxford: Oxford University Press.
- – Stockwell, P. (1999) 'The inflexibility of invariance', *Language and Literature* .)2(8
- – Sweetser, E.E. (1990) *From Etymology to Pragmatics: Metaphorical and Cultrual Aspects of Semantic Structure*, Cambridge: Cambridge University Press.
- – Thompson, J.B. (1984) *Studies in the Theory of Ideology*, Cambridge: Polity Press.
- – Toolan, M. (1996) *Total Speech: An Integrational Linguistic Approach to Language*, London: Duke University Press.
- – Turner, M. (1987) *Death is the Mother of Beauty: Mind, Metaphor, Criticism*, Chicago: University of Chicago Press.
- – Turner, M. (1991) *Reading Minds: The Study of English in the Age of Cognitive Science*, Princeton: Princeton University Press.
- – Ungerer, F. and Schmid, H-J. (1996) *An Introduction to Cognitive Linguistics*, London: Routledge.
- – Weber, J-J (1995) 'A cognitive-linguistic analysis of Doris

– Weber Lessing's "To Room Nineteen"', in P. Verdonk and J-J (eds) *Twentieth Century Fiction: From Text toContext*, London Routledge

[1]– Stockwell ; Peter ; 2000 ; Towards a critical cognitive linguistics. In :Discourses of war and conflict. Potchefstroomuniversitypress.

المحاضرة نقلا من:https://jilrc.com/archives/9395

الخاتمة:

هذه المحاضرات قد اختتمت، ونرجو أن يجد فيها الطالب الفائدة العلمية.